

المسلمون في الأندلس



تأليف
زين كرت دوزي

ترجمة وتعليق وتقديم
د. حسن حبشي

المسألة في الإندلس

الجزء الثالث

تأليف

زين كرت دوزي

ترجمة وتعليق وتقديم

د. حسن حبشي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٥

المقدمة

هذا الجزء هو ختام ترجمة ما وضعه رينهرت دوزى بالفرنسية عن تاريخ المسلمين فى الأندلس منذ دخولهم اياها حتى مجيء المرابطين لانقاذها من براثن أعدائها •

ونحمد الله ان وفقنا الى اتمام ترجمة هذا السفر التى كانت أملا طال عمره أجيالا ثم صار حقيقة •

وقد أضفنا الى الترجمة بعض الملاحق التى رأيناها ضرورية ، وكشافا كان لابد منه ليسهل على القارئ العثور على ما ينشده من الأماكن والأعلام والوقائع الى غير ذلك ، وقد ساعدنا فى اتمام هذا الكشف المهندس مروان حسن حبشى الذى رتبته على الكمبيوتر فله الشكر على ما بذل من جهد •

كما تداركنا النقص الذى يلحظه قارئ الأصل الفرنسى من اقتصراره على ذكر السنوات الميلادية فوضعنا ما يقابلها فى التاريخ الهجرى •

ونسأل القارئ الكريم أن يبصرنا بالنقص - حين يرى نقصا - فى الترجمة أو التعليق لتقويم ما اعوج •

والله من وراء القصد والسبيل • انه نعم المولى ونعم النصير •

حسن حبشى

القاهرة فى ٣ سبتمبر ١٩٩٤

الفصل الأول

الصراعات المحلية وظهور هشام الثاني

دعوى بنى حماد فى حقهم فى السيطرة • سرقسطة و طليطلة ودولة
بنى ذى النون • ابن جهور وقرطبة • الثورات المحلية • القاضى أبو القاسم
على فى أشبيلية • خلف الحصرى يدعى أنه هشام الثانى وتأييد أهل
قلعة رباح له • استغلال ابن عباد هذا الادعاء لصالحه وسبب مسaire
ابن جهور لهذا الادعاء الكاذب • الزحف على قرمونة ومصرع صاحبها يحيى
الطاغية • النزاع بين ابن عباد وابن جهور حول حقيقة أمر المسمى بهشام •

اضطراب أهو حكام الأندلس

طلب ولايات اسبانيا الاسلامية - منذ زمن بعيد - وهي تسيير أمورها بنفسها ولم يكن ذلك عن قصد وتدير منها ، وكان النسب كما فكر في المستقبل استولى عليه الفزع . وإذا تذكر الماضي استبد به الأسى ، وعم شبه الجزيرة انحلال شامل لم يستفد منه الا أصحاب السلطة من البربر والصقالبة ، فنقسام قادة البربر الجنوب فيما بينهم ، وآلت مفاليد الأمور في الشرق الى الصقالبة ، أما بقية النواحي الأخرى فقد مناهبها جماعة من الطوائف الجدد وشرذمة قليلون من الأسر الارستقراطية التي أتيج لها من الفرصة ما مكنها من مقاومة الضربات التي أنزلها عبد الرحمن الناصر والمنصور بن أبي عامر بالأشراف .

كان بنو حماد - في الظاهر - زعماء رهط البربر فادعوا ان لهم حقوقا على جميع رحاب الاقليم العربي من شبه الجزيرة ، أما حقيقة الواقع فتتمثل في انه لم يكن سوى مدينة مالقة وما حولها ، وكان لهم أتباع كان أقواهم ساعدا أميراً غرناطة : « زاوى » الذى رفع غرناطة الى منزلة العاصمة (١) ، وابن أخيه « حبوس » الذى خلفه .

زد على ذلك أنه كان هناك بعض الأمراء من البربر في « قرمونة » و « مورة » و « رندة » ، كما كان بنو الأفطس - أصحاب بطليوس - ينتمون الى ذلك الجنس ذاته لكنهم استعربوا تماما ، حتى لقد ادعوا أنهم من أصل عربى ، ومن ثم شغلوا منزلة لم يشغلها أحد سواهم .

أما الفريق المعارض فكان من رجاله « خيران » أمير المرية ، و « زهير » الذى خلفه سنة ١٠٢٨ م [= ٤١١ هـ] ، و « مجاهد » أمير جزائر البليار ودانية ، وهو الذى فاق رجال زمنه فى غاراته البحرية ، وقد أكسبته حملاته على سردينية وسواحل إيطاليا شهرة فائقة ، كما نبه اسمه وذاع صيته لعطفه على الأدباء ورعايته إياهم .

كان الحكم فى بداية الأمر واقعا فى يد جماعة من الصقالبة ، حتى اذا كانت سنة ١٠٢١ م نودى بعبد العزيز حفيد المنصور ابن أبي عامر - ملكا عليها ، كما وفدت على سرقسطة أسرة عربية النسبة نبيلة المحتد هى أسرة بنى « هود » التى صار لها السلطان وآل إليها الحكم بعد موت المنذر [بن يحيى] سنة ١٠٣٩ م [= ٤٣١ هـ] .

ولن نمضى هنا فى تعداد العدد الوفير من الولايات الصغيرة ، ولكننا نكتفى بالانسارة الى مملكة طليطلة التى ظلت تحت حكم أحد الولاة واسمه « يعيش بن محمد بن يعيش » حتى سنة ١٠٣٦ [= ٤٢٨ هـ] ومنذ ذلك الحين انقل الأمر الى يد بنى ذى النون ، وهم أسرة بربرية قديمة ساهمت فى فتح اسبانيا ابان القرن الثامن الميلادى .

ولقد اجتمع وجوه أهل قرطبة - بعد زوال الخلافة عن بلدهم - وأجمعوا أمرهم على أن يسوقوا الأمر الى « ابن جهور » الذى طبق خبر كفايته الآفاق ، لكنه رفض فى بادىء الأمر قبول هذا المنصب ثم عاد فقبله ازاء الحاج القوم الشديد عليه مشترطا عليهم أن يشاركه فيه رجلان من أهل المجلس تربطهما بأسرته وشائج القربى ، وهما « محمد بن عباس » و « عبد العزيز بن حسن » ، فاستجاب المجنمون الى ما طلب وان انقعدوا معه على ألا يكون لهدين الرجلين من الأمر سوى المشورة .

سار أول هؤلاء الثلاثة فى حكمه لهذه « الجمهورية » سيرة العقل والسداد ، ويرجع اليه الفضل فى انقطاع شكوى أهل قرطبة من وحشية البربر ، اذ استهل أعماله بصرف البربر عما بيدهم مستعيضاً عنهم بحرس وطنى ، ولم يستبق سوى بنى « يفرن » ثغفه منه لطاعتهم له . وكان ظاهر ابن جهور يسير الى أخذه بنظام السورى أخذاً مطلقاً ، فإذا طلب أحد منه فضلاً زعم أن ليس الأمر بيده بل من اختصاص مجلس المشورة ، وقال انه هو ذاته ليس أكثر من منفذ لما يوصى به هذا المجلس ، وكان اذا جاءت رسالة موجهة اليه هو نفسه أبى أن يتسلمها وأصر على وجوب بعثها الى المشيرين ، ولم يكن يقدم قط على أمر ما الا بعد أخذ رأى المجلس ، ولم يؤخذ عليه أبداً أنه ظهر بمظهر الحاكم فلم يعتمد للسكن فى القصر الخليفى بل ظل مقيماً فى بيته العادى الذى كان يقيم به من قبل ، لكن الواقع أنه كان مطلق السلطان فلم يحدث قط ان جرؤ المجلس على معارضته .

كذلك كان شديد الصلاح بالغ الدقة ، فلم يشأ أن تكون الخزينة العامة فى داره بل عهد بحراستها الى فريق من أعظم رجال البلد احتراماً .

أجل ٠٠٠ لقد كان شديد الحب للمال شرها فى جمعه ، لكن رعايته للصالح العام حالت بينه دائماً وبين القيام بأى عمل قد يحط من كرامته ، وكان مقتصداً الى درجة التقصير ان لم تقل الشح ، فتضاعفت أمواله ، وغدى أثرى أهل قرطبة على الإطلاق ، لكنه عمه فى الوقت ذاته الى القيام بمحاولات مملوءة الأثر لاستعادة الرضاء العام ، فوثق علاقاته الودية مع جميع الولايات المجاورة ، ونجح فى هذا السبيل الى أقصى غاياته ، فوجدت التجارة والصناعة - بعد فترة وجيزة - من الطمأنينة ما كانا

فى مسيس الحاجة اليه ، كما انخفضت اسعار السلع ، ووفد على قرطبة
جمع كنيف من السكان الجدد اعدوا بناء بعض الأحياء التى دمرها
البربر والتى كانوا قد حرقوها حين تخريبهم المدينة (٢) ، ومع ذلك كله
فانه لم تتح الفرصة لعاصمة الخلافة القديمة أن تسترد عظمتها السياسية
السالفة ، بل الظاهر أن دور الصدارة آل منذ ذلك الحين الى اشبيلية
اللى سنعننى بنفصيل تاريخها .

لعد ارنبط مصير اشبيلية منذ زمن بعيد بمصير قرطبة ، ومن ثم
مرت بنفس الدور الذى مر بالعاصمة فخضعت لحكام من البيت الأموى ،
ثم لحكام من بنى حمود ، غير أنه كان لثورة قرطبة سنة ١٠٢٣ م
[= ٤١٤ هـ] رد فعل فى اشبيلية ، فقد تمرد سكان العاصمة على
القاسم الحمودى وأخرجوه من بلدهم فالتمس له ملجأ باشبيلية التى
كان بها ولداه مع حامية من البربر بقيادة « محمد بن زيرى » من قبيلة
« ايفرن » ، ثم عمد بعدئذ الى اصدار أمره الى الاشبيليين باخلاء ألف بيت
لتنزل فواته بها ، فاشتد استياء أهل اشبيلية وعظم تذرهم منه ،
لا سيما وأن جند القاسم الحمودى - وهم أفقر أبناء جنسهم - كانوا
معروفين بين الناس بالسمة الشائنة وانهم من كبار اللصوص ، ولما أدرك
الاشبيليون - من موقف قرطبة العاصمة - انهم قادرون على التخلص من
النير الذى يرسفون فيه فقد حاولوا أن ينهجوا نهجا جديدا ، لكن لم
يصددهم عن السير فى هذا الطريق الا خوفهم من الحامية البربرية ، غير
أن قاضى المدينة - وهو أبو القاسم محمد - وكان من أسرة بنى عباد -
وفق الى استمالة قائد تلك الحامية مهونا عليه الاستيلاء على اشبيلية
فبادر « محمد بن زيرى » بالمجاهرة بالعصيان والوقوف الى جانب
« أبى القاسم » ، ومن ثم تم التحالف بين القاضى وبين قيادة قرمونة
البربرية ، واذ ذاك نهض الاشبيليون وامتشقوا السلاح وانضمت اليهم
حامية المدينة ، وحملوا على أولاد القاسم وأحدقوا بالقصر .

ولما وصل « القاسم » الى اشبيلية وجدها قد أغلقت أبوابها فى
وجهه ، فحاول استمالة أهلها اليه ومناهم بالوعود الجمة الخلافة ، لكن
ذهبت محاولاته هذه كلها أدراج الرياح ، وأدرك الخطر العظيم المحدق
بولديه ، فاضطر للاتفاق مع الاشبيليين فيخلى لهم بلدهم لقاء أن يردوا
عليه ولديه فاستجابوا لعرضه حتى اذا اطمأنوا الى انسحابه اغتنموا أول
بادرة سنحت لهم فطردوا الحامية البربرية (٣) .

حين استردت المدينة حريتها التأم شمل أربابها للنظر فى اقامة
حكومة لهم الا أنهم لم يكونوا مطمئنين للخاتمة التى انتهت إليها ثورتهم ،
فاستبد بهم الخوف من عودة « بنى حمود » الغاضبين حينذاك لن يقصروا

عن انزال العقاب الشديد بالمنترزين ، ولم يجرؤ أحد من أهل البلد على تحمل مسئولية ما جرى ، فأجمعوا أن يلقوا التبعة على كاهل القاضى الذى كانوا يحسدونه على ثرائه الطائل ، وخامرتهم الفرحة وإن أخفوها وتطلّعوا الى اللحظة التى تتم فيها مصادرة الأموال الكبيرة التى عنده (٤) .

حينذاك عرضوا الحكم على القاضى الذى كان أحكم من أن يقبل عروضهم فى تلك اللحظة بالذات رغم ما جبل عليه من الطمع الشديد .

لم يكن القاضى أنيل المنبت رغم ثروته الطائلة التى بلغت ثلث أراضى اسبيلية ، الى جانب ما كان يتمتع به من احترام عظيم بفضل مواهبه وعلمه ، غير أن أسرته لم تكن قد بلغت ذؤابة الشرف الا منذ حين قريب ، وقد أدرك هو أنه لابد من أن يكون تحت امرته فريق كبير من الجند والا قام الأشراف الموتورون فى اسبيلية بالنمرود عليه وهو الدخيل عليهم ، المحدث بينهم مما لا يمكن انكاره ، والواقع أنه قد حدث فيما بعد ان قام بنو عباد - حين أوشكوا على التربع على عرش الحكم - فأرجعوا نسبهم الى ملوك لخم القدماء الذين تولوا الحكم بالحيرة قبل ظهور الاسلام ، واذ ذاك أخذ شعراء بلاطهم فى اهتبال كل فرصة للاشادة بهذا الأصل الزكى وان لم يكن هناك ما يؤيده على الاطلاق ، ولم يستطع بنو عباد - ولا متلقوهم - أن يقيموا البرهان على صحة ما يزعمون ، بل كان كل ما يربط الأسرة بملوك الحيرة القدماء هو انتماء الجماعتين الى قبيلة لخم اليمنية ، غير أن فرع تلك القبيلة - الذى زعموا انه قد خرج منه بنو عباد - لم ينزل الحيرة أبدا ، بل سكن العريش من تخوم مصر ، كما استقر بعضه فى كورة « حمص » من بلاد الشام (٥) ، ولم يستطع بنو عباد أن يرقوا بنسبهم حتى يلتقى بملوك الحيرة بل كل ما فى الأمر أنهم وصاوا به الى « أبى العطف نعيم » الذى كان قد وفد الى الأندلس برفقة « بلج » قائد جند حمص الذين نزلوا قرب اسبيلية ، ثم استقر أبو العطف فى قرية « يومين » من أعمال « طشانة » على شواطئ الوادى الكبير ، وقد ظهر من هذه الأسرة سبعة أجيال من الرجال الفضلاء المفضلين المجدين الذين عملوا فى هدوء وأناة على اخراج الأسرة من ماضيها المظلم ، وكان اسماعيل - أبو قاضينا هذا - أول من رفع مكان أسرته ، وهو الذى خط لاسم بنى عباد سطورا فى صفحة أشراف اسبيلية الذهبية (٦) .

ولقد جمع اسماعيل فى آن واحد بين الفقه والقضاء والسيف ، فقاد كتيبة من حرس هشام النانى ، ثم صار امام مسجد قرطبة الجامع ، ثم تولى قضاء اسبيلية ، وعرف بالمعيتة وحكمته وصبوب رأيه وصرامته ، وقرن ذلك كله بالصلاح والنقوى ، فلم يحدث قط أن قبل هدية من

السلطان أو أحد من الوزراء رغم اضطراب البلد اذ ذاك بالفساد الشامل .
كذلك كان كريما الى حد الاسراف ، فوجد القرطبيون المنفيون عنده
كرم الضيافة ، فلا جرم ان هو استحق لكل تلك الخلائق أن يلقب بأنبل
رجال المغرب ، ثم مات سنة ١٠١٩ م [= ٤١١ هـ] أى قبيل الحقبة
التي نتكلم عنها بقليل (٧) .

ولعل ابنه القاسم كان ضربه في العلم وان لم يماثله في المروءة ،
بل كانت تغلب عليه الأنانية ويتملكه الطمع ، ودل أول عمل له على الجحود
اذ ما كاد أبوه بموت حتى تطلع لولاية القضاء من بعده في الوقت الذي كان
فيه هناك من يبره ويفضله ، وقد نجح في تولي هذا المنصب الذي كان
يتطلع اليه بفضل ندخل الأمير قاسم (٨) بن حمود اذ كان كاتبه ، وسنرى
كيف كان نقديره لهذه المنة عليه وكيف كانت مجازاته اياها .

لقد عرض أولو الحل والعقد حكومة أشبيلية على « أبى القاسم »
الذى أدرك الدوافع التي حركتهم للاقدام على ذلك العمل ، فأبدى تمنا
في قبول هذا الشرف العظيم الا بعد أن يضموا اليه جماعة يختارهم هو
بنفسه ليكونوا وزراء ومشيريه حرصا على ألا يستبد بأمر وحده
والا يقطع أمرا دون رأيهم ، فقبل الأشبيليون طلبه اذ اصراره هذا ،
ثم سألوه أن يسمى لهم أولئك الزملاء الذين يريدهم فسمى لهم طائفة
من أبرز الأسر أمثال « الهوزنى » و « ابن حجاج » وغيرهما ممن يعدون
في الواقع صنائعه ، أو ممن يميلون اليه أشباه « محمد بن يريم » من قبيلة
« ألهان » ، و « أبى بكر الزبيدي » اللغوى النابه الذكر مؤدب هشام (٩)
الثانى .

ولما فرغ أبو القاسم من ذلك أخذ نفسه بتكوين جيش له انخرط
تحت لوائه فيه كثير من الجند العرب والبربر الذين تسارعوا الى صفه
بفضل أعطياته ، كما استترى عددا وفيرا من العبيد ودربهم على فنون
الحرب (١٠) .

كذلك جرد حملة الى الشمال قادها بنفسه ، ومن المحتمل أن يكون
قد ساهم معه فيها بعض الأمراء ، وتمخضت هذه الحملة عن زيادة جيشه ،
اذ حاصر فى هذه المرة حصنين يقعان الى الشمال من « بازو » يواجه
أحدهما الآخر ويقومان على دفاع من الأرض ويفصلهما عن بعضهما أحد
الأخوار ، ويعرفان بحصنى « الأخوين » ، وهو اسم لا يزال باقيا الى اليوم
فى التسمية المعروفة باسم « الأفوين » (١١) وكان ينزلهما جماعة من
النصارى الاسبان ممن عقد أسلافهم معاهدة مع القائد موسى بن نصير
حينما فتح « بازو » . أما فى الوقت الذى نتكلم عنه فالظاهر أنهم لم
يكونوا يتبعون ملك ليون ولا أى أمير مسلم .

استولى القاضي [أبو القاسم] على هذين الحصنين وأرغم ثلاثمائة من المدافعين عنهما على العمل في خدمته (١٣) ، فأصبح منذ ذلك الحين تحت امرته خمسمائة فارس ، وتوفر لديه عدد من الجند كان كافيا لشن الغارات على أراضي جيرانه (١٤) ، ومع ذلك كله لم يكن القاضي قد بلغ من القوة الدرجة التي تمكنه من الدفاع عن أسبيلية ضد أى هجوم جدى .

ولقد ثبت هذا للعيان سنة ١٠٢٧ م [= ٤١٨ هـ] حين قام الخليفة « يحيى بن على الحمودى » - أمير بربر قرمونة - ومحمد بن عبد الله بمحاصرة أسبيلية (١٥) التي كان أهلها أضعف من أن يقاوموا يحيى طويلا ، وما لبسوا أن شرعوا في مفاوضاته وأعلنوا استعدادهم للدخول في طاعته على ألا يدخل البربر المدينة ، فقبل يحيى شروطهم ، لكنه طلب منهم أن يسلموه بعض أبنائهم رهينة عنده دليلا على اخلاصهم في صدق دعواهم ، فذب الذعر في المدينة من جراء هذا الطلب ، وأنكر كل أسبيلي على نفسه أن يسلم ابنه للبربر الذين قد يقتلونه لأدنى شبهة تحتك في صدورهم ، أما القاضي فكان هو وحده الذى لم يتردد في الاستجابة فأسلم ولده « عبادا » الى يحيى [بن على] الخليفة الذى كان يعرف ما يتمتع به ذلك القاضي من سعة النفوذ ، فلا عجب ان قنع يحيى [بن على] بهذه الرهينة المفردة .

أدى هذا العمل المتطوى على الاخلاص الى زيادة محبة القوم للقاضي الذى أمن منذ ذلك الحين جانب الاشراف والخليفة على السواء ، وكان القاضي قد اعترف في الظاهر بسلطان يحيى ، وتراعى له أن الفرصة قد واثته للانفراد بالحكم .

كان القاضي قد صرف من مجلس المشورة بعض أنصاره كالحجاج والهوزنى ، ولم يبق معه سوى الزبيدى « وابن يريم » ، لكنه ما لبث أن صرفهما هما أيضا فنفى الزبيدى (١٦) ، وساق الحجابة الى رجل من أوساب ضواحي أسبيلية اسمه « حبيب » ، وهو رجل متقلب وان كان ذكيا نشيطا شديد النفاق لما فيه خير مولاه (١٧) .

وطمع القاضي بعدئذ في بسط رقعة أملاكه بالاستيلاء على « باجة » التى قاست العذاب في القرن التاسع من جراء الفتنة بين العرب والعلوج ، والنسب إليها النهب والدمار في الأيام الأخيرة على أيدي البربر الذين انسأبوا فيها يسلبون ويحرقون كل ما يصادفهم ، فعزم القاضي على تجديدهما ، غير أن خبر ذلك المشروع تراءى الى سمع « عبد الله بن الأفتس » أمبر بطليوس ، فانفذ إليها الجند بقيادة ابنه محمد الذى خلفه وسمى « بالمظفر » .

لم يكده اسماعيل بن القاضى يقف أمام أسوار « باجة » على رأس جيش أسبيلية وجيش « قرمونة » الذى كان حليف أبيه حتى كان جند « المظفر » قد تم لهم الاستيلاء عليها ، فبادر اسماعيل فى لحظته بمحاصرتها وشرع هو وفرسانه فى نهب القرى الواقعة بين « يابرة » والساحل ، وعلى الرغم من النجدة التى تسلمها محمد بن الألفطس من « ابن طيفور » أمير « مرتلة » إلا أنه كان عاثر الجند فقد فقد أحسن محاربيه ووقع هو ذاته فى أبدي أعدائه الذين بعنوا به الى « قرمونة » .

قوى ساعد القاضى وحليفه بما أحرزا من الانتصارات ، فلم يعد الأمر قاصرا على شن الغارات على نواحي « بطليوس » بل تجاوزتها الى أرباض قرطبة التى اضطرت حكومتها الى اصطناع بربر شذونة ، لكن لم تنقض فترة وجيزة حتى عقد الصلح - أو الهدنة - مع بنى الألفطس ، وحسبذاك أطلق سراح محمد من أسره برضاء القاضى وتم ذلك فى مارس ١٠٣٠ م [= ٤٢٢ هـ] .

مضى أمر قرمونة وأفضى الى محمد [بن عبد الله بن الألفطس] بأنه قد أصبح حرا ، وأشار عليه بالانطلاق الى أسبيلية ليشكر القاضى الذى كان محمد شديد المقت له ، فأبى ، ورد على البربرى أنه يؤثر البقاء فى الأسر على الذهاب الى هذا الرجل وشكره ، فلم يشأ أمير قرمونة أن يجرحه فى شعوره ولم يلح عليه فيما طلبه منه ، بل بحث به الى بطليوس معظم التعظيم اللائق به .

وبعد ذلك بأربع سنوات ، أعنى سنة ١٠٣٤ م [= ٤٢٦ هـ] انتقم عبد الله من الألفطس لنكاح الإهانات التى لحقته انتقاما بعيدا عن الشرف ، إذ أذن للقاضى أن تسير جيوشه بقيادة ولده اسماعيل عبر بلاده وهى ماضية فى اغارتها على مملكة ليون ، بيد أن اسماعيل لم يكده يصل الى ممر غير بعيد عن الحدود الليونية حتى فاجأه ابن الألفطس فهلك كثير من جند أسبيلية ، وقتل البعض منهم أثناء الفرار على يد الفرسان اللمانيين ، ونجى اسماعيل فى طائفة ضئيلة من رجاله من تلك المذبحة ، كما صادفوا أشد أنواع الحرمان وهم ماضون شطر مدينة « لشبونة » الواقعة على الحدود الشمالية من ممتلكات أبيه .

أصبح القاضى منذ ذلك الحين ألد عدو لأمير بطليوس (١٨) ، لكن ليس بين أيدينا تفاصيل الوقائع التى جرت بينهما بعدئذ ، ولا شك أنه لم يكن لهذه الواقعة من نتائج هامة فى تاريخ اسبانيا الاسلامية أكثر مما كان لحادثة أخرى ذات وجه آخر سنتكلم عنها حالا .

لقد قلنا ان القاضى اعترف بسلطان « يحيى بن على » الخليفة

الحمودى ، الا أنه كان اعترافا اسميا فقد استبد القاضى بالحكم فى
أشبيلية دون أية رقابة عليه ، وكان يحىيى أضعف من أن يحمله على
مراعاة ما له من الحقوق عليه ، ثم أخذ هذا الوضع فى التغير بالتدريج ،
اذ عمل يحىيى على اجتذاب جميع زعماء البربر الى صفه ، وأصبح فى الواقع
ضد ما كان عليه أولا ، اذ صار زعيم الحزب الافريقى بعد أن كان له من
ذلك الاسم فقط ، ولما كان قد نصب معسكره العام فى « قرمونة » التى
استنزل منها محمد بن عبد الله (١٩) فقد أخذ يهدد كلا من قرطبة
وأشبيلية على السواء (٢٠) .

أوحى شدة الخطر اذ ذاك الى القاضى بفكرة وطنية خطيرة لم يكن
الطمع هو الباعث عليها ، ذلك أنه رأى ضرورة اتحاد العرب والصقالبة
تحت قيادة زعيم واحد للحيلولة بين البربر - الذين توحلت صفوفهم -
وبين معاودة فتح البلاد التى فقدوها ، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة
المثلى للحفاظ على البلد وتجنب الأخطار التى قاساها من قبل .

كان القاضى يحس بضرورة تلك الوحدة فرغب فى تأليف عصابة
كبرى تضم جميع خصوم الافريقين ، وطمع فى الوقت ذاته أن يكون هو
رئيسها ، وان كان يدرك أن هناك عقبات جمة تعترضه لابد له من
بخطيها ، ذلك أنه كان يعرف أن كبار الصقالبة ووجوه العرب وأشرف
قرطبة يرون فى توليته عليهم امتهانا لكرامتهم ومساسا بهم ، لكنه لم
يدع آمنا هذه الاعتبارات تتغلب عليه مخافة أن يتسرب اليأس الى همته ،
وكان يدرك أن الظروف أكبر معين له ، لذلك صمم أن يمضى قدما فى
تحقيق مشروعه . وسنرى كيف تم له ذلك .



قلنا آنفا ان الخليفة المنكود - هشاما النانى - كان قد هرب من
قصره زمن حكومة سليمان ، وقلنا ان الدلائل تجمع على أنه مات فى آسيا
مجهولا من الناس غير معروف لأحد ، الا أن الشعب كان شديد التعلق
بالأسرة الأموية التى أتاحت له الرخاء والمجد ، فرفض أن يذهب مذهب
القائلين بموت هذا الخليفة أو يصدق ما يشبهون ، بل أخذ يتلقف فى
شره وشوق الانساعات العجيبة المتعلقة بمصره ، فظهر فريق من الناس
حذفوا رواية التفاصيل الدقيقة عن رحلة هشام فى آسيا ، وزعموا فى
بأدىء الأمر انه سافر الى مكة حاملا معه كيسا من النقود والأحجار الكريمة ،
غير أن حرسه السود اغتصبوه منه ، فقضى يومين وليلتين سويا لم تذق
عيناه فيهما النوم ولا دخل طعام جوفه حتى قبض الله له أن يصادف
خزافا رآه فأشفق عليه وسأله : « أتحسن عمل الطين يا فتى ؟ » فقال :

« نعم ! » ، فقال الخزاف « ان تعجنه وافقتك على درهم وقرصة » ، فقال له هشام : « عجل القرصة فاني جائع !! » .

وظل هشام مدة من الزمن يعمل عند الخزاف رغم عدم اتقانه الصنعة ، ثم ما لبث القلق أن تسرب الى نفسه ، وكان في غاية الفقر والاملاق ، فترك المكان وخرج حيث صادف قافلة كانت في طريقها الى فلسطين ، فانضم اليها ورافقها حتى بلغت بيت المقدس فأقام به ما شاء الله له أن يقيم هناك ، حتى جاء يوم كان يتجول فيه في طرقاتها فتوقف أمام دكان حصري منهمك في عمله فسأله الحصري : « كأنك تحسن هذه الصناعة » فقال : « لا » فقال الحصري : « هل لك أن تقيم عندي تناولني الحلفاء وأجعل لك أجره على ذلك ؟ » فقبل هشام عرضه مسرورا ، وعمل حتى أتقن صناعة الحصر ، وانقضت عليه بضع سنوات وهو مقيم حيث هو ثم عاد بعدها الى اسبانيا (٢١) في مايو ١٠٣٣ م [= ٤٢٥ هـ] فذهب الى « مالقة » (٢٢) ثم مضى الى « المرية » عام ١٠٣٥ [٤٢٧ هـ] ، غير أن الأمير زهيرا ما لبث أن أخرجه من بلاده فمضى الى قلعة رباح وأقام فيها (٢٣) .

وعندنا أن هذه القصة التي آمن الشعب بها كل الايمان وصدقته العامة كل التصديق لا تصبح في الأذهان مطلقا ، وأن حقيقة الأمر تتلخص في أنه في الوقت الذي كان يحيى يهدد فيه أشبيلية وقرطبة كان يوجد بقلعة رباح حصري اسمه « خلف » ، شديد النسبة بهشام ، وان لم يكن ثم ما يؤكد أنه هو الخليفة ذاته ، حتى ان الموالى الأمويين وفيهم المؤرخان ابن حزم وابن حيان ممن يهمهم الاعتراف بهشام المزعوم أنكروا أشد الانكار ما يقوله القوم وسموه بالخديعة الكبرى .

على أية حال استندت المطامع بخلف [الحصري] حين أكثر الناس في أحاديثهم عن شدة شبهه بهشام الثاني ، كثرة أدت به الى أن يدعى أنه هو السلطان ، وصدقته أهل « قلعة رباح » لجهلهم جميعا أصله ، والأعجب من ذلك أنهم ولوه عليهم وثاروا على أميرهم « اسماعيل ابن ذى النون » أمير طليطلة الذي نهض اذ ذاك لحصsarهم فلم يقاوموه طويلا ، واضطروا الى اخراج « هشام » المزعوم من بلدهم والعودة الى طاعة مولاهم القديم (٢٤) .

الا أن دور خلف لم ينته بل بدأ من جديد ، اذ ما كاد قاضي أشبيلية يسمع بخبر عودة هشام حتى شرع يفكر فيما قد يستطيع الانتفاع به من هذا الرجل لو أنه استقدمه الى أشبيلية ، ولم يكن يعنيه قيد شعرة أن يكون « خلف » هذا هو هشام الثاني نفسه أم غيره ، بل كان كل ما يرجوه أن يكون الشبه بينهما قويا جدا حتى لا يلقي هو عناء في

الزعم بأنه الخليفة الراحل ، واذ ذاك يسهل عليه تأليف عصابة باسمه لمقاومة البربر ، وهى العصابة التى يصبح القاضى عصبها ومحركها باعتباره وزير الخليفة ، ومن ثم استدعى الدعى للاقامة فى أشبيلية ووعده بمساعدته ان ثبت ما يقوله من أنه هو هشام الثانى .

لم يتوان الحصرى عن المبادرة بالذهاب الى أشبيلية حيث عرضه القاضى على حريم هشام ، ولما كن قد لقن ما سوف يقلنه فقد انعقد اجمعهم على أن هذا الرجل هو الخليفة السابق نفسه ، وحينذاك ركن القاضى الى شهادتهن وكتب الى مجلس المشورة بقرطبة والى شيوخ العرب وزعماء الصقلية يعلن اليهم وجود هشام عنده ويدعوهم لامتشاق السيف تأييدا لحقه (٢٥) .

وأتت هذه الخطة خير النتائج فقد اعترف بهشام وسلطانة كل من محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخلوع الذى ألقى عصا التسيار بأشبيلية (٢٦) وعبد العزيز أمير بلنسية و « مجاهد » أمير « دانية » والجزائر الشرقية وأمير طروشة (٢٧) .

واشتدت حماسة أهل قرطبة حين علموا بأن هشاما لا يزال حيا يرزق ، غير أن أميرهم أبا الحزم [جهور بن محمد] بن جهور لم يصدق ما زعمه القوم ، وكان حريصا على ألا يفلت الأمر من يديه فلم يخدع بما أرجف به الناس ، لكنه أدرك ألا قبل له بمقاومة ارادة الشعب ، ورأى ضرورة اتحاد العرب والصقلية تحت رئاسة أمير واحد ، لكنه خاف أن يعاود البربر مهاجمة قرطبة ، ومن ثم لم يعارض رغائب مواطنيه وسمح للقوم فى نوفمبر ١٠٣٥ م [= ٤٢٧ هـ] بتجديده البيعة لهشام (٢٨) .

فى هذه الأثناء كان الحزب العربى الصقلبى يدعو فى كل مكان الى حمل السلاح ضد يحيى الذى كان يحاصر اذ ذاك أشبيلية مخربا ما حولها ، والذى أجمع عزمه على انزال أشد الانتقام بهذا القاضى الداهية ، وكان يحيى فى محيط من الخونة اذ كان بربر قرمونة الذين حملهم على الانخراط تحت لوائه شديدى التعلق بأميرهم السابق فكاتبوه ، ثم عمد بعض أولئك البربر فى شهر أكتوبر ١٠٣٥ م [= ٤٢٧ هـ] الى التسلسل خفية الى أشبيلية فلما بلغوها أفضوا الى القاضى والى الأمير محمد بن عبد الله أنه من اليسر عليهما مباغته الأمير يحيى لأنه لا يفيق من سكره ، وفى الحال عزم القاضى وحليفه على اغتنام هذه الفرصة حيث خرج اسماعيل ابن القاضى على رأس الجيش الاشبيلي وفى صحبته محمد بن عبد الله ، ولما أرخى الظلام سدوله بقى هو ومعظم جنده فى مخبأ بعيدين عن الأعين ، وأنفذ كتيبة للزحف على « قرمونة » مؤملا اخراج يحيى من القصر .

ونجحت خطة اسماعيل فقد كان يحيى منصرفا الى الشراب حين أخبروه بقدوم الأنشيليين ، وسرعان ما غادر مجلسه قائلا : « وإيضا بختى ٠٠٠ الليلة ابن عباد زائرى » . ثم دعى رجاله لحمل السلاح فاستجاب القوم لأمره وما لبث أن خرج من المدينة مستصحباً ثلاثمائة فارس ، واشتدت به الحميا فكر بغتة على الأعداء دون أن يرتب صفوفه للقتال ، فلم يستتب الأشباح فى الظلمة .

أدى هذا الهجوم الفجائى الى شىء من الاضطراب فى صفوف الأنشيليين ، الا أنهم استنبسوا فى صده ، حتى اذا اضطروا الى الارتداد تتهقروا شطر الناحية الموجود بها اسماعيل ، واذا ذلك غطى الحين على بصر يحيى فقد انقض عليه اسماعيل بمن معه من نصارى « الأخوين » وقضوا على أعدائهم ، وكان يحيى نفسه بين القتلى ، وما كان لمعظم رجاله الا أن يشاطروه مصيره لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك فقد التمس من اسماعيل الابقاء على أولئك التعساء قائلا له ان أغلبهم من بربر قرمونة الذين أكرهوا على العمل فى خدمة ذلك الطاغية .

نزل اسماعيل على رجائه وأمر رجاله بالكف عن تتبعهم ، ولم يك هذا الأمر يصدر حتى اعتلى محمد بن عبد الله صهوة جواده وخب به قاصدا قرمونة لاسترداد امارته ، فأراد سودان يحيى الذين استولوا على أبواب المدينة منعه من دخولها الا أنه استطاع بمعونة الأهالى من اقتحامها من عودة فى السور ودخل قصر الأمير يحيى ، وأباح نساءه لأبنائه ، واستحوذ هو على جميع ما بالقصر من مال ومتاع ، وقد تم ذلك كله فى نوفمبر ١٠٣٥ م . [٤٢٧ هـ] .

طغت على قرطبة موجة من الفرح حين ذاع خبر هلاك يحيى ، كما سجد القاضى لله شكرا حين تناهى اليه هذا النبأ ، وفعل فعله جميع من كانوا حوله اذ ذاك ، اذ لم يعد ثم شىء يخنساه الناس من جانب بنى حمود (٢٩) .

غير أن أهل مألقة استخلفوا عليهم ادريس أخا يحيى ، لكن الوقت كان أقصر من أن يمكنه من استمالة زعماء البربر اليه بالعطايا والعهود ، وعجز عن أن يخضع الجزيرة الخضراء التى بايع العبيد السود فيها أخاه محمدا بالخلافة (٣٠) ، فلما رأى القاضى أن الظروف موافية له أراد أن يقيم هو وهشام الثانى المزعوم فى القصر الخليفى بقرطبة لولا اصرار ابن جهور على ألا يدع الحكم له اذ نجح فى اقناع مواطنيه بأن الخليفة المنسوب ليس الا دعيا أفاقا ، كما أبطل ذكر اسم الخليفة هشام الثانى من الصلاة العامة ، ومن ثم وجد القاضى أبواب المدينة مغلقة فى وجهه حين بلغها ، واضطر للرجوع من حيث جاء لقلعة من تحت يده من الجند اللازم لاختضاع مثل هذه المدينة العظيمة (٣١) .

صمم القاضي اذ ذاك على قتال الأمير الصقلبي الوحيد الذي أبى الاعتراف بهشام الثاني وهو « زهير » أمير المرية الذي كان أميل بطبيعة الحال الى ابن حمود ، وذلك بفضل الخليفة القاسم الذي أراد استمالة العامريين اليه فأقطعهم الاقطاعات الجمة ، فلما نودي بادريس خليفة بادر الى الاعتراف (٣٢) به زهير الذي لما رأى أنه مهدد بالخطر من ناحية القاضي حالف « حبوسا » الغرناطي ثم خف على رأس رجاله ورجال حليفه لصد الجيش الأشبيلي الزاحف عليه ، وأرغمه على الارتداد (٣٣) .

ومن الجلي أن القاضي قد أفرط في النقة بقواته ، وكان يخشى اللحظة التي تقوم فيها جيوش المرية وغرناطة هي الأخرى بدورها فتغزو مقاطعة أشبيلية .

ويشاء حسن طالعه ويمن نجمه أن تساعده المقادير التي كانت في خدمته على الدوام فخلصته من عدويه واحدا أثر الآخر .

الفصل الثامن

الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس

الكلام عن صمويل بن لبغى اليهودى وكفائه • استقدامه للكتابة
بديوان حبوس فى غرناطة بعد موت الوزير أبى القاسم • ارتقاؤه الى
مرتبة الحجابة وثناء الناس عليه • صفات صمويل وخلفائه لليهود •
ابن عباس وزير أمير المرية يغار منه ويحقد عليه • كراهية ابن عباس
للبربر • باديس بن حبوس يخلف أباه • ابن عباس يفسد ما بين غرناطة
والمرية ويرفض نصيحة بلجين البربرى فى اصلاح ذات البين • الحرب
بين غرناطة والمرية ووقوع ابن عباس فى أسر حبوس وسجنه ثم مقتله •
فرحة صمويل بزوال ابن عباس •

الصراع بين صمويل اليهودى وابن عباس

كانت مقالات الأمور فى غرناطة والمرية أثناء الحقبة التى نتكلم عنها فى يد رجلين يتنازعان الشهرة ، ، وان انطوى صدر كل منهما على المقت الشديدي للآخر ، وأعنى بهما ابن عباس العربى وصمويل اليهودى .

فأما « صمويل هاليقى » الربانى المعروف « بابن نفديلة » فقد ولد بقرطبة ودرس بها التلمود على يد الربانى « هنج » حاخام الطائفة اليهودية بها ، كما اهتم بدراسة الأدب العربى وألم بمعظم علوم الوقت اذ ذاك ، وأصاب حظا عظيما من كل ذلك ، ولم يكن بم ما يشغله بعد هذا سوى حانوت عطارة صغير افتتحه أولا فى قرطبة ثم انتقل الى « مالقة » التى نزح اليها بعد استيلاء بربر سليمان على العاصمة . وظل مقبما بها حتى وافته الفرصة السعيدة فانتشلت من هذا العمل التافه .

كان حانوت هاليقى على كتب من حصن تابع لأبى القاسم بن العريف وزير حبوس ملك غرناطة ، وكثيرا ما كان أهل تلك الناحية - وهم أميون - يكتبون الى مولاهم فكان لابد لهم من التردد على صمويل لكتابة رسائلهم التى كانت تنال اعجاب الوزير لما هى عليه من روعة البلاغة والاناقة اللفظية ، تعطرها زهرات البيان العربى .

وحدث أن قدم الوزير الى مالقة واغتتم الفرصة واستفسر من أهلها عما يكون محرر هذه الرسائل فلما عرف أنه ذلك اليهودى استقدمه اليه وقال له :

« ما يليق بك المقام بالحنوت ، انما مقامك ومكانك عند أقدام سرير الملك ، أستكتبك فتكتب !! » .

واستعجاب له صمويل ، واصطحبه الوزير معه الى غرناطة حين رجع اليها ، وازداد تقدير ابن العريف له ، وما تباحث معه فى شأن من شئون الدولة الا تكتسفت له فيه نواح من الذكاء النادر فى الحكم الصحيح على الرجال والأعمال ، كما تبدى له صدق نظرتة ، حتى ليقول أحد المؤرخين اليهود « ان جميع ما يصدر عن صمويل من الآراء يبدو وكأنه الهام » ، ومن ثم كان الوزير دائم الأخذ بآرائه والثناء عليها ، فلما أقعده المرض وشعر بدنو أجله قال لمولاه الذى خف لزيارته وقد أوقع فى يده اذ لم يدر

الى من يعهد بالوزارة ان وافقت ابن العريف المنية وهو الوزير المخلص
فقال له :

« ليس ما عهدت عندي من الرأي برأى يا مولاي ، انما أنا فيه
تبع لكاتبى صمويل اليهودى ، فاجعله قبلتك يكن لك وزيرا وأبا حنونا ،
وليساعدك الله » .

ونزل الملك حبوس على مشورة وزيره واستقدم صمويل الى القصر
واتخذته كاتباً ومشيراً (١) .

ربما لم يحدث فى أية اماره أخرى ما حدث فى هذه الامارة من أن
يباشر الوزارة رجل من اليهود ، وأن يلقب بالوزير والمشير ، على الرغم
من أنه طالما حظى اليهود بالقرب من بعض الحكام المسلمين الذين كانوا
يؤثرون أن يكلوا اليهم ادارة الشئون المالية على وجه الخصوص ، لكن
لم يحدث قط أن بلغ التسامح الى الدرجة التى يوكل فيها منصب الحجابة
الى أحد اليهود ، فان صبح ذلك فلا يصح الا فى غرناطة التى كانت زاخرة
باليهود حتى لقد تألف الناس على تسميتها « بمدينة اليهود » (٢) الذين
طالما تدخلوا فى شئون الدولة ، يساعدهم على ذلك ما هم عليه من الثراء
والقوة البالغة ، ومجمل القول انهم وجدوا فى غرناطة أرض المعاد أو على
الأقل « من الصحراء والسلوى وصخرة حوريب » .

كذلك يمكن تفسير ارتقاء صمويل بطريقة أخرى تلك هى أنه لم
يكن من اليسير على ملك غرناطة أن يجد له حاجبا ، فالواقع أنه كان
لا يستطيع أن يكل هذا المنصب الخطير الى أحد من البربر أو العرب لأن
القوم فى تلك الأيام كانوا يميلون لأن يكون الوزير أديبا كبيرا حتى يضع
الرسائل التى يبعث بها الأمير الى غيره من الأمراء ، وكانت تكتب فى نثر
مسجوع وبأسلوب بالغ الروعة ، وكان ملك غرناطة أشد القوم اهتماما
بالكفاءات التى من هذا القبيل ، وهو فى ذلك يشبه رجلا قد واثته النعمة
على كبر وعلى غير انتظار فحاول أن يظهر بمظهر العظيم . ولما كان حبوس
نصف بربرى فقد عمل كل جهده على اخفاء تلك الناحية فيه ، فراح
يشجع الأدب ، ويظهر الميل اليه والى الأدباء ، ثم ادعى بأن الأمة التى
خرج منها - وهى صنهاجة - ليست بربرية بل هى عربية (٣) النبعة ،
ومن ثم بذل غاية وسعه للبحث عن وزير لا يقل عن وزراء جيرانه .

لكن أنى له به ؟ وكيف يجده ؟ .

ان قومه من البربر يحسنون القتال ويجيدون الاستيلاء على المدن
ولا يجارون فى تخريبها وتدميرها ، لكنهم عاجزون عن كتابة سطر واحد

صحيح بلغة القرآن ، كما أنه هو نفسه لا يستطيع أن يعهد بالوزارة الى العرب الذين كانوا لا يرون عارا أن يخونوه ويسقطوه .

اذن يحق لحبوس - في هذه الظروف - أن يعد نفسه قد حصل على كثر ثمين اذ أتيج له أن يجد رجلا - وان يكن يهوديا مثل صمويل - يشهد له علماء العرب أنفسهم بتمكنه غاية التمكن من لغتهم الرائعة ، ثم انه - مع عطفه الشديد على أبناء ملته - لم يخطئ القصد مطلقا وهو يكتب الى المسلمين اذ كان يكثر من اقتباس العبارات الدينية التي ألفوا استعمالها (٤) ، لذلك لم يجد حبوس غضاضة في رفعه الى مرتبة الحجابة ، بل ان العرب أنفسهم زكوا هذا الاختيار واعترفوا - على الرغم منهم - بأنه من ذخائر العبقريات .

والحق أنه كان غزير العلم ، واسع المعرفة ، ملما بالرياضة والمنطق والفلك (٥) ، متقنا لما لا يقل عن سبع (٦) لغات ، أضف الى هذا مبالغته في العطف على الشعراء وأهل الأدب عامة ولم يقصر عن مدهم بعطايه جزاء مدحهم اياه والاشادة به ، حتى لقد قال فيه الشاعر المنفلت الأبيات التالية التي لا يذكرها المسلمون الا متبرئين منه ومستعيزين بالله ، ومنها قوله :

أجامع شمل المجند وهو مشئت
ومطلق شخص الجود وهو من الأسرى

فضلت كرام الناس شرقا ومغربا
كما فضل العقيان بالخطر القطرا

وان فرقوا بين الضلالة والهدى
لما قبلوا الا أناملك العشرا (٧)

أما الأمر الذي عجز العرب عن ايفاء صمويل حقه فيه فهو خدماته التي أداها للأدب العبري ، وهي خدمات جلييلة ، فقد وضع مقدمة للتلمود وآلف اثنين وعشرين كتابا في النحو ، كان من أوسعها انتشارا وأبرزها كتاب « الكنز » الذي عده أحد من لهم القول الفصل في هذا الموضوع وكان على دين صمويل وعاش في القرن الثاني عشر - أقول انه اعتبر كتاب « الكنز » هذا فوق جميع الكتب التي تبحث في النحو .

كذلك كان صمويل شاعرا حاكمي المزامير وأمثال سليمان وسفر الجامعة وبعض أسفار التوراة ، ولما كانت تلك الأشعار تزخر بالكنايات والأمثال الغريبة والاصطلاحات والتعابير النادرة المقتبسة من الشعراء القدماء فقد كانت صعبة الفهم حتى ان كثيرا من أعظم علماء اليهود كانوا

لا يستطيعون ادراك مراميها دون الاستعانة بالشروح (٧) ، لكن كان التخصص والبحث اذ ذاك شائعين في الأدب العبرى كما هو الحال في الأدب العربى الذى اتخذه صمويل مثالا يحتذىه وكان الغموض يعد اذ ذاك حسنة أكثر مما يعد عيبا .

كذلك كان صمويل يعطف عطفاً ألبانيا على شباب اليهود الباحثين فبسط يده للمملكين منهم بما يكفيهم ، واستخدم جماعة من الكتاب ينسخون له « المشنا » و « التلمود » وراح يهب هذه المخطوطات الى الطلاب العاجزين عن شرائها ، ولم تقتصر أفضاله على أبناء دينه من الاسبان وحدهم بل شملت أيضاً من كان فى افريقية وصقلية وبيت المقدس وبغداد وغيرها من اليهود الذين عاشوا على رفقته وعطاياه (٨) ، وأراد يهود ولاية غرناطة تقديم الدليل على تقديرهم اياه واعترافهم بفضلته فخلعوا عليه سنة ١٠٢٧ م [٤١٨ هـ] لقب « نغيذ » أى زعيم أو أمير يهود غرناطة .

ولما كان صمويل رجل دولة فقد جمع الى رجاحة العقل وجلالته : الحزم والبصيرة النافذة ، وكان من عادته - شأن السياسى - أن يتكلم قليلا ويفكر طويلا ، واستفاد من جميع الظروف اسفاده عجيبة ، فكان ملما بطباع الناس وميولهم وبالطرق التى يسلكها للتغلب عليهم وعلى شروهم ، وكان الى جانب هذا أيضاً رجل دنيا ، فاذا كان فى أبهاء قصر الحمراء الرائعة بدى فى غاية الرقة حتى ليحسبه الناظر اليه أنه ولد فى مطارف النعيم ، فلم يكن ثم من يجاريه ذلاقة لسان فى ادارة دفة الحديث ، أو بشاؤه فى اللطف ، أو يبلغ مبلغه فى الرقة وحلاوة الكلام ، أو يجاريه فى اجتذاب محدثه اليه بفصل قريحته الوقادة وحججه القوية الناصعة .

ثم ان هناك أمراً نادراً عند من دفعهم الحظ الى ذروة الرفاهية والمرتبة السامية ، ذلك أنه لم يكن عند صمويل ما قد يكون عند أرباب النعمة الجديدة من التعاطف والخطرة والزهو الأحمق ، وقد بلغ صمويل ما بلغ من المكانة عن استحقاق وذلك نتيجة حتمية للطف معشره وقربه من نفوس الجميع وبعده التام عن التعالى .

أضف الى ذلك أنه لم يخجل من وضعه الأول ، ولم يعمد الى اخفائه ، بل كان يشير اليه فى اعتزاز ويعلنه فى بساطة الى من يعيبه (٩) .

وأما ابن عباس - وزير زهير أمير المرية - فكان هو الآخر رجلاً بارزاً ، ويقال انه امتاز بأمور أربعة لم يبرز فيها أحد ما ، تلك هى : الكتابة والمال الوفير والبخل المتناهى والعجب الشديد .

والنابت أن ثروته بلغت من الضخامة مبلغ الخيال ، اذ أربت على ثلاثة آلاف ألف دينار ، وقد أسرف فى تآثيث قصره تأثيثاً هو بالأمراء

أليق ، فكان غاصا بالخدم ، تضم حجراته خمسمائة جارية كلهن من ذوات الجمال النادر ، لكن أعظم ما يعجب به المرء هو أنه كان عند ابن عباس مكتبة ضخمة تضم رفوفها أربعمائة ألف كتاب ، هذا الى جانب عدد جم من الدفانر والكراسات .

ولم يكن ينقص ابن عباس شيء من السعادة فكان جميلا ، في مبة الشباب لا يجاوز الثلاثين ربعا ، وكان شريف المولد اذ هو أنصارى الأصل ، وكان يتقلب فى مطارف النعمة ، ويترجم عما يريد فى لفظ يسيل رقة وبلاغة ، فذاعت بين الناس شهرته الأدبية الا أنه لسوء طالع له لازمه الغرور الذى لم يكن له حد ولا نهاية مما أدى الى كثرة أعدائه ، وكان القرطبيون على الأخص ألد الكارهين له ، اذ حدث فى ذات مرة أن قدم مع زهير الى بلدهم فعامل أبرز رجالهم وأشرفهم أرومة وأرفعهم مكانة معاملة تنطوى على الزرابة بهم والتحقير ، فلما حان وقت رحيله قال لهم : « ما رأيت بقرطبة الا سائلا أو جاهلا » .

ومن المحقق أن غروره قارب الجنون حتى لقد قال فى بعض قصائمه ما معناه انه لو كان جميع الأنام عبيدا له لتمنى ما فوق الجوزاء فان بلغها استقلها .

كما نظم البيت التالى الذى كان دائم التردد له كلما جلس يلعب الشطرنج :

عيون الحوادث عنى نيسام وهضمي على الدهر شيء حرام

غير أن هذا التحدى المعيب للقدر أثار غضب أهل المرية على بكرة أبيهم فقام أحد الشعراء الجريئين وترجم عن رأى الناس فقلب الشطر الثانى من البيت وقال : « سيوقظنا قدر لا ينام » .

ولما كان ابن عباس عربيا خالصا فقد كان شديد الكراهية للبربر عظيم الأزدراء لليهود ، ولعله كان لا يود عن صدق أن ينضم موله الى العصبة العربية الصقلبية لأن ذلك سوف يؤدى الى أن يصبح زهير فى المرتبة الثانية بعد قاضى أشبيلية رئيس تلك العصبة ، وكان أشد ما يثير ضيق ابن عباس أن يرى موله يحالف بربريا استوزر له رجلا من اليهود يكرهه ، لذلك اتفق مع ابن بكنة (١٠) - وزير آل حمود - بمالقة على القضاء على صمويل ، فافتري عليه كثيرا من الوشايات لكنها لم تبلفه غايته ولم تحقق له اربته ، واذا ذلك حاول التضريب بين موله وبين ملك غرناطة بأن سألته النهوض لمعونة محمد أمير قرمونة عدو حبوس ، وجازت عليه الحيلة .

لكن لم يلبث حبوس أن قضى نحبه في شهر يونيو ١٠٣٨ م
[= ٤٣٠ هـ] تاركا وراءه ولدين أكبرهما « باديس » وثانيهما « بلجين » ،
فمال البربر وفريق من اليهود لاستخلاف الأخير مكان أبيه ، على حين
رغب العرب وبقية اليهود - ومنهم صمويل - في أن يؤول الحكم الى
باديس بن حبوس ، وكادت الفتنة أن تشب بين الجانبين لو لم يبادر بلجين
بالتنازل لأخيه عن العرش من تلقاء ذاته ، واقتدى به أتباعه فبايعوا
منله أخاه (١١) مثلما بايعه هو .

وبذل الأمير الجديد قصارى جهده في إعادة التحالف مع صاحب
المرية الذي أعلن في النهاية أن سيتم الاتفاق على كل شيء عند اللقاء .

وخرج زهير في موكب ضخم رائع ووصل فجأة أمام أبواب غرناطة
دون أن يستأذن صاحبها في عبور بلاده ، فكان عملا كريها أسخط
« باديس » لكنه كظم سخطه وبالح في الترحيب بأمير المرية وأوسع على
من معه في القرى والضيافة وخلع عليهم الخلع الجمة ، الا أن المفاوضات
لم تفض الى شيء ما ، اذ لم يصل الأميران ولا وزراؤهما (وكان صمويل
لا يزال في الوزارة) الى اتفاق ما ، أضف الى ذلك أن زهيراً كان تحت
تأثير ابن عباس ومن ثم تعالى « باديس » تعاليا جرح كبرياءه ، لذلك فكر
ملك غرناطة في القصاص من أمير المرية جزاء سفهه لولا أن قام أحد
ضباطه واسمه بلجين أيضا وحاول المحاولة الأخيرة في تهدئة الأمور
واستقرارها واصلاح ذات البين فتسربل بالظلام ومضى الى ابن عباس
وقال له :

« اتق الله وصاحبك منقاد اليك ، وقد تعرفنا في تألفنا البركة .

« وقدر بيننا مثل هذه النعمة التي كثر عليها حسادنا .

« ما الذي غركم من ابن عبد الله حتى تقاطعونا في رضاه ؟

« فاجيبوا أميرنا الى ما دعاكم اليه من الألفة » .

فرد عليه ابن عباس رد المستخف الهازيء بما يقوله .

ولما حاول البربري استمالة بتقبيله والبكاء بين يديه قال له
ابن عباس :

« دع القعقة فليست تهولنا ، وكلامي لك الليلة مثل كلامي لك
بالأمس والله لا نزلتم الا على رضانا والا أعقبكم على ذلك ندامة » .

فنميز بلجين البربري غيظا من قوله هذا وسأله : « يا هذا أو أرجع
للجماعة فأحمل إليها ما تقول ؟ » .

فأجابه ابن عباس : « نعم ، وزد فيه ما شئت » .

وانصرف [الضابط البربري] بلجين وقد استفزه الحق وتملكه الغضب وانقلب الى باديس ومشيعته فأخبرهم بما كان بينه وبين الوزير وصاح : « يا صنهاجة ٠٠٠ والله هذه احدى الكبر ، قوموا لدفاعها بالقوة والا فليست داركم !! » .

وشاركه اهل غرناطة حنقه ، وكان أشدهم تسعرا فى الغيظ بلجين أخو باديس ، الذى راح يزيد ضرام الحقد فى نفس أخيه وألح عليه أن يبادر الى اتخاذ ما ينبغى اتخاذه من اجراءات عنيفة لتأديب اهل المرية ، فوعده أخوه باديس بتحقيق سؤاله .

واذ كان لابد لزهير - وهو منكفىء الى بلاده - من أن يمر على كثير من الأوعار ، كما لم يكن ثم محيص له من عبور قنطرة « ألونت » المسماة باسم البلدة المجاورة لها فقد أمر « باديس » بقطعها وأرسل رجاله لاحتلال الاحراج ، لكنه لما كان لا يحقد على زهير حقد أخيه عليه فانه لم يقطع الأمل بعد فى عودة صديق أبيه القديم الى ما كان بينهما من الحلف والمصافاة بدلا من الخلف والمعاداة ، وأجمع على أن ينفذ فى السر من يحذر زهيراً بالخطر الكامن له ، ومن ثم وسط ضابطا بربريا ممن يعمل فى جيش المرية ، فمضى ذلك الفارس ليلا الى زهير وقال له :

« أطعنى وقلدنى عارها وهون على نفسك هذا الحزن وخل عنها ، وتقدم الى قوادك الليلة فى الارتحال معك سرا ، واتخذ الليل جملا ، فلعلك تجاوز هذه الأوعار فتخرج من الورطة ، فان القوم متى تبعوك فيها دخلوا من التفرير فيما خرجت عنه ، وتهىأ لك العطف عليهم بمجال فسيح يمكنك القتال فيه والتعلق ببعض حصونك » .

والظاهر أن زهيراً لم يجد غضاضة فى الأخذ بهذا رأى لولا أن صاح به ابن عباس وكان حاضرا المجلس قائلا « هذا وسواس أدخلك فيه الذعر ! » ، فأجابه الفارس : « المثلئ تقول هذا وقد نيفت على عشرين وقعة ٠٠٠ وأنت ما قرعتك قط وعوعة ؟ ٠٠ ستعلم عاقبة أمرك !! » ، ثم خرج مغضبا حانقا .

علم المتربصون لابن عباس - وهم كثر - ما كان من نبذه مشورة الفارس البربرى ، ولم يكن نبذه اياها عن اعتقاد فى خطئها بل لطعمه فى أن يلقي زهير مصرعه اذا نشب القتال ، وقالوا ان ابن عباس كان يطمع فى حكم المرية ومن ثم رغب أن يلقي « زهير » حتفه فى محاربته الغرناطين ، وحينذاك ينجو ابن عباس بنفسه وينفرد بامارة المرية .

وليس من المستبعد أن يكون لهذا الاتهام نصيب من الصحة وسنرى

فيما بعد ابن عباس يمن على باديس بأنه نصب الشرك لزهير وأوقعه فيه .

على أية حال أحدثت قوات غرناطة في صباح ٣ أغسطس ١٠٣٧ م [= ٤٢٩ هـ] بزهير فاستولى الذعر على جنده أما هو فأم تطر نفسه شعاعا بل راح يرتب من معه من السودان للقتال وكانوا زهاء خمسمائة رجل، وضم اليهم الأندلسيين ، ثم أمر قائده ، هذيل [الصقلي] بالتهوض مع الفرسان الصقالية ومهاجمة العدو ، فاستجاب له هذيل ، لكنه لم يلبث أن سقط عن جواده وربما كان ذلك من طعنة أردته عن صهوته ، أو من كبوة كبها حصانه ، فابذعر أصحابه وانهزموا وهم في أشد حالات الفوضى .

في هذه اللحظة بالذات غدر « السودان » بمولاهم زهير الذي كان شديد الثقة بهم وانضموا الى العدو بعد أن نهبوا خزانة سلاح مولاهم الذي لم يبق الى جواره سوى الأندلسيين الذين كانوا على وجه العموم أسوأ الجند ، فما لبسوا أن فروا ، وفعل زهير فعلهم ان طوعا أو كرها ، ولما كانت قنطرة « البونت » مقطوعة وقد سد العدو الأوعار فقد انطلق الهاربون الى الجبال رجاء الاعتصام بها ، لكن تخلفت سيوف الفرناطين معظمهم أنى تقفتم ، ولقى غيرهم حتفهم في شعاب وعرة وكان ممن قتل « زهير » ذاته .

وسبق جميع الموظفين المدنيين الى الأسر ، فأمر « باديس » بالابقاء عليهم وكان من بينهم ابن عباس ، الذي لم يكن ثم ما يخشى عليه ويضطرب من أجله سوى كتبه ، فدأب على الصياح استفسارا عما حل بها ، ثم التفت الى الجند الماضين به الى باديس وقال لهم :

« الله الله في حملتى ... قولوا لمولاكم باديس يحاط عليها حتى لا تنخرم فان فيها دفاتر لا كفاء لها » .

فلما مثل في حضرة باديس قال مبتسما « يا أبا مناد ، ، رأيت أى كاس أردتها لك على هؤلاء الكلاب ؟ » ، وأشار بأصبعه الى الصقلب ، ثم تابع كلامه قائلا :

« أريد أن تتقدم الى فى حفظ دفاترى فانها أهم ما على !! » .

كان الأسرى من أهل المرية في أثناء كلامه هذا ينفضونه بعيون ترميه بنسر الغيظ منه والسخط عليه ، فصاح أحدهم - وهو القاضي ابن شبيب - موجبا الكلام الى باديس : « يا حاجب : بالذى نصرك لا يفوتك هذا الفاعل الزارى بالخليفة فما جر ما تراه سواء ، وليتنى عاينت حتفه ولا أبالى الموت بعده » .

فتبسم باديس وأمر بإطلاق سراح القائد فكان هو - بين الفرسان والقواد - الرجل الوحيد الذى أبقى الصنهاجى على حياته ، أما من سواه فقد قتلوا جميعا .

بيد أن ابن عباس كان الرجل الوحيد من بين حملة الأقالم (١٢) الذى لم تطلق له الحرية ، وأدرك هذا الوزير التياها المضرة التى ساقته اليها جرائته فى السفاهة ، ورأى أن نبوءة شاعر المرية توشك أن تتحقق .

وألقي بأبن عباس فى سجن الحمراء وقيد بسلاسل ثقال لا تقل عن أربعين رطلا ، وعرف أن باديس متخشن الصدر عليه ، وأن صمويل يتمنى قتله ، لكنه مع ذلك كله كان لا يزال يؤمل بعض الأمل اذ عرض على باديس ثلاثين ألف مثقال من الذهب لقاء إطلاق سراحه ، فأجاب به باديس بأنه سوف ينظر فى الأمر ، ثم تركه قرابة شهرين دون أن يبت فيه برأى قاطع .

فى خلال هذه الفترة كان هناك جماعة متضاربة الأفكار تتصارع فى بلاط غرناطة ، فقد بعثت قرطبة برسول من قبلها يستشفع فى إطلاق سراح بعض الأسرى لاسيما ابن عباس ، ومن ناحية أخرى كان أبو الأحوص معن بن صمادح رسول فتى بنى عامر عبد العزيز صاحب بلنسية وصهره يلج على « باديس » بقتل جميع الأسرى بدءا بأبن عباس .

كان عبد العزيز [صاحب بلنسية] قد بادر الى امتلاك المرية مدعيا أنها تؤول اليه بحق الولاء لأن « زهيرا » كان من موالى أسرته ، وخاف أن يطلق « باديس » سراح ابن عباس ومن معه من الأسرى فيكون فى ذلك حرمانه من السلطان .

وتحير باديس لا يدري أى الطرق يسلك وإن ينصم . فقد تنازعه الطمع فى المال والرغبة الملحة فى الثار ، ثم كانت ليلة ركب فيها ومعه أخوه بلقين للنزهة ، وتحدث اليه فيما عرضه ابن عباس وسأله رأيه ، فذكر له بلقين أنه اذا قبل الفدية واسترد ابن عباس جويته أثار ضده حربا تكلفه أضعاف فديته ، وقال ان رأى عنده هو أن يبادر الى قتله . ولما فرغ باديس من جولته استقدم اليه أسيره وأقبل يسبه ويلومه على جميع ذنوبه ، وابن عباس قد لزم الصمت حتى يفرغ باديس من تقريره وسبه ، فلما سكنت قال له ابن عباس : « ناشدتك الله أن تريحنى من ألى » فأجابه باديس « اليوم تستريح » .

ولما رأى باديس وجه أسيره الشاحب المظطب وقد أومض ببريق الأمل سكنت ساعة من الزمان ثم قال فى ابتسامة صفراء : « أجل يا ابن عباس ، اليوم تستريح من هذا الألم وتنتقل الى ما هو أشد !! » ثم جعل

يراطن أخاه « بلقين » باللسان البربرى الذى يجهله ابن عباس وإن أدرك من آخر كلمات باديس أن قد دنت منيته ، فركع على ركبتيه أمام الأمير وتوسل إليه الإبقاء على حياته رحمة بنسائه وعياله ، على أن يضاعف له الفدية فيجعلها ستة آلاف مثقال من الذهب العين .

أنصت باديس الى ابن عباس وهو صامت لم تنفرج شفثاه عن كلمة ما ، ثم هز مزرقة وقذف به فأغمده فى صدر ابن عباس ، وحذا حذوه أخوه بلقين وحاجبه على بن القروى . أما ابن عباس الذى لم يكف عن استدراة رحمة قاتلة فلم يسقط على الأرض الا بعد أن أصابته سبع عشرة طعنة (١٣) ومات يوم ٢٤ سبتمبر ١٠٣٨ م [= ٢١ ذو الحجة سنة ٤٢٧ هـ] .

لم تلبث غرناطة أن علمت بموت ابن عباس الغنى التياه ، فاشتد سرور من بها من المغاربة ، وكان أسعدهم جميعا بالخبر صمويل الذى لم يكن له من عدو كاشح غير « ابن بقنة » ، وقد هتف هاتف خفى بصمويل أن ابن « بقنة » لن يلبث أن يزول هو الآخر ، وكان اليهود اذ ذاك كالعرب يؤمنون بأن المرء تغشاه فى نومه روح تكشف له عما سوف يلقاه ، وفى ذات ليلة بينما كان صمويل نائما اذا به يسمع صوتا ينشده ثلاثة أبيات عبرية هذه ترجمتها :

« لقد مات ابن عباس كما مات أصدقاؤه وحلفاؤه .

« فالشكر لله والحمد له .

أما الوزير الآخر الذى كان يتآمر معه فسوف يهلك عمما قريب وتسحق دولته .

« فما الذى آل اليه جميع ما دبراه » .

« وكيف كانت نهاية سوء طويتهما وقوتهما » .

« فليقدس اسم الرب » (١٤) .

الفصل الثالث

مؤامرة الجرجاني ونهايته

تبدل نظرة الناس الى حكم باديس • مؤامرة أبى الفتوح الجرجاني وكفائه الفكرية ونشاطه الحربى • تدخله فى الشئون السياسية تدخلًا ضارًا • تحركه ضد ابن عمه باديس وأشبيلية • اضطراره للفرار الى باديس وطلبه العفو عنه • القبض عليه والتكيل به وإهائه الإهانة البالغة • مقتله وأسف الناس عليه •

مؤامرة الجرجاني ونهايته

لم يدر باديس أنه بمهاجمته زهيراً وقتله إياه قد أدى أجل خدمة للمتحالفين الذين اتفقوا على الاعتراف بخلافة المدعى هشام ، ذلك أن عبد العزيز - فتى بنى عامر أمير بلنسية الذى أشرنا الى استيلائه على إمارته المرية - كان فى الواقع عاجزاً عن مد يد المساعدة الى حليفه فاضى استبيلية لأصراره على الانصراف حينذاك الى دفع مجاهد أمير دانية الذى نظر بعين الخوف الشديد الى اتساع أملاك جاره (١) ، أما القاضى فلا أقل من أنه لم يكن هناك ما يخيفه من وقوع الحرب بينه وبين « المرية » ، فاطمان خاطره غاية الاطمئنان من هذه الناحية ولم يعد يشغل باله سوى التأهب فى الوقت ذاته لقنال البربر بطائفة من أهل غرناطة محاولاً دفعهم الى الثورة .

كان أكثر أهل غرناطة كارهين لباديس الذى استهل حكمه بنا أطمع الناس فى عهده وبث الأمل فى نفوسهم (٢) ، لكنهم ما لبثوا أن تبينوا ما طبع عليه من القسوة والشدّة ، وما ركب فى طبعه من اللؤم والخسة ، وما جبل عليه من مبلّ لسفك الدماء وإسرافه فى الشرب دون ما خجل ، فكربهم أمره كرباً تحول الى تدمير منه فتأمروا عليه .

كان عصب هذه المؤامرة رجلاً مخاطراً اسمه « أبو الفتوح ثابت ابن محمد الجرجاني » الذى ولد فى بقعة نائية عن الأندلس ، وانحدر من أسرة عربية أقامت فى جرجان ، ودرس الأدب والفلسفة والفلك على يد أشهر أساتذة بغداد ، لكنه كان الى جانب علمه فارساً بارعاً ومجارباً بأسلاً ، فكان يقدر الجواد الأصيل ويعجبه المهند البتار أكثر مما تهزه القصيدة الرائعة أو تستهويه المقالة العلمية الدقيقة ، والأرجح أنه قدم الأندلس سنة ١٠١٥ م [= ٤٠٥ هـ] ليحرب بها حظه ، وقضى فترة من الزمن فى بلاط مجاهد أمير دانية ، فكان يتناقش وهذا الأمير فى فنون الأدب ، وانكب على وضع شرحه للرسالة النحوية المعروفة بالجمل ، كما حارب الى جانب أمير « سردانية » وكثيراً ما شغل نفسه بالتفكير فى أعقد المسائل الفلسفية وفى محاولة الكشف عما يخبئه الغد بين طيساته بملاحظة النجوم ، ثم رحل بعد ذلك الى سرقسطة مستقر الأمير « منذر »

الذى أولاه فى بادىء الأمر صداقته وعهد اليه بتربية ولده ، الا أنه يتجلى لنا من شهادة صادقة كل الصديق ، ذكرها المؤرخ العربى الذى تعتمد عليه فى هذا البحث أن الزمن كان قد تغير وتغير معه أهله ، فقد جاءه المنذر ذات يوم وأنباء باستغناؤه عنه وعدم حاجته الى خدماته ، ثم أذن له بمغادرة سرقسطة ، فيم أبو الفتوح حينذاك وجهه شطر غرناطة واتخذها دار اقامة له ، وشرع يلتقى سلسلة من المحاضرات عن الشعر القديم لاسيما المجموعة المعروفة بالحماسة (٣) ، غير أنه قام هنا بعمل آخر ذلك أنه عرف أن أعداء باديس كثيرون ، فعمد الى ابن عم الأمير واسمه « يدير » (*) فحرك مطامعه بأن أدخل فى روعه أن النجوم طالعه أن باديس سيفقد العرش ، وان ابن العم « يدير » سبيل الحكم بعده مدة ثلاثين سنة ، وصديق « يدير » ما زعمه أبو الفتوح فراح يعد المؤامرة ما لبث مخفى أمرها أن ذاع وتناهى الى سمع باديس قبل تنفيذها ، فخاف أبو الفتوح و « يدير » وغيرهما من المتآمرين وبادروا الى طلب النجاة من ثأره وغضبه ، والتمسوا لهم ملجأ عند قاضى أشبيلية الذى لا يشك أحد فى أنه كان شريكهم فى تلك المؤامرة وان يكن من العسير علينا أن نعرف الى أى مدى كان ضالعا معهم ومحركهم عليها (٤) .

فى هذه الأثناء هاجم القاضى محمدا أمير قرمونة وكان جيشه - كما هي العادة - بقيادة ابنه اسماعيل الذى أحرز انتصارات باهرة ، فاستسلمت له « أشسونة » و « استجة » ، بل لقد حاصر « قرمونة » ذاتها ، وضيق الحناق على محمد الذى التمس المعونة من ادريس أمير مالقة ومن باديس [ملك غرناطة] فاستجابا له .

أما ادريس الذى كانت العلة قد ألحت عليه فقد أنفذ اليه جنده تحت امرة وزيره « ابن بقنة » ، على حين قدم باديس بنفسه اليه على رأس قواته ، وانضم هذان الجيشان بعضهما الى بعض ، وبادر اسماعيل الى النهوض للحرب اطمئنانا الى كثافة عسكره وشجاعتهم ، ولم يجرؤ باديس وابن بقنة على منازلة اسماعيل ادراكا منهما بتفوقه عليهما فى العدد ، فمالبا أن غادرا « قرمونة » وتركوا أميرها يواجه العدو وحده وبلاقى مصيره ، وسار أحدهما نحو غرناطة ويمم الآخر شطر مالقة .

ولكن اسماعيل أخذ السير فى آثار الغرناطين ، ومن حسن طالع باديس أنه لم تكن قد انقضت ساعة على انفصاله عن « ابن بقنة » حين بعث اليه رسولا يسأله القدوم لتجديده والا تغلب عليه الأشبيليون فأسرع « ابن بقنة » للوقوف الى جانب باديس ، وانضم الجيشان بعضهما الى بعض قرب « استجة » متحفزين لقتال العدو .

أما الأشبيليون الذين حسبوا أنهم سيهاجمون جيشا ناكصا على

(*) بلقيع الياء وتشديد الدال المكسورة بعدها ياء ساكنة ثم راء .

أعقباه فقد فوجئوا بما لم يجر لهم في حسيان ، حين وجدوا أنفسهم يواجهون عسكريين على تمام الأهبة لقتالهم ، فذب اليأس في قلوبهم من جراء تلك المفاجأة غير المتوقعة ، حتى أن الصدمة الأولى كانت كافية لبث الفوضى في صفوفهم ، وحاول إسماعيل أن يحملهم على الثبات في مكانهم وقتال عدوهم لكن ذهبت مساعيه أدراج الرياح ، بل لقد أدت به شجاعته الى أن يكون في طليعة القتلى ، واذا ذاك لم يعد الأشبيليون يرومون غير النجاة (٥) .

أصبح باديس سيد الموقف بعد نصر جده بسيط ، فأقام معسكره على كئيب من أبواب « استجة » ، وما كان أعظم دهشته حين أبصر أبا الفتوح يركع عند قدميه وقد دفعه حبه لمائلته الى المخاطرة بنفسه والمجيء الى هنا ، فقد اضطر لمغادرة غرناطة على جناح السرعة تاركا زوجته وطفليه بين يدي القدر ، حين تنهى اليه الخبر بأن باديس قد أصدر أمره الى نائبه « قدام » (**) السوداني بالقبض عليهم ، فأنفذ « قدام » أمره وزج بهم في سجن المنكب ، وكان أبو الفتوح كبير الحب لزوجه الاندلسية الجميلة ، شديد الحنان على ولده وابنته ، ولم يكن يحتمل العيش دونهم ، وكان أشد ما أفزعه أن يصب باديس نغمته على هؤلاء الأعمىاء فينتقم منهم لجرم أبي الفتوح ، ومن ثم جاء الى باديس يلتمس منه العفو ، وعلى الرغم مما يعرفه في هذا الطاغية من شراسة الطبع والاستبداد الا انه طمع أن يلين قلبه هذه المرة وأن يعفو عنه كما عفا عن ابن عمه « أبي ريش » الذي زل هو الآخر أيضا حين شارك في تدبير المؤامرة ، لذلك جثا أبو الفتوح أمام باديس وقال له : « اتق الله يا سيدي وارح ذمائي » فصاح به باديس وقد رماه بنظرة حقد قاتلة وقال : « ترى بأى وجه جئتني ؟ ما أجراك على حتفك وأشد اغتراراك بسحرك !! » فرقت بيني وبين بنى ماكسن ، ثم جئت تخدعني كأنك لم تصنع شيئا !! » .

فأجابه : « ارحم غربتي وسوء مقامي ، ولا تلزميني ذنب ابن عمك فمالي سبب فيه ، وما حملني على الفرار الا الخوف على نفسي لسابق خلطته ، ولقد لفظتني البلاد اليك مقرا بما لم أجته رغبة في صفحك ، فافعل فعل الملوك الذين يجلون عن الحقد على مثلي من الصعاليك » .

فقال باديس : « بل أفعل ما تستحقه ان شاء الله ، انطلق الى غرناطة فدم على حالك والى أهلِكَ وأصلح من شأنك » .

اطمان خاطر أبي الفتوح حين سمع هذا الكلام الذي لم يدرك في بادئ الأمر مغزاه وما ينطوي عليه من قصد سيئ ، وشخص الى غرناطة

(*) بضم الميم وفتح اللام غير المشددة .

في حراسة فارسين ، فلما قاربوها أنفذ « قدام » الأسود الأوامر التي نلقاها من مولاه اذ بعث جماعة من شرطته ألقت القبض على أبي الفتوح وحاقوا له رأسه وأردفوه على بعير ، وجعلوا خلفه عبدا أسود جلدا مفتول الساعدين ظل يصفعه صفعاً شديداً ، وطافوا به الطرقات على هذه الصورة ، ثم أودعوه سجناً شديداً الضيق شاطره فيه أحد المتأمرين معه ، وهو جندي بربري أسروه في وقعة « استجة » .

انقضت عدة أيام عاد بعدها باديس الى غرناطة ولم يكن قد قرر شيئاً ما حيال أبي الفتوح ، لكن جرى له عكس الذي جرى لابن عباس اذ حال أخوه « بلقين » بينه وبين الفقيه دون أن يعرف أحد سر ميله اليه ، ففد عمل جهده على تبرئة ساحته ، ودافع عنه دفاعاً كبيراً حمل باديس على الأحجام في البت في أمره بشيء ما حتى لا يفضب أخاه .

ثم كان يوم أفرط « بلقين » فيه في الشراب مثلما كان يحدث كثيراً منه ومن أخيه ، واذ ذاك بعث « باديس » في طلب أبي الفتوح ورفيقه فلما رآه انهال عليه سباً وإهانة ثم قال له :

« لم تغن عنك نجومك يا كذاب !! . ألم تعد أميرك الجاهل بالظفر بي وتملك بلدي ثلاثين سنة ؟ . لماذا لم تمنع النظر لنفسك وتحذر ووطنك ؟ . قد أباح الله لي دمك !! » فلم يجبه أبو الفتوح بشيء بل اعصم بالصمت ، لكنه حين رغب في العودة الى زوجته وولديه الذين يهواهم عمد الى الاستعطاف والكذب ، فلما أيقن ان لا شفاعة ترتجى من هذا الطاغية الظالم الغضوب استرد حميته ، وعادته شجاعته وقوة شكيمته ، فراح ينظر الى الأرض وقد انفرجت شفتاه عن بسمة ساخرة ، وصمت ساعة من زمان استرد فيها كرامته فأثار هذا المنظر الهادي الكريم نائراً باديس ونزت فيه نزوة الغضب فانتصب واقفا واستل حسامة وأغمده في قلب ضحيته فتلقي أبو الفتوح الضربة القاتلة وهو ثابت الجنان دون أن يشن ، حتى لقد أكبر باديس ذاته شجاعته ، فصاح - رغم أنفه - صيحة المعجب به ثم النفث الى عبده « برهون » وقال له : « خذ برأسه وارفعها على الخشبة ، أما الجسد فضعه الى جنب عدوي [ابن عباس] حتى نقوم الساعة » ثم التفت الى الجندي وقال له : « تقدم فقد جاءت نوبك » .

اشتد الفزع بالبربري الذي كلمه باديس وارتجفت أوصاله رعباً ، فجثا على ركبتيه عساه يحمل الأمير على الصفح عن جرمه والبقاء عليه ، الا أن باديس قال له : « أما تستحي يا ابن الفاعلة . . . يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر ويملك نفسه عن كلامه لي

واستعطافى ، وأنت تجزع وطالما عدت نفسك فى أسوء الرجال ؛
لا أقال الله مقيلك ! » •

ثم قتله يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٠٣٩ م [٤٣٠ هـ] •

ودفن أبو الفتوح - كما أمر باديس - الى جانب ابن عباس ، وحزن
الأدباء والحكماء من أهل غرناطة على موته ، أما العرب الذين أرغمتهم
المقادير على الخضوع لبربرى غريب فكانوا كلما مروا بالناحية التى دفن
فيها أبو الفتوح قالوا :

« يا له من قبر جمع أدبا لا كفاء له !! » •

« والبقاء لله سبحانه » (٦) •

الفصل الرابع

اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى

ظهور قوة البربر فى بلاط مالقة • تفاقم شأن الصقالبة فى بلاط
غرناطة • وفاة ادريس والنزاع بين ابن بقنة البربرى ونجاء الصقلبي حول
من يخلف ادريس • ظهور الأسطول الأفريقى فجأة فى خليج مالقة •
خلاص الحكم للحسن بن يحيى وقتله ابن بقنة • مقتل الحسن بن يحيى
مسموما بيد زوجته • نجاء الصقلبي يأخذ الحكم فيسكت البربر على كره
منهم له • استكناره من الصقالبة ومحاولته التفريق بين البربر ولكنهم
يقتلونه ويولون مكانه ادريس بن يحيى الذى أبدى من الضعف ما أحزنهم
منه • استخفاف السودان بادريس لطيبته وتمردهم عليه •
تولية محمد ابن عم ادريس وشجاعته • التجاء ادريس الى بربر
رندة • الحرب بين باديس ومحمد • وجود أربعة خلفاء فى وقت واحد وكلهم
ضعاف لا حول لهم ولا قوة • مك غرناطة يطرد حمود من مالقة •

اضطراب العلاقات بين أمراء الأندلس

أخذ طاغية غرناطة السفاح في ارتقاء معارج القوة شيئاً فشيئاً حتى صار زعيم جماعته ، ومع أنه كان لا يزال يعترف بالولاء لبني حمود إلا أنه كان اعتزافاً اسمياً وولاء صورياً وذلك لشدة ضعف أولئك الأمراء الذين كانوا آله في أيدي وزرائهم يسبرونهم وفق أهوائهم وحسبما شاءوا ، كما يعتمد البعض منهم إلى قتل البعض الآخر : بالسيف تارة وبالسهم تارة أخرى ، وكانوا لا يفكرون في مراقبة أتباعهم الأقوياء ، بل يرون أنفسهم سعداء أن آتيج لهم أن يحكموا مالقة وطنجة وسبتة في شئ من الهدوء الظاهري .

لكن كان هناك تباين كبير بين بلاطى مالقة وغرناطة ، فلم يكن في بلاط الأولى سوى البربر أو من يعملون دائماً لما فيه مصلحة البربر أمثال صمويل اليهودى ، ومن ثم كانت تسود هذا البلاط وحدة تامة فى الأفكار والأساليب .

أما بلاط غرناطة فكان على العكس من ذلك يزخر بالصقالية الذين كان لابد من سقوطهم أن أجلا أو عاجلا لما كانوا عليه من التحاسد والتنافر والتنافس مما أدى إلى سقوط الأمويين .

كان الخليفة إدريس الأول طريق الفراس حين بعث قواته لقتال الأشبيليين ، ثم أسلم الروح بعد يومين من تسلمه رأس اسماعيل المقتول فى وقعه « استجة » ، إلا أن النضال ما لبث أن نصب بين ابن بقنة الوزير البربرى وبين نجاه الوزير الصقلبي ، إذ أراد الأول أن يسوق العرش إلى يحيى بن إدريس البكر حتى يتمكن من أن ينفرد وحده بالسلطة والاستبداد بها دون شريك ، فعارضه الصقلبي الذى كان عامل الخليفة على بر العودة بافريقية ونادى فيها بشعار الخليفة حسن بن يحيى ابن عم يحيى بن إدريس ونأهب لعبور المضيق .

كان ابن بقنة ضعيف الشخصية ، جباناً رعديداً ، ومن ثم أذعن لتهديد الصقلبي ، وكان تردده الدائم يجعله يميل تارة للاستمرار فى مشروعه ، وتارة أخرى للرجوع عنه ، وأدى ذلك إلى إهماله الاستعدادات لأى طارئ ، لذلك فوجئ ذات يوم بالأسطول الإفريقى يرسو فى خليج مالقة فبادر إلى الهرب وشخص إلى « كمارش » برفقة يحيى بن إدريس ، فلما آل الأمر فى العاصمة إلى الحسن بعث إلى ابن بقنة يؤمنه ويأذن له بالعودة ، فوثق البربرى بقوله فجاءه فحطع الحسن رأسه ، وهكذا تحققت نبوءة صمويل اليهودى التى رآها فى منامه .

لم يلبث منافس الحسن أن قتل هو الآخر ، وربما كان « نجاه » هو الوحيد المسئول عن هذه الجريمة كما يشهد بذلك جماعة من المؤرخين

(*) كمارش بضم الكاف وفتح الميم وكسر الراء ثم شين .

غير أن الحسن ما لبث أن نال جزاء ما جنت يده ، إذ دست له السم زوجته وكانت أخت يجبي المقتول .

حينذاك ظن « نجاء » أنه قادر على تولية شخص لا يكون له من السلطان غير الاسم ، ولم يقنع بأن يكون له سلطة الحاكم بل تطلع لأن يتولى الحكم ذاته ، ومن ثم عمد إلى قتل ابن للحسن كان لا يزال طفلا ، وسجن أخاه إدريس ، وفرض نفسه ملكا على البربر محاولا استمالتهم إليه بشتى العهود وأطيبها .

وعلى الرغم من سدة حنق البربر عليه من جراء قحته المفرطة وطمعه الذي دنس نوقيرهم العظيم الذي يكاد يبلغ حد الخرافة لمن هو من نسل الرسول [عليه الصلاة والسلام] إلا أنهم رأوا أن يترقبوا ترقبا منهم لأول فرصة تسنح لهم للوثوب على « نجاء » ، ومن ثم استجابوا له مظهرين الطاعة والولاء .

حينذاك جاهر « نجاء » برغبته في المضى إلى « الجزيرة الخضراء » بغية انتزاعها من يد حاكمها الحمودى ، وزحف للقتال ، إلا أنه لم يكد يلتحم مع الأعداء حتى أدرك أن البربر غير جادين في القتال وشاهد فتورهم فحرف أنه لا يستطيع الاطمئنان إليهم ، ورأى السلامة في الأمر بالعودة بعد أن أسر فى نفسه أن ينفى من يخاف غائلته من البربر حال عودته إلى العاصمة ، كما عول على اكتساب الباقين منهم إلى صفه باغداق المال عليهم ، ورأى أن يبذل غاية وسعه للاكثار من الصقالبة حوله ، إلا أن أشد أعدائه كراهية له علموا بما يبيتهم لهم ، لذلك لم يكد الجيش يمر بأحد الأوعار السديدة الضيق حتى وثبوا على المقتصب يوم ٥ فبراير ١٠٤٣ م [٤٣٤ هـ] وفتكوا به (١) .

سادت الفوضى صفوف الجيش ونعالت صبيحات الفرح من جانب البربر ، بينما أخذ الصقالبة فى التسلل لوإذا مخافة أن يلاقوا ما لقبه كبيرهم ، كما انطلق زعيمان من زعماء البربر إلى مالقة على جناح السرعة فلما بلغاها صاحوا بالناس « البشرى لكم .أيها الناس !! البشرى لكم أيها الناس !! لقد قتل الطاغية !! » ووثب الناس على عامله بمالقة [واسمه السطيفي] وقتلوه وأخرجوا إدريس بن يحيى - أخا الحسن - من مطبقه واستخلفوه عليهم .

حينذاك انتهى دور الصقالبة بمالقة ، وعاد الهدوء الذى لم يقدر نه البقاء طويلا .

لا جدال فى أن إدريس لم يكن رجلا عظيما وإن كان خيرا جوادا يؤثر

حسن الصنيع ، ولو كان الأمر له وحده دون سواء لما بقى فى مملكته مملوك بائس ، فلقد أعاد جميع المنفيين على اختلاف أحزابهم ورد عليهم أملاكهم ، أما عطفه على الشعب الذى كان يؤثر التحدث إليه فكان مما يتنافر تماماً مع ما هو مألوف فى البلاط من الأبهة والنعاظم والتقاليد ، وقد أدى انتساب الحموديين للرسول [عليه الصلاة والسلام] الى أن أصبحوا فى نظر رعاياهم أنصاف آلهة ، وأراد الحموديون المحافظة على هذا الوهم المنعلق بسلطانهم فلم يكونوا يظهرن للجمهور الا لاما ، وكانوا اذا طلوعوا عليه طلوعاً محاطين بالأسرار ، حتى ان ادريس نفسه - رغم بساطته - لم يحرر من التقاليد التى جرى عليها أسلافه من وجود حجاب يحجبه عن عيون محدثيه ، غير أنه كان ينسى فى بعض الأحيان القيام بهذا الدور لما طبع عليه من الطيبة الشخصية ، من ذلك ما حدث ذات يوم من أن شاعرا من أهل لسبونة أنشده قصيدة أطرى فيها كرمه ومجد فيها شرف نبعنه وقال فيها :

فكان الشمس لما أشرقت فانتنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن على بن حمود : أمير المؤمنين
يا بنى أحمد يا خير الورى لأبيكم كان وفد المسلمين
أنظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالمين

فلما سمع الخليفة ذلك قال لحاجبه : « ارفع الستر » وذلك لانه لم يكن ليرد أبدا سؤال سائل ، ومن ثم كان هذا الشاعر أسعد من محبوبه « جويتر » النسقية التى راحت ضحية رغبتها الملحة القاتلة .

وقد استطاع الشاعر حينذاك أن يسرح طرفه مطمئناً فى وجه مولاه الذى وإن لم ينسج نورا باهرا الا أنه كان يحمل دليل اليمن والوداعة ، ولعل طلعة الأمير كانت أحسن عند الشاعر مما لو كانت محاطة بهذه الأضواء التى تعتنى الأبصار والتى أشار اليها الشاعر فى أبياته ، والواقع أنه لابد وقد انقلب الى داره راضيا أكثر مما لو كان قد أصاب صلة سنية .

لكن الأمر الذى يؤسف له هو أن ما طبع عليه ادريس من التناهى فى طيبة القلب واللين أضرا بمكانة الدولة واطمئنانها ، ذلك لانه كان لا يفكر - أو لا يجرؤ - على رفض طلب أحد ما ، فلو سأل « باديس » أو غيره أن يهبه حصنا من حصونه لاستجاب له فى الحال . وقد حدث ذات مرة أن طلب منه باديس أن يسلمه وزيره (٢) لانه كان يتلطف له على حق ، واذ ذاك قال ادريس لوزيره « ان الصنهاجى يطلبك منى ، ولابد من تسليمك اليه » فأجابه الوزير القاضل : « أفعل ما تؤمر وستجدنى ان شاء الله من الصابرين » ثم رحل الى غرناطة بحيث قطعت رأسه .

أحنق البربر ضعف ادريس وكرهوا فيه عطفه على الشعب ، ونقموا منه ما نسميه اليوم بميوله الشعبية ، غير أن أشد الناس حنقا عليه هم « السودان » الذين اعتادوا أن يضربوا بالسياط أو يقتلوا بالسيف أو يصابوا على المشنقة ، لذلك استخفوا بمولاهم الذى لم يأمر قط بقتل أحد ما ، ثم عم الغضب منه حتى قام صاحب قلعة « ايرش » (٣) بالنورة عليه ، فأطلق من أسره سراح ابنى عم ادريس ونادى بأكبرهما محمد خليفة ، وحينذاك تمرد السودان الذين رتبهم لحماية حصن « مألقة » وراسلوا محمدا يطلبون منه أن يوافيهم هو ذاته ليكون بينهم .



أما أهل « مألقة » الذين كانوا شديدى التعلق بأمرهم المتحنن عليهم فلم يتركوه وحده فى ساعة الخطر بل جرت جموعهم اليه وطلبوا منه أن يمدهم بالسلاح ، مؤكدين له أنهم اذا تدرعوا وتسلحوا لم يبق السودان فى القلعة ساعة من نهار ، فشكرهم ادريس [ابن يحيى بن على بن حمود] على اخلاصهم ، لكنه رفض أن يجيبهم الى ما سألوه اياه قائلا لهم : « الزموا منازلكم ودعوني » ، واذا ذاك استطاع محمد دخول العاصمة وحل ادريس محله فى سجن « ايرش » ، وهكذا قام كل منهما مكان الآخر سنة ١٠٤٦ - ١٠٤٧ م [= ٤٣٩ هـ] .



لم يكن الحاكم الجديد على نمط سابقه ، بل شابه أمه وهى مقاتلة بأسلة تميل لحياة المعسكرات ومشاهدة استعدادات الحرب وأعمال الحصار ، وكانت تثير حماسة الجند بكلماتها وبسط يدها لهم بالمال . أما محمد فقد بلغ من الشجاعة حدا كبيرا ، لكنه كان فى الوقت ذاته شديد القسوة ، واذا كانت الشجاعة تنقص ادريس [ابن يحيى] فهى أكثر مما يجب أن تكون عليه عند محمد ، وهذا على الأقل فى نظر مؤرخى النورة ، منهم فى ذلك مثل أسطورة الضفادع التى طلبت من جوبيتر ملكا لها ، وشبيهه بشعب المستنقع هذا - كما يقول لافونتين المبدع - جماعة البربر والزنوج الذين سرعان ما تذرروا من ثقل وطأة محمد [بن ادريس] عليهم وراحوا يبيكون على سلفه الطيب الهادى .

استعد المتآمرون فيما بينهم للثورة وأخذوا فى مفاوضات حاكم « ايرش » الذى لم يجدوا صعوبة فى ضمه الى صفوفهم ، فرد على ادريس الثانى حريته بعد أن نادى بشعار الخلافة ، وفى هذه المرة لم يمتنع ادريس عن الأخذ بفكرة الحرب الأهلية ، وكان السبب فى ذلك أن اقامته المملة الرتيبة فى السجن لاشتت ترده .

غير أن محمدا - وقد عاونته أمه - دافع أعداءه أشد مدافعة حتى أكرههم على الثناء السلاح وإن لم يسلموا ادريس الذي عمدوا إلى نقله إلى إفريقية قبل استسلامهم ، حيث دفعوه إلى طليقين بربريين هما (٤) « سقوط » حاكم سبتة ، و « رزق الله » حاكم طنجة . فأكروا وفادته وعظما قدره وخاطبوا بالخلافة وإن لم يسمح له بشيء من السلطة الحقيقية . بل إن خوفهما على سلطانهما دفعهما لمبالغة في مراقبته ومنعه من الظهور جهرة . ولم يدع أحدا من الناس يصل إليه ، ومع ذلك فقد استنطاع جماعته من أعنان البربر - الذين ينغمون في السر على هذين الحاكمين - أن يجدوا السبيل إلى لقائه وقالوا له : « إن هذين العبدین غلبا عليك وحالا يبينك وبين أمرك ، فأذن لنا نكفيكما » ، فرفض طلبهما لما طبع عليه من الرحمة واللين الكبيرين ، ودفعته سريره الطيبة للافضاء بكل ما جرى للوالدين اللذين انزعجا وأمرأ بنفى من أشار إليهم ، لكن الظاهر أنهما خافا أن يستجيب ادريس - في مرة أخرى - إلى دسائس الناقمين عابثا فبعثا به إلى الأندلس وإن لم يكف عن الخطبة له في الصلوات العامة ، فاتجه ادريس إلى زعيم بربر « رندة » يطلب عنده ملجأ له (٥) .

في هذه الأثناء قام المتذمرون بمالقة يلمسون المساعدة من باديس الذي بادر إلى إعلان الحرب على محمد ، إلا أنه ما لبث أن انفق معه ونمت المؤادعة بينهما ، وحينذاك استغاثوا بأمير الجزيرة الخضراء واسمه هو الآخر أيضا محمد [ولكنه محمد بن القاسم بن حمود] ، وقد نسمي بالخليفة .

بهذا كان هناك في تلك الحقبة أربعة من الخلفاء فيما بين أسبيلية وسبتة وهم :

هشام الثاني المزعوم بأشبيلية ، ومحمد [بن ادريس] بمالقة ، ومحمد [بن القاسم بن حمود] بالجزيرة الخضراء ، ثم ادريس الثاني [وهو بن يحيى بن ادريس] .

كان اثنان منهم مجردين في الواقع من السلطة . أما الآخران فكانا من الأمراء النافذين أو الأقبال ، فكان سوء اصطناع لقب الخلافة أبلغ في السخرية ، لما كان يدل عليه من أن صاحبه يحكم العالم الإسلامي كله وهو ليس في شيء قط من ذلك أو بعضه .

وفشل محمد [القاسم بن حمود] أمير الجزيرة الخضراء في محاولته وتخلي عنه من استغاثوا به ، فسارع بالعودة إلى ولايته ، ولم تمض أيام قلائل حتى مات خجلان كسير القلب ، وذلك سنة ١٠٤٨م [٤٤٠ هـ] كذلك ما انقضت أربع أو خمس سنوات حتى لفظ محمد [بن ادريس] - أمير مالقة - نفسه الأخير ، فتطلع أحد أبناء عمه - واسمه ادريس الثالث - إلى العرش ، لكنه لم يفلح فيما ارتجاه ، فقد أعاد القوم

هذه المرة ادريس الثاني [بن يحيى بن ادريس] الذى آن للأقدار أن تكف
عن اضطهاده ، فظل يحكم البلاد فى هدوء حتى وافاه أجله سنة ١٠٥٥ م
[= ٤٤٧ هـ] .

حينئذ طمع حمودى آخر فى أن يلى العرش مكانه ، لكن فجعه فى
آماله باديس صاحب غرناطة ، ذلك لأنه لما كان الزعيم الحقيقى للحزب
البربرى فانه كان لا يحب وجود خليفة ما ، ومن ثم عقد العزم على التخلص
من بنى حمود وأن يضم مآلقه الى أملاكه . ونجح فى تحقيق مشروعه دون
أن يجد مقاومة كبيرة .

حقيقة أن خضوع العرب له كان عن غير رضا منهم ، الا أنه استطاع
أن يستميل اليه أقوامهم نفوذا وأعظمهم شكيمة أمثال الوزير القاضى
عبد الله (٦) الجذامى ، ومن ثم لم يعد يكثر بتذمر الآخرين .

أما البربر الذين تأكدوا من ضعف أمرائهم والذين أدركوا عن حق
ضرورة اتحادهم مع اخوانهم بربر غرناطة اذا شاوروا مقاومة الحزب العربى
الذى كانت أملاكه تتسع فى الجنوب الغربى يوما بعد يوم فقد عطفوا على
مشاريع باديس ولم يناهضوها ، وبذلك أصبح ملك غرناطة أميرا على
مآلقه أيضا ، وطرد منها جميع بنى حمود الذين أخذوا يمثلون دورهم بعد
ذلك فى العدو . لكن دورهم فى أسبابنا كان قد انتهى وتلاشى (٧) .

الفصل الخامس

ارتقاء المعتضد معارج القوة

المعتضد عباد بن محمد يصبح حاجب هشام الثانى • صفات المعتضد
وشماله • الفرق بينه وبين باديس فى السام والحرب • دهاء
المعتضد ومكره وتدبيره المؤامرات • حيلته لمعرفة أحوال أهل قرمونة وما هم
عليه • حقه الأعمى على من يخاصمه ولو كان معوقا حتى بعد موته •
قصته مع الفقيه الأعمى حتى بعد هروبه من وجهه •

ارتقاء المعتضد معارج القوة

ألمنا بحوادث مألقة رغبة منا في متابعة تاريخها ، أما الآن فقد آن لنا أن نلقى نظرة عابرة على ما ناله الحزب (العربي) من التقدم في تلك الفترة ، ومن ثم ينبغي علينا أن نرجع الى الوراء بعض السنوات .

مات أبو القاسم محمد [بن اسماعيل] قاضي اشبيلية في ختام يناير ١٠٤٢ م [= ٤٣٤ هـ] فخلفه ابنه عباد [بن محمد] وكان في السادسة والعشرين من عمره ولقب بحاجب هشام الثاني ، وعرف في التاريخ باسم « المعتضد » ، وعلى الرغم من أنه لم يلقب بهذا اللقب الا بعد زمن طويل لكننا نسميه بهذا الاسم تجنباً لما يحدثه تغيير الاسم من الاضطراب .

لقد تمكن هذا الزعيم الجديد - الذي قيضه الله للحزب العربي في الجنوب الغربي - أن يجمع في ذاته السمات التي لا تكون لمجتمع أشرف على الشيخوخة ، وكان كل ما في هذا الزعيم يؤهله لأن يكون منافساً خطيراً لباديس زعيم الحزب المعارض له ، وكان المعتضد عباد مثل باديس رجلاً شديد الرغبة ، ميالاً للانتقام ، غداراً ، ظالماً فظاً ، سفاكاً للدماء منكباً على الشراب ، لا يتورع عن الموبقات ، ولم يكن هناك أمير من أمراء ذلك العهد قد اجتمع له ما اجتمع لعباد [بن محمد] من الحريم ، ويؤكد البعض أنه وجد له منهن ثمانمائة جارية (١) .

وعلى الرغم مما بين هذين الأميرين من التشابه الا أن كلا منهما كان نقيض الآخر في الشخصية ، قد تفاوتت أذواقهما ، وتباينت عاداتهما بعضها عن بعض في كثير من النواحي ، ذلك أن باديس كان رجلاً بربرياً أو شبه بربرياً لا يكتثر بالتقاليد ولا يعابى بالثقافة والحضارة ، ومن ثم حلت أبهاء قصر الحمراء من الشعراء الذين لم يكن من اليسير عليه فهم قصائدهم لتعوده الحديث بالبربرية .

أما المعتضد [عباد بن محمد] فكان على العكس من ذلك . قد تلقى قسطاً من الثقافة والتعليم الرفيع ، وإن لم يرق الى مكانة العالم لعند مداومته النظر في الكتب ، الا أنه وهب ذوقاً عظيماً رائماً ، وذاكرة قوية مكناه من أن يتوفر عنده أكثر مما يتوفر للرجل العادي ، ولم تخل قصائده - دون نظر الى قيمتها الأدبية - من فائدة توقفنا على شخصيته ، وقد رفعت هذه القصائد بين معاصريه الى مرتبة الشاعر المبدع (٢) ، وكان محباً للآداب والفنون ، يصل الشعراء بالعطايا الجسام على مدحهم إياه

وان قل ، وكان الى جانب ذلك يتعشق اقامة القصور الفخمة (٣) ، كما كان مسرفا في طفيانه .

اتخذ [عباد بن محمد الملقب] بالمعتضد خليفة بغداد مثالا له يقتدى به ولقب نفسه بلقبه ، ومع انكباب كل من المعتضد وباديس على الشراب الا ان غلظة طبع الأخير كانت تؤدي به الى الاسراف في الشراب مع الاسفاف شأنه في ذلك شأن الرجل الجلف أو الجندي السوقي ، بينما يبدو المعتضد رجلا كيسا محافظا على كرامته فلم يؤخذ عليه شيء من هذا القبيل ، بل كان على جانب كبير من حسن الذوق ورقة الشعور حتى في مجالس شرايه ، وكان هو وندماؤه يرتجلون الخمريات التي تمتاز بالركة البالغة وطلاوة التعبير ، هذا الى أنه كان يقسم وقته قسمة عادلة بين اللهو والعمل ، وقد ينتقل من الانكباب على اللهو الى الانكباب على تصريف أمور الدولة (٤) ، ومن أعجب الأمور أن هذا الطاغية الذي كانت نساؤه حريمه الجيلات يضطربن من نظرتة المروعة قد نظم في بعضهن أشعارا تسيل رقة وعدوبة .

كان بين باديس والمعتضد ما بين العرييد البربري والماجن المتحضر من الفارق ، لكن مهما يكن الأمر فقد كان باديس البربري أقل من صاحبه دناءة طبع ، اذ لم يكن مسرفا في جرائمه ، على حين أن المعتضد كان لغزا حتى على خلافه ، فتراه يحاول بنظرتة الفاحصة أن يتعرف على دخائل الآخرين وطواياهم الخفية ويدركها ، لكن لم يحدث قط أن عرف أحد ما ينطوى عليه صدره وما يجول بخاطره لجمود وجهه وعدم تغير نبرات صوته (٥) .

ولقد لقي أمير غرناطة حنفة في ميدان الوغي ، أما صاحب اشبيلية فعلى الرغم من دأبه على شن الحروب وعلى الرغم من أنه لم تكن نعوزه الشجاعة الا أنه لم يقد الجيوش بنفسه غير مرتين أو ثلاث مرات فقط في حياته كلها ، فقد كان يدير أمور الحرب وهو متفرغ ، جالس فوق أركبته (٦) ، بعيد عن مكابدتها .

كان باديس مسرفا في مكائده وان كان من اليسير احباطها ، أما المعتضد فكان يحكم تدبيرها وتنظيمها حتى قل ، أن أخطأت هدفها ، وتلك ناحية من نواحي عبقريته ، ويروى المؤرخون بشأن هذا الموضوع قصة تستحق الايراد ، فقد حدث في أثناء محاربته « قرمونة » أن اتصل سرا بأحد سكانها من المغرب ، الذي أخذ يفضي اليه بحركات البربر وخططهم ، ومن الطبيعي أن يتخذ المعتضد الحيلة الشديدة حتى لا تقع الرسائل التي يتبادلها هو والعربي في يد أحد ما وحتى لا يخامر الشك

احدا فيما يجرى ، واتفق المعتضد مع جاسوسه العربى على الخطة التى تكون بينهما ، فاستقدم ذات يوم الى قصره رجلا ساذجا كبير الغفلة من فلاحى تلك الناحية وقال له : « خل عنك هذه الثياب واليك هذه الجبة على أن تفعل ما أمرك به » ، فسر الرجل غاية السرور ولبس الجبة دون أن يحدس أن فى جيبها رسالة أراد المعتضد أن يدفعه الى حملها الى رجله بقرمونة ، وتعهد الرجل أن يؤدي باخلاص ما يلقيه اليه الأمير من الأوامر ، واذ ذاك قال له المعتضد : « اخرج الى قرمونة فاذا وصلت بقربها فاجمع حزمة حطب وادخل بها البلد وقف حيث يقف أصحاب الحطب ولا تتبعها الا لمن يشتريها منك بخمسة دراهم » .

وعلى الرغم من أن الفلاح لم يدرك مطلقا علة تلك الاوامر العجيبة الا أنه أطاعها ثم غادر أشبيلية ، حتى اذا قارب قرمونة أخذ يحتطب ولم يكن من عاداته الاحتطاب ، ثم دخل المدينة متأبطا حزمة صغيرة من فروع الشجر ووقف بها على قارعة الطريق ، فمر به رجل سأل : « بكم نبيع يا رجل حزمتك هذه ؟ » فقال : « لا أبيعها الا بخمسة دراهم » ، فضحك الرجل منه وقال له : « ما أراك نبيع الأبنوس يا هذا » ، فقال آخر كان يسمع ما قيل ويرى ما جرى : « بل انه ليبيع العود الهندى » ، وراح الناس يسخرون منه ويتضحكون عليه ، وكاد النهار أن ينقضى حين قدم عليه رجل لم يكن سوى جاسوس المعتضد وسأله عن النمن الذى يطلبه فيها فاشتراها منه بما قال ، ثم قال له : « قد اشتريتها فاحملها الى البيت ، وسوف أدلك على الطريق » . فلما بلغا الدار ألقى الفلاح بما يحمل وأخذ دراهمه الخمسة ، حتى اذا هم بالانصراف سأله رب البيت أين تريد الذهاب فى هذا الوقت من الليل ؟ ، فأجابه : « أرحل فاست من أهل هذا البلد » ، فقال صاحب الدار : « أما علمت خوف الطريق ؟ ٠٠٠ بت الليلة عندي وتناول عشاءك ، فاذا أصبحت رجعت الى منزلك اا » .

فاستجاب له الرجل شاكرا يده عليه ، وأنساء الطعام الجيد ما عاناه من سخرية القوم به ، حتى اذا شبع سأله رب البيت « من أين أنت ؟ » ، فقال له « أنا من بادية أشبيلية » . فسأله : « يا أخى ما جاء بك الى هذا الموضع وقد علمت نكد البربر وشؤمهم وهوان السماء عليهم ؟ » .

فقال : « حملتنى على ذلك الحاجة ، وماذا يدعوهم للتعرض بسوء لرجل تافه الشئان منلى ؟ » وراحا ينحكثان حتى أحس الفلاح بالنوم يقهره ، واذ ذاك سار به مضيقه الى المكان الذى أعده له ، وأراد الضيف أن ينام دون أن يخلع ملابسه الا أن القرمونى قال له : « اخلع عنك فهذا أهنا لنومك وأروح لجسمك » .

فخاع الرجل جنبه وسرعان ما استغرق في النوم .

حينئذ أخذ الجاسوس الجبة . ففتق بطانتها حيث وجد كتاب المعتضد
إليه فقراه وكتب رده في لحظته وجعله مكان كتاب الأمير ، ثم أعاد الجبة
إلى حيث وضعها الفلاح الذي بكر في الاستيقاظ ولبسها شاكرًا للقرموني
حسن كرمه ، ثم انصرف عائداً إلى أشبيلية ، فلما دخلها وقف أمام المعتضد
وقص عليه خبره ، فقال له الأمير وقد تهدج صوته فرحا : « اخلع نلك
الجبهة واليك ثوباً جيداً » .

سُرع الرجل بالفرح الشديد وأخذ ما خلعه عليه الأمير وراح يقص
في ازدهاء على أصحابه وجيرانه ومن يعرفهم أن الأمير شرفه بما يشرف به
ذو المكانة وكبار عماله ، ولم يدر الرجل أن الأمير أخذ منه ساعياً عجيباً
يحمل الرسائل التي كانت لابد وأن تؤدي إلى قتله لو أنه وقع في يد
البربر ووقفوا على أمره (V) .

كان أمير أشبيلية [المعتضد عباد بن محمد] واسع الحيلة ، ناجح
الوسائل في فنون الحرب وشتى ضروب المكائد ، وكان جم التدابير .
مسرفاً في التفتن في الكيد لمن ينير غضبه ، حتى لقد حدث ذات مرة أن
هرب منه رجل إلى قطر آخر وذهب إلى أقصى الأرض فلم ينجح ذلك من
انتقام الأمير المعتضد ، ويروون في ذلك أنه وضع يده على أموال رجل
أعمى ثم ذهب بباقي ماله حتى افتقر ، فمضى الرجل إلى مكة يلتمس فيها
العيش بالتسول ، ودأب في الدعاء جهراً على هذا الطاغية الذي اضطره
إلى سؤال الناس ، فلما علم المعتضد بخبره استقدم إليه رجلاً من مواليه
كان ذاهباً إلى الحج وناولته حقاً فيه دنائير طلاها بالسهم الناقع وقال له :
« لا تفتح هذا الحق حتى تدفعه إلى فلان الأعمى ، وسلم عليه عنا » ، فوعده
الرجل بتنفيذ هذه الأوامر ومضى في سبيله ، فلما بلغ مكة لقي الكفيف
وقال له : « هذا من عند المعتضد » .

فقال الرجل : « كيف يظلمني بأشبيلية ويتصدق على
بالجهاز ؟ » .

فقال الحاج : « لعله أنكر ما فعله معك فخذ إليك ما بعثه » .

فقال له الأعمى : « جوزيت خيراً واشكر للأمير يده » .

ثم أخذ المال وأسرع إلى كوخه الحقيق ، ثم أغلق باباً عليه وشرع
يعالج فتح الحق .

لم يكن من هناك هو أعظم نشوة وسرورا من هذا البائس الذي ظل

يصارع المثربة زمنا طويلا حين وجد نفسه فجأة وعلى غير انتظار رجلا موفور الثراء ، ولولا عمی عينيه لمتع ناظره بهذه الحفنة من الذهب ولافتتن ببريق تلك النقود ، غير أن ذهاب بصره حرمة لذة التمتع بذلك ، فقامت حاستا اللمس والسمع عنده مقام حاسة البصر ، واستبدت به الفرحة فأخذ يتحسس دنائره ويتسمع رنينها ، ويعددها بين آونة وأخرى ، ويضعها فى فمه ويتذوقها ، فسرى السم الناقع فى دمه ، ولم يأت المساء حتى كان جثة هامدة (٨) .

لقد كان باديس والمعتضد رجلين فظن غليظي القلب ، ولكن فظاظة أحدهما كانت تختلف عن فظاظة الآخر ، فبينما نرى الأول يكثر فى نوبات غضبه الأحق من قتل ضحاياه بيده، إذا بنا نرى المعتضد قل أن يجور على مهمة جلاده ، ومع أنه لا يحب تلطيخ يديه بالدماء إلا أن حفده كان حقدًا لا يهدأ سعيه ، وهو أشد تأججا مما فى نفس خصمه عليه .

كان باديس إذا مات عدوه هدأت شرة نفسه وقنع بما كان ، وعدم الى رفع رأس القتيلى على خشبة كما جرت العادة ، ثم لا يذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، أما أمير أشبيلية فكان على النقيض منه لا تسلم سخيته أبدا ولا تتألف نفرتة قط ، بل انه ليتتبع ضحاياه حتى بعد قتلهم ، ولا يبل رؤية بقاياهم ارضاء لعواطفه الوحشية .

ولقد سابه الخليفة المهدى اذ كان يغرس الأزهار فى جماجم قتلاه ، ويضعها فى درج قصره ومسالكه ، ويعلق بكل أذن رقعة تحمل اسم صاحبها ، وكان يشعر بالفرحة على حد قوله كلما سار فى تلك الحديقة التى لم تكن تحتوى الا على أغلى الرؤوس ألا وهى رؤوس الأمراء الذين تغلب عليهم وقهرهم ، بل كان يبالغ فى المحافظة على أمثال هذه الرؤوس فى خزانة داخل قصره (٩) .

على أن هذا الوحش القاتل كان يعد نفسه أعدل الناس ، وكأنه « تيتس » جاء لاسعاد النوع الانسانى فقال فى احدى قصائده :

فلو أردت الهى بالورى حسنا	فملكنى زمام العرب والعجم
فاننى لاعدلت الدهر عن حسن	ولا عدلت بهم عن أكرم الشيم
أقارح الدهر عنهم كل ذى كلب	وأطرد الدهر عنهم كل ذى عرم (١٠)

الفصل السادس

استفحال أمر المعتضد حرييا

تخوف المعتضد من بربر قرمونة على عرشه • حقه على اسحق
ابن محمد بن عبد الله أميرها • حركاته العلوانى على مرتولة وليلة تؤدى
الى تحالف ضده • افساده فى نواحي بطليوس فى غياب صاحبها • هزيمة
المظفر بسبب رعونته • الصلح بين المظفر والمعتضد بفضل مساعى ابن
جهور • انصراف المعتضد الى مضايقة لبله ووليه وشلب • وعهده بالآخيرة
الى ولده المعتمد ابن عباد • زيارته الفجائية لمورور وافساد كبار بربرها
بالرشاوى • وقوفه على مؤامرة يدبرها بربر رندة وهو نائم عندهم
فيعرفها فيكتم عليه بها • البربر يدبرون هذه المؤامرة ولكن يسفها
ابن أبى قره من الناحية الأخلاقية •

المعتضد يدبر مؤامرة ضدهم ويقتالهم وهم ضيوفه ولا يستثنى منهم
سوى ابن أبى قره ويستبقيه عنده مكرما • سقوط رندة فى يد المعتضد •

استفحال امر المعتضد حرييا

بعد أن فرغ المعتضد من قتل حبيب وزير أبيه وموضح ثقته (١) شرع في محاربة البربر لاسيما جيرانه بربر فرمونة ، وكان عنده من المبررات ما يدفعه للحقد عليهم ، فقد كان كبير الاعتقاد بأنهم لابد أن يسلبوا العرش منه أو من أولاده من بعده ان لم يبادر هو الى الوتوب عليهم والتخلص منهم ، وقد تنبأ له المنجمون أن زوال ملكه سوف يكون على أيدي جماعة من الوافدين (٢) على شبه الجزيرة ، ومن ثم بذل قصارى جهده لاستئصال شأفتهم فحاربهم حربا دامت زمنا طويلا ، فقتل محمد [بن عبد الله] - أمير فرمونة - سنة ١٠٤٢ - ١٠٤٣ م [٤٣٣ هـ] بعد أن استدرجه رجال المعتضد الى كمين نصبوه له (٣) .

لكن ذلك لم يذهب بالكراهية التي ظلت في صدره باقية قوية فتحركت ضد ابنه اسحق (٤) .

على أن المعتضد قام في الوقت ذاته بمد حدوده غربا حيث انتزع في سنة ١٠٤٧ م [= ٤٣٨ هـ] « مرتولة » من ابن طيفور (٥) ، ثم ثنى بمهاجمة صاحب « لبلة » ابن يحيى الذي لم يكن بربريا بل عربيا ، بل ما كان للمعتضد أن يعبا بوشيجة النبعة هذه طالما هو يسعى لمد حدوده وتوسيع رقعة أرضه ، مما دفع ابن يحيى لعبور المضيق والقاء نفسه في أحضان البربر ، فنهض « المظفر » أمير « بطليوس » لمعاونته وصد المعتضد وكون حزبا قويا ضده ، وانضم اليه باديس ومحمد صاحب مالفه ومحمد أمير الجزيرة الخضراء ومن ثم قام أبو الوليد [محمد] بن جهور الذي حلف أباه سنة ١٠٤٣ م [= ٤٣٥ هـ] كرئيس لحكومة قرطبة وبذل قصارى جهده لتقريب شقة الخلاف بين الفريقين ، لكن ذهبت كل جهوده ادراج الرياح اذ لم يصنع أحد لسفرائه .

اتفق البربر فيما بينهم على الزحف على أشبيلية حالما تنجم قواهم - ويتصل بعضها ببعض ، الا أن المعتضد حال بينهم وبين ما يعتمونه فقد اغتنم فرصة غياب المظفر [محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة] الذي لم تكن لديه قوة كافية للدفاع عن مملكته (٦) فعات في نواحي « بطليوس » ، ثم تولى بنفسه قيادة جيشه على غير عادته ، وزحف على « لبلة » وهاجم

الأعداء عند ممر قريب من أبواب المدينة ووردهم على أعقابهم الى « ريو تننو » ،
بيد أن المظفر نجح في جمع رجاله ودفعهم للقتال وأرغم المعتضد على
الارتداد .

اتصل المظفر بعدئذ بحلفائه ، لكن بينما كان هو وإياهم آخذين في
العيث بالنديمير في الاقليم الشمالى انفصل يحيى عنهم ، وأرغمه المعتضد
على التحالف معه ، فعاقبه المظفر بالحوطة على الأموال التي كان قد عهد
بها اليه ، وشرع في نهب اقليم « لبلة » (V) ، واذ ذاك استصرخ ابن يحيى
بالمعتضد الذي هاجم قوات « بطليوس » ودفعها الى كمين رصده لها وأنزل
بها الهزيمة ، ولم يكتف بهذا النصر بل أرسل ابنه اسماعيل فخر
ارباض « يابرة » .

وأراد ملك بطليوس دفع هذا الهجوم فأمر أن يحمل السلاح كل قادر
على حمله ، وجاءته نجدة من حليفه اسحق صاحب قرمونة وخرج بها لمقاتلة
العدو ، ونصحها بربر قرمونة أن يرجع عما هو بسبيله لكنه جعل كلامهم
دبر أذنه ، فقالوا له : « لا تلقهم فلست تعرف قدر من زحف نحوك ،
ونحن رأيناهم وسمعنا بجمهم بأشيبيلية » ، فلم يستمع المظفر الغضوب
الى كلامهم ومضى في طريقه ، وقد كلفته جراته ثمنا غاليا اذ منى بهزيمة
ساحقة ، وفقد مالا يقل عن ثلاثة آلاف فارس من رجاله ، وكان من بين
القتلى ابن أمير قرمونة الذي تولى قيادة عسكر أبيه وقد حملت رأس هذا
النساب الأمير الى المعتضد الذي وضعها الى جانب رأس جده .

وقدر لبطليوس أن تبقى زمنا غير قصير مسرحا لأحداث ضخمة حيث
أغارت الحوانيت وأقفرت الطرق من السابلة وهلك نخبة أهلها في هذه
الوقعة المبيدة (A) ، وأراد الاشيبيليون أن يبلغ النكد غايته فدأبوا على
اتلاف المحاصيل حتى تهلك المراجعة المملكة ، ووقف المظفر [محمد بن
عبد الله] مكتوف اليدين ، فقد تخلى عنه حلفاؤه الذين توسل اليهم أن
يجيئوا لمساعدته فلم يستجيبوا له ، وقضى عليه أن يبقى ببطلينوس ساكنا
لا يستطيع القيام بعمل ما ، تقله الرعدة ويقطع أنامله غيظا ، ومع ذلك
لم تفارقه كبرياؤه فلم يشأ أن يقبل الصلح على الرغم من أن أعداءه
المنتصرين لم يرفضوا توسط ابن جهور ، بل تظاهر بعدم اكترائه بخسائره
حتى لقد بعث رجاله لشراء بعض المغنيات من قرطبة وكن نادرات الوجود
اذ ذاك ، وبعد طول البحث والتقصي عثروا على اثنتين متوسطتي المواهب ،
ولقد عجب الناس بادى ذى بدء لرعونة ملك بطليوس ، فقد عرفوه رجلا
وقورا منصرفا الى الجاد من العمل ، ولم يعهدوا فيه الميل من قبل الى
الجوارى ، ولم يفهم القوم سر اقتدائه على شراء الغنيات واختياره بالذات
هذه اللحظة التي كانت بلاده خلالها مسرحا للخزب الشامل ، غين أن

العجب زال حين أدركوا سر سلوكه هذا ، ذلك أنه علم أن المعتضد اشترى جارية ذاتمة الصيت حسنة الغناء حين تناهى الى سماعه خبر بيع مخلفات أحد الوزراء القرطبيين ، لذلك أراد المظفر أن يثبت لعدوه أن في طاقته الاهتمام بالجوارى ، فقام واشترى هاتين الجاريتين .

غير أن ابن جهور دأب على اصلاح ذات البين ، وقدر لمجهوداته أن تكلل بالنجاح في شهر يوليو ١٠٥١ م [= ٤٤٤ هـ] اذ توصل المظفر والمعتضد حينذاك وبفضل وساطته الى عقد الصلح فيما بينهما بعد مفاوضة طال أمدها (٩) .

حينئذ جيش المعتضد جميع قواته ضد ابن يحيى صاحب لبلة الذي كان قد أذن لمطالبه من قبل ، ولم ير المعتضد في هذه الحملة إلا نزهة حربية ، ولما كان ابن يحيى يدرك تمام الإدراك ضعف ما تحت يده من العسكر فانه لم يحاول الدفاع عن نفسه ، بل شخص الى مدينة قرطبة قاصدا أن يمضى بها بقية أيام حياته ، كما بع المعتضد اليه بكتيبة (١٠) لحراسه .



أما الأمير الذي كان يحكم في تلك الأثناء في « ولبة » وجزيرة « شلطيخ » الصغيرة واسمه [عز الدولة] « عبد العزيز البكرى » [٤٠٣ - ٤٤٤ م] فقد أدرك أن قد حان دوره لكنه كان لا يزال يطمح في انقاذ شيء ما ، ومن ثم بادر الى مكاتبة المعتضد مهثا اياه بفتحه الجديد ، ومذكرا اياه بالعلاقات الودية التي كانت على الدوام بين أسرته وأسرة بنى عباد ، وأعلن تبعيته له ، وتنازله له عن « ولبة » على أن يترك له جزيرة شلطيخ ، فقبل المعتضد عرضه وتظاهر برغبته في مفاوضته وجها لوجه ، ثم سار الى ولبة فرأى عبد العزيز البكرى أن الصواب يقتضيه ألا ينتظره فانتقل بأمواله الى شلطيخ ، فلما استولى المعتضد على « ولبة » انكفأ راجعا الى أشبيلية ، الا أنه ترك بولبة أحد قواده ، وكانت مهمته منع [عز الدولة] عبد العزيز من مغادرة جزيرته ، والحيولة دون وصول أحد ما اليه ، فلما سمع عبد العزيز بذلك اتبع اقوم سبيل فأخذ في مفاوضة قائد المعتضد وباع لأمير أشبيلية مراكبه وعدده الحربية بعشرة آلاف دينار ، وحصل على الأذن لنفسه بالمضى الى قرطبة ، وأراد المعتضد الخائن أن يستدرجه أثناء رحلته الى شرك نصبه له ليستولى على ما معه من الأموال ، الا أن البكرى أفسد عليه خطته وطلب من أمير « قرمونة » جماعة من الحرس استطاع بهم الوصول الى قرطبة سالما (١١) .

أخذ المعتضد بعد ذلك في مهاجمة ولاية « شلب » الصغيرة التي تتحكمها جماعة من العرب هم بنو مزين (*) الذين كانت أملاك أسلافهم تمتد

(*) يضم الميم وفتح الزاى بعدها ياء ساكنة ثم نون .

فى تلك النواحي من شبه الجزيرة ، والذين شغلوا الوظائف الكبرى زمن
الامويين (١٢) .

آثر أمير سلب الموت على الحياة فاستبسل غاية الاستبسال فى
الدفاع عنها ، الا أن الجيش الاشبيلى تمكن أخيرا من الاستيلاء عليها ،
وكان هذا الجيش بقيادة محمد بن المعتضد ، ولم تكن قيادته إياه الا اسمية
اذ لم يكن لبتجاوز اذ ذاك الثالثة (١٣) عشر من عمره ، وكان ابن مزين
قد بذل جهده حتى يموت فى ساحة الوغى الا أن المعتضد أبقى عليه وقنع
بنفيه (١٤) .

حينذاك عهد المعتضد بحكومة « شلب » الى ولده [المعتمد] محمد بن
[عباد] ، ثم سبر جيشه للزحف على بلدة « شنت مرية » الواقعة قرب
الرأس الذى لا يزال يعرف الى اليوم برأس شنت مرية ، وكان الخليفة
سليمان قد أقطعها الى رجل اسمه « سعيد بن هرون » من « ماردة »
لا يدري أحد أصله ، فليس هو بالعربى وليس هو بالبربرى . والأوجج
أنه من أصل أسباني لأن الرجال المجهولين عند المؤرخين العرب انما هم فى
العادة من الأسبان ، فلما مات سليمان أعلن سعيد بن هرون استقلاله
بشنت مرية ، ثم خلفه فيها بعد موته ابنه محمد [بن سعيد المعتصم] الذى
هاجمه الاشبيليون فلم يصمد طويلا أمام هجماتهم ، واستولى المعتضد على
الناحية الممتدة من شنت مرية الى شلب وأراد أن يحكمهما معا ابنه
محمد (١٥) [المعتمد بن عباد] سنة ١٠٥٢ م [= ٤٤٤] .

أدت هذه الفتوحات السريعة الى اتساع رقعة أملاك صاحب أشبيلية
اتساعا عظيما فى الناحية الغربية ، على حين كانت فتوحاته فى القسم
الجنوبى الواقع تحت حكم أمراء البربر ضئيلة نسبيا ذلك لأن أغلب أولئك
الأمراء كانوا لا يزالون على وفاق مع المعتضد والاعتراف بسلطانه ، أو على
الأصح بسلطان المدعو هشام الثانى ، غير أن المعتضد لم يقنع بما تم له ،
بل كان همه تمزيق أوصال أولئك الأمراء والاستيلاء على ما بيدهم من
الولايات ، لكنه أخذ نفسه بسياسة التمهّل والتريث والحذر ، ونهج نهج
اتسم بالاعتدال ، فلم يشأ أن يخاطر بنفسه فى محاولة صعبة الا بعد أن
يستتب له الأمر فى النواحي التى تم له فتحها .

بعد أن تم للمعتضد الاستيلاء على « شلب » استصحب معه خادمين
ورحل بهما لزيارة اثنين من أتباعه هما : « محمد » ابن نوح صاحب
« مورور » ، و « هلال بن أبى قره » أمير « رندة » دون أن ينبئهما من
قبل بزيارته ، ولقد يعجب الانسان حقا حين يرى أنه لم يكن من العقل
ولا الصواب أن يضع المعتضد نفسه تحت رحمة أولئك البربر مع ما يضررونه

له من المقت الشديد ، لكن الواقع هو أنه لم تكن تنقصه الجرأة ، وإنه كان يثق بصديق عهود غيره ، رغم ما طبع عليه هو نفسه من الغدر بجميع الناس وعدم وفائه بما يقطع لهم من عهود .

وصدق ظنه فقد لقي أحسن استقبال في « مورور » ، ولم يخف « ابن نوح » فرحه بهذه الزيارة غير المتوقعة ، فبالغ في اقامة اللائم له ، وعاد يؤكد من جديد بقاءه على الولاء والطاعة ، غير أن المعتضد لم يكن قد حضر ليسمع المناء عليه أو ليرى النرحيب به ، لكنه جاء من أجل غرض آخر ، ذلك أنه أراد أن يسبر غور القوم في الميل اليه ، وأن يكتسب الى جانبه - ان أمكن - فريقا من ذوي النفوذ ، وأدرك في يسر أن السكان العرب يتحرقون شوقا للتخلص من نير البربر ورأى أنه يستطيع الاعتماد على معونتهم اذا جد الجدد وتعقدت الأمور ، وقد تمكن المعتضد بفضل ما حملة خادميه من الاحجار الكريمة والمال أن يفسد كثيرا من الضباط البربر على رؤسائهم دون أن يحدس [محمد] بن نوح بمكائده .

رضى المعتضد كل الرضى بما تدهضت عنه هذه الزيارة من النتائج ، ثم تابع رحلته الى « رندة » حيث قوبل فيها بنفس الاستقبال الكريم والروح الطيبة التي قوبل بها في « مورور » ، ونجحت وسائله السرية هنا أيضا ، بل ربما كان نجاحها هنا أعظم ، ذلك لأن عرب « رندة » كانوا أكثر تطلعا من عرب « مورور » للتححرر من حكم البربر .

والظاهر أن بنى أبى قررة كانوا أقسى من بنى نوح ، ومن ثم نصب المعتضد شباك مؤامرة واسعة النطاق لا تلبث أن تنفجر عند أول اشارة ، فقد حدث في ختام احدى اللائم - وقد استبدت الخمر بالرؤوس أن أحس المعتضد بحاجته الى النوم فأبداها لمضيفه فقال له أبو قررة : « افعل ما بدى لك يا مولاي » ثم سجاه على الفراش .

ومضى بعض ساعة ظن القوم أن المعتضد قد استغرق في سباته ، وما كان الأمر كما ظنوا فقد كان متظاهرا بالنوم واذا ذاك نهض أحد شيوخ البربر وسأل عشيرته أن ينصتوا اليه برهة فان عنده خبرا هاما ، فأنصتوا اليه فقال لهم بصوت منخفض : « هذا كبش سمين حصل لكم ، والله لو أنفقتم ملك الأندلس عليه ما قدرتم على حصوله في أيديكم ، وهو شيطان الأندلس ، واذا قتل خلصت لكم البلاد » ، فلم يجيبوه ولاذوا كلهم بالصمت فكان على رؤوسهم الطير واكتفوا بتبادل النظرات ، وكانت فكرة قتل هذا الرجل الذي يخشاه الجميع ويمقتونه ويسرفون أساليبه المتنوية ترضى كل الرضى أولئك الرجال الذين ألفوا جميع ضروب الجرائم منذ صغرهم ولم تظهر على قسمات وجوههم السمراء دلائل الدهشة أو

الامتعاض ، الا أن رجلا من بينهم - كان أصدق منهم وفاء - سمر بهياج دمه حين فكر فى ضخامة الخيانة الدنيئة التى هم مقدمون عليها ، ذلك مو « معاذ بن أبى قره » أحد أقارب أمير رندة ، فاتقدت عيناه غضبا وهب واقفا وقال لهم فى صوت خافت وان يكن قوى النبرات :

« لا فعلنا هذا ولا رضينا به ! » .

« رجل قصدنا ونزل بنا ولو علم أنا نرضى فيه بقبيح لما أتاانا مستأما
الينا » .

« كيف تتحدث عنا القبائل أننا قتلنا ضيفنا وخفرنا ذمتنا ؟ » .

« فعلى من يرضى هذا لعنة الله » .

أثر هذا القول الكريم فى نفوس البربر وحرك معاذ « بن أبى قره » فيهم الشعور بما تقتضيه واجبات الضيافة ، فكأنه بذلك مس من قلوبهم وترا من العبث أن يتلاشى عند شعوب آسيا وافريقية .

كان المعتضد فى تمام اليقظة وان تظاهر بالنوم ، فسمع كل الذى قالوه وهو مكروب أشد الكرب ، الا أن كلام معاذ فيهم رد عليه جأشه وطمان خاطره ، فتظاهر بالاسنبقاط وانضم اليهم فى مجلسهم ، فبادروا جميعا للوقوف له مجددين السلام عليه والتلطف اليه ، وقبلوه ، وراحوا يتملقونه كأنما وخزتهم ضمائرهم ، ولعلمهم أخذوا يلومون أنفسهم سرا على أن خطرت ببالهم فكرة اغتيال ضيفهم حين قال لهم الأمير :

« ما حملت معى من الخلع غير القليل ، فأتونى بدواة وقرطاس ،
وليكن لكل منكم خلع ودنانير وأفراس وعبيد وجواري » .

فلبوا منيئة الأمير الذى ما كاد يبلغ أشبيلية حتى نوافدت عليه رسل البربر زرافات بعضها فى أثر بعض ، ثم عادوا من عنده الى « رندة » محملين بالهدايا الرائعة .

وتوثقت عرى المودة بين المعتضد والبربر منذ ذلك الحين ، وسحب النسيان ذيلوله على ما كان بين الجانبين من أحن وأحقاد ، وحل محل ذلك كله رباط وتيق من المودة التى لا انفصام لها ، وتمكنت بين الطرفين وشائج المحبة والصداقة العظيمة القلبية ، حتى اذا انقضى نصف عام على زيارة المعتضد لرندة ومروور كتب الى شيوخهما يدعوهم الى وليمة كبرى يقيهما خصيصا لهم ، زاعما أنه يريد اظهار شكره لهم جميعا على جهيل لقاءهم اياه ، كما بعث فى دعوة ابن خزدون البربرى صاحب أركس وشريش ، وسرعان ما وصل الأمراء الثلاثة الى أشبيلية سنة ١٠٥٣ م = ٤٤٥ هـ .

فبالخ في اكرامهم غاية الاكرام و « طيب لهم ولن معهم الحمام » كما جرت العادة ، الا أنه احتال فأبقى معاذًا الشاب الى جواره .

ودخل الحمام ما يقرب من ستين بربريا فلما نظفوا ما عليهم من النياب في الحجرة الأولى دلفوا الى الثانية وهي الحمام ذاته ، وكان كمثيله اليوم (*) في البلدان الاسلامية مبنيًا من الحجارة ومغطى بالرخام ، تعلوه قبة بها فتحات على شكل نجوم عليها زجاج خشن غير مصقول وتمتد القنوات من الرخام بعضها الى جانب بعض وتخرج من الجدران أنابيب تتصل بمراجل تجعل درجة الحرارة شديدة الارتفاع .

بينما كان البربر ينعمون بلذة الاستحمام سمعوا شبه حركة كأنها صادرة من بنائين يقومون بالبناء فلم يلقوا الى ذلك بالا في بادئ الأمر ، الا أن الحرارة اشتدت حتى أصبحت لا تطاق فعالجوا ففتح الباب لكن ما كان أسد فزعهم حين وجدوه قد سور من الخارج وأغلقت عليهم جميع منافذ الهواء فاخننقوا جميعا وهلكوا حيث هم (١٧) .

طال انتظار معاذ لرفاقه فاشتد قلقه عليهم ، ثم نجاسر على الاستفسار من المعتضد عن سر إبطائهم في العودة اليه ، فلم يكتفه الأمير بالخبر ، ثم قال له وقد لاحظ ما ارتسم على وجهه من امارات الفزع المروع :

« لا برعك الذي جرى ، فقد حضرت آجالهم » .

« لقد أرادوا قتلى ولولاك ما كنت حيا ولا نجوت منهم » .

« وانما جعل الله صيانة دمي بك ، فان أردت أن أقاسمك في جميع ما أنا فيه فعلت » .

« وان أحببت الرجوع الى بلدك رددتك على أجمل الوجوه وأحسنها وأسرها » .

فرد عليه معاذ في صوت فيه رنة الأسى العميق : « وبأى وجه أرجع أنا دونهم ؟ » .

فقال له المعتضد : « لا عليك ، وابق معي ان شئت » .

ثم التقى الى أخذ خدمه وقال له :

« أعد للأمير فصرا ، ورتب له ألف دينار وعشرة أفراس وثلاثين جارية وعشرة أعبد » تم عاد مخاطبا معاذًا قائلا له : « ولك كل عام اثنا عشر ألف دينار » .



(*) كتب هذا منذ قرن تقريبا وقد اندثرت هذه الحمامات اليوم أو كادت . انظر :

Lane : Modern Egyptians

أقام معاذ فى أشبيلية ينقلب فى مطارف النعيم والبلهنية ، واعتاد المعتضد أن يرسل اليه كل يوم غالى الطرف وأندرها ، كما وكل اليه قيادة إحدى كنائب جيشه (١٨) . وكان كلما جمع وزراء لمساورتهم فى شئون الدولة جعل الصدارة فيهم لمن هو مدين له بحياته .

وضع المعتضد رؤوس أولئك السادة البربر فى خزانة رؤوسه العجيبة التى كان يلذ له التمتع بمشاهدتها ، ثم أنفذ جنده للاستيلاء على « أركش » « ومورور » « وشرينس » « ورندة » وغيرها من الأماكن . ولم يجد الجند عناء فى تحقيق مهمتهم بفضل مساعدة السكان العرب لهم ، وبفضل معونة الخونة الذين استطاع المعتضد رشونهم فاشتراهم الى جانبه ، غير أن الاستيلاء على « رندة » - التى ولى الحكم فيها « أبو نصر » - مكان أبيه المقتول استلزم من العسكر جهدا غير قليل ، وذلك لقيامها على جبل شاهق الارتفاع وحولها المنحدرات التى يصعب اجتيازها ، غير أن العرب تكاتفوا جميعا وقاموا بالثورة على البربر ووثبوا عليهم وفتكوا بهم فتكا ذريعا ، حتى ان أبا نصر ذاته حاول النجاة فلم يفلح ولم يستطع الهرب ذلك أنه فى اللحظة التى حاول فيها تسلق السور زلت قدمه ، ونسجرح جسمانه فهوى الى قاع ذلك المنحدر (١٩) .

أحسن أمير أشبيلية بالفرح الشديد اذ سقطت رندة فى يده ، وبادر الى المبالغة فى تحصينها تحصينا أعظم مما كانت عليه من قبل ، فلما فرغت أعمال التحصين نهض لمشاهدتها ، فلما وقف أمامها شعر بالطمأنينة تغمره وأنشد (٢٠) :

لقد حصنت يا رنده	فصرت للكنيا عمده
أفادتنيك أرمح	وأسياف لها حده
وأجنساد أشدهاء	اليهم تنتهى الشده
غدوت برونتى مولى	لهم ، وأراهمو عمده
سساأنى مدة الأعمدهاء	ان طالت بى المده
وتبلى بى ضلالتهم	ليزداد الهدى جده
نظمت رؤوسهم عقدا	فحلت لبسة السده

الفصل السابع

انتقام باديس

اضطراب أحوال باديس النفسية • تدبيره خطة للانتقام من العرب
ومعارضة صمويل له • متابعة باديس لمؤامراته وتسريب صمويل خبرها
للعرب على يد حريم كبار رجال البلد • اضطراب أحوال المهاجرين وهروبهم
الى سبتة وموتهم جوعا • مقتل بربر رندة •
المعتضد يفتح الجزيرة الخضراء • اعلانه موت هشام الثانى • البزليانى
يحرك اسماعيل بن المعتضد ضد أبيه • • نهب اسماعيل قلعة أشبيلية
وتفكيره فى العودة للجزيرة الخضراء • المعتضد يفسد على اسماعيل خطته •
ويتظاهر باستجابته للحصرى فى العفو عن ابنه اسماعيل • الصراع الخفى
بين الوالد والولد • انتشار النورة بين البربر • هزيمة جيش اشبيلية
وغضب المعتضد على ولده المعتمد وضربه المتدردين بيد من حديد • •
موت صمويل وتولى ابنه يوسف مكانه • عنجهية يوسف تؤدي الى غضب
العرب والبربر واليهود منه • الصراع بين يوسف بن صمويل وأبى اسحق
الالبيرى • مصرع يوسف بن صمويل •

انتقام باديس

بينما كان المعتضد ثملا بانتصاراته ، مسلما نفسه الى فورة النشوة كان باديس فريسة اضطراب راح ينزايده يوما بعد يوم تزايداً أفضى به الى أن يمزق ثيابه ، ويسلم نفسه للحزن ويستولى عليه الغضب فيستحرق في البكاء ، وذلك حين تناهى الى سمعه نبأ النازلة المروعة التي ألمت بأدرا البربر ، وتناهيته الأفكار السوداء ، وأقضه ما علمه من تحرك جميع عرب « رعدة » بدافع العامل الوطني فقاموا كلهم قومة رجل واحد للفتك بمضطهديهم ، ولم يكن هناك من يفهم « باديس » أن رعيته من العرب لم تتفق مع « عباد » ولم تتآمر معه عليه وعلى عرشه ، وهى الفكرة التي لم تفارقه ليلاً ولم تبارحه نهاراً ، بل انها أقضت مضجعه حتى بات يهذى ، وكان اذا اشتد به الغضب صاح وسب من حوله ، ثم يستولى الخوف على نفسه وتسود أمامها السبل فيلزم الصمت الممض وتتملكه الكتابة فيصبح كالشجرة التي ضربتها صاعقة ، وكان ذلك مستغرباً منه ، ثم يعكف على الشراب .

ودبر « باديس » فى السر مشروعا مروعا ، ذلك أنه رأى أن ابن يطمن له بال مادامت بلاده تزدهم بالعرب ، وخيل اليه أن الفطنة تقتضيه استئصال شائفتهم ، واتفق على أن ينفذ خطته فى يوم الجمعة التالى حين نؤم جموعهم المسجد للصلاة .

ولما كان لا يقضى أمراً دون مشورة وزيره « صمويل » اليهودى فقد أنهى اليه ما انتهى اليه تدبيره ، وان يكن قد أفهمه عزمه القاطع على تنفيذ هذا الأمر سواء رضى « صمويل » عنه أم أنكره .

ولم يدخر اليهودى وسعاً فى اظهار ما ينطوى عليه مشروع الأمير « باديس » من الخطر ، وحاول أن يثنيه عنه ويحمله على نبذه ، وسأله أن يتدبر الأمر ويتروى فينظر بعين واعية فيما تتمخض عنه هذه الخطة من العواقب قاتلاً له ؛

« هبك وصلت الى ارادتك ومن بحضرتك على ما فى استباحتهم من الخطر ، فكيف تقدر على الاحاطة بجميعهم من أهل حضرتك وبسائط أعمالك ؟ أتراهم يطمنون الى الدهول عن مصائبهم والاستقرار فى

مواضعهم ؟ ما أراهم الا سيوفا ينتظمون عليك فى جموع يفرقونك فى لججها أنت وجندك ! » .

وعلى الرغم من وجهة هذه الآراء الا أنها لم تجده استجابة فى نفس « باديس » الذى أصر على مشروعه ، وطلب الى « صمويل » أن يكتم الخبر كان لم يدر به ، لكنه فى الوقت ذاته أمر باتخاذ جميع الاستعدادات والتأهب ليوم الجمعة الذى اجتمع فيه شمل الجند وهم فى كامل عدتهم وسلاحهم بدعوى القيام بالاستعراض .

الا أن « صمويل » لم يقف ساكنا ، بل أرسل خفية الى شيوخ العرب وكبارهم بعضا من النسوة اللاتى يعرفنهم ، ينصحنهم بعدم الذهاب يوم الجمعة الى المسجد للصلاة ، ويشرن عليهم بالبقاء فى بيوتهم فى ذلك اليوم . فامتثل الرجال لما أشارت به عليهن النسوة ، فلما كان يوم الجمعة المضروب ثم يتش المسجد للصلاة سوى نفر قليل من العامة ، فاحتد باديس غضبا من فشل تدبيره ، واستقدم اليه « صمويل » وعنفه « وقلده البوح بسره الذى ائتمنه عليه » ، فأنكر الوزير ما اتهمه به « باديس » وقال له :

« من أين ينكر على الناس الخبر وأنت قد استركبت جندك وجميع جيشك فى التعبئة ، لا لسفر ذكرته ، ولا لعدو وثب عليك ، فمن هناك حدس القوم تلى «انك تريدهم ، وقد أجمل الله لك الصنع فى نغارهم ، ووقاك شهرهم . فأعبد نظرك يا سيدى فسوف تجده عاقبة رأى وغبطة نصحى » .

الا أن « باديس » ظل رافضا هذه النصيحة بدافع من سورة غضبه الرعناء حتى جاءه شيخ من شيوخ البربر فأيد الأسباب التى ذكرها « صمويل » ، واذا ذلك فقط اعترف « باديس » بخطئه (١) ، ولم يعد يفكر منذ ذلك الحين فى استئصال شأفة رعاياه العرب ، الا أن الحاج الهاربين من « مورور » و « أركش » ، و « رندة » الذين قدموا الى غرناطة التماسا للحياة فيها قد حملة على عقد النية على معاقبة العدو الخائن لبنى جنسه ، ومن ثم خرج لغزو « أشبيلية » على رأس جنده ومن عنده من المهاجرين (٢) . وليست لدينا تفاصيل وافية عن هذه الحرب ، لكن كل ما هناك يحمل الانسان على الظن بأنها كانت حربا دامية ، لأن الرغبة فى الانتقام لمقتل البربر كانت تسع نوار الحقد فى قلوب رفاقهم ، ولأن الكراهية التى يضمها العرب - من جانب آخر - لأهل غرناطة كانت أشد من كراهيتهم للبربر ، اذ كانوا يعدونهم فسقة كفارا ، وأعداء الداء للدين الاسلامى لأنهم قبلوا أن يستوزروا يهوديا ، حتى لقد قال أحد الشعراء الأشبيليين فى تهنية للمعتضد بالنصر (٣) :

سُقيت بسيفك أمة لم تعتقد الااليهود وان تسموا بربرا
ومن ثم كان الاشبيليون يعدون محاربة أهل غرناطة جهادا يتابون عليه ،
فقاتلهم أشد قتال حتى أرغموهم على الارتداد ، كما ساءت حال أولئك
« المهاجرين » اذ لم يسمح لهم المعتضد بالعودة الى وطنهم ، ولم يفصل
« باديس » اقامتهم في غرناطة ، فاضطروا الى عبور المضيق حيث أرسوا
على مقربة من « سبتة » ، غير أن أميرها « سنوت » كره وجودهم هناك ،
ولما أنكرهم الناس جميعا في وقت كانت المجاعة ابانه تخرب أفريقية فقد
عملت فيهم المجاعة عملها وأفنت منهم العدد الجم (٤) .

النفث المعتضد بعد ذلك الى محاربة « القاسم الحمودى » أمير الجزيرة
الخضراء الذى كان أضعف أمراء البربر ، فلا عجب اذن اذا ما بادر القاسم
الى الاستسلام ، طالبا من « المعتضد » الترفق به ، فأذن له « المعتضد »
بالاستئزال (٥) الى « قرطبة » وذلك سنة ١٠٥٨ [م ٤٥ هـ] .

ولما فرغ « المعتضد » من هذا الفتح الجديد رأى ان الوقت قد آن
لانزال السوار على الملهاة التى ظل يقوم بتمثيلها حتى ذلك الحين ، وكان
فيها مقتنيا خطوات أبيه ، وذلك بأن جاهر فأعلن موت المدعو « هشاما »
النانى وذلك ليزال اللواعى والأسباب التى كانت تحمل أباه على استغلال
اسم ذلك السلطان ، ولاعتقاد الجميع اعتقادا جازما باستحالة العودة الى
الماضى ، ولايمانهم بأن الخلافة قد انتهت الى شبر رجعة ، وقد بددت
التجربة كل شك حول هذه المسألة ، ولم تعد هناك جدوى ترتجى من
« حصري » قلعة رباج ، وليس من المستبعد أن يكون الموت قد اختطف
منذ سنوات عدة هذا الرجل الذى لم يره أحد قط . من الشعب ولا البلاط ،
كما أنه لا يستبعد أيضا أن يكون المعتضد قد مل ثوابه عند ومقامه لديه
فقتله : وهذا خير يذهب الى تأكيده رهط من المؤرخين الثقات ، وان كنا
لا نستطيع الجزم برأى قاطع فيه ، لأن أمير أشبيلية كان اذا أراد شيئا
عرف كيف ينجزه دون أن يعلم أحدا ما شيئا عنه .

لذلك قام « المعتضد » فى سنة ١٠٥٩ م [٤٥١ هـ] بجمع وجره
سكان عاصمته ، وأعلن اليهم أن الخليفة هشاما قد مات منذ حين بالصرع ،
ثم زاد فقال ان الأمور اقتضته اذ ذاك أن يكتبم هذا الخبر لانشغاله بحرب
جيرانه . أما وقد استقر السلم بينه وبينهم فلا خوف عليه ان هو صرح
بموته ، وحينذاك عمد الى دفن جثة « حصري » قلعة رباج بكل ما يليق به
من الاحترام كسلطان وأحاط الدفن بكل مظاهر الأبهة .

ولما كان « المعتضد » ذاته حاجبا لهشام فقد سحب الجثة مترجلا
دون طيلسان كما نعى موت الخليفة الى جميع حلفائه فى الشرق سائلا

أيامهم اخميار غيره ، وكان ذلك العمل منه أمرا لم يخطر ببال أحد منهم بطبيعة الحال ، ويقال انه ادعى حينذاك أن الخليفة الراحل استعمله على كل بلاد الأندلس (٦) ، ولا مشاحة في أن المعتضد كان يسعى سعيا حثيثا لبلوغ هذه الغاية التي كرس لها جميع جهوده وبذلك أخذ يتطلع للاستيلاء على عاصمة الخلافة القديمة .

عبر أن المقادير كانت تضم له الفشل الذريع .

كانت قوات « المعتضد » قد شنت كثيرا من الغارات على أرباض « قرطبة » ، وفي سنة ١٠٦٣ م [٤٥٦ هـ] (٧) أنفذ أمره الى ولده البكر وقائد جيشه « اسماعيل » بالاستيلاء على مدينة « الزهراء » التي كانت نصف مخربة ، وكان ابنه اسماعيل كارها لهذا التكليف ، معترضا عليه لاستيائه من سياسة أبيه وتأفقه من شراسته واستبداده ، حتى لقد اتهم أباه بأنه كثيرا ما عرضه للأخطار الجسام في الوقت الذي رفض فيه أن يمدّه بالعدد الكافي من الجند اللازم للقتال أو محاصرة مكان من الأماكن الحصينة ، كما أن هناك رجلا أفاقا طماعا أخذ في تسعير غضب اسماعيل على أبيه « المعتضد » ذلك هو « أبو عبد الله البزلياني » (*) الذي هاجر من مالقة حين استولى « باديس » عليها وآلت الى قبضته .

كان هذا السماس يطمع أن يبلغ بأى تمن مربية الحجابة ، ولم يكن يعنيه لمن يستوزر ولا أين يستوزر ، ومن ثم حاول أن يبيت في نفس اسماعيل فكرة التمرد على أبيه ، ويغريه بتأسيس امارة مستقلة في أى ناحية ، ولتكن الجزيرة الخضراء مثلا ، ونجح البزلياني أشد التوفيق في خطته ، ذلك أنه في اللحظة التي تلقى فيها اسماعيل الأمر بالزحف على مدينة « الزهراء » كان الغضب قد بلغ به غايته في نفسه وطفح الكيل ولم يعد يحتمله . ومما يؤسف له أن أباه عاد فرفض من جديد امداده بالقوات التي طلبها منه ، وراحت جهود الابن اسماعيل عبثا في محاولته افهام أبيه استحالة مهاجمة امارة قرطبة بهذا العدد الضئيل من الجند لا سيما اذا تبيض باديس « الى نجدة القرطبيين وهو أمر كان لا بد أن سيفعله . اذ كان حليفهم ، وحينذاك يقع اسماعيل بين شقى الرحى ، فام يبد « المعتضد » مبالا لسماع رأيه ، ولم يعره أذنا صاغية ، بل حنق عليه وقام في سورة غضبه فرمى ابنه بالجبن ، وأخذ يتوعده ، وكاد أن يقرن القول بالفعل اذ قال له : « لئن توانيت عن طاعتي حززت رأسك » .

خرج اسماعيل بالجبن وهو مجروح الكرامة ناغر الصدر على أبيه ؛ غير أنه مضى لاستشارة البزلياني الذي استطاع التغلب على مخاوفه في يسر ، وأفهمه أن قد دنت ساعة تنفيذ ما اتفقا عليه من قبل .

(*) البزلياني بكسر الباء الموحدة وسكون الزاى وكسر اللام بعدها ياء مثناة من تحت والفاء ثم نون وياء .

حين أصبح اسماعيل على مسيرة مرحلتين من أشبيلية أقصى الى ضباطه أن قد سقطت عليه من عند أبيه رسالة يطلب اليه فيها المبادرة بالعودة اليه ، وإن هناك أمرا خطيرا يقتضى مشافهته فيه ومناقشته إياه . ثم صحب البزلياني وثلاثين من حرسه وركبوا الجياد وعادوا على جناح السرعة الى « أشبيلية » التى لم يكن « المعتضد » بها آنذاك ، بل كان مقيما بحصن « الزاهر » الواقع على الجانب الآخر من النهر ، ووجد اسماعيل قلعة أشبيلية ضعيفة الحراسة فهاجمها واستولى عليها مغتتما أن الظلام قد مد طنبه على الدنيا ، ثم حمل ثروة أبيه على اللواب .

ورغبة من اسماعيل فى ألا يتمكن أحد من عبور النهر وينهى الى نازل حصن « الزاهر » خبر ما جرى فقد عمد الى اعراف السفن الراسية أمام القلعة ، تم أخذ أمه ونساء الحريم وسار قاصدا الجزيرة الخضراء .

لكن على الرغم من الاحتياطات التى اتخذها اسماعيل للحيلولة دون وصول الخبر بما جرى الى أبيه فإن أحد فرسان الابن استمع مسلك الابن الشنيع فعبّر نهر الوادى الكبير سباحة وأفضى بالعصا الى المعتضد الذى بادر فى الحال الى انهاض الفرسان لسد جميع المسالك أمام العصبة الفارين ، وأرسل الرسل الى أصحاب القلاع فأخبروهم فى الوقت الملائم بما جرى . فلا عجب ان وجد اسماعيل أبواب جميع الحصون التى مر بها مغلقة فى وجهه ، وخاف أن يجتمع أصحابها على مهاجمته ، فالتمس حماية « الحصادى » أحد أصحاب الحصون الواقعة على قمة جبل قرب كورة « شذونة » ، فأجابه « الحصادى » الى ما طلبه وإن اشترط عليه البقاء حيث هو عند سفح الجبل ، ونزل اليه هو نفسه فى فريق من عسكره ، وأشار عليه مصافاة أبيه ومصالحته ، وعرض عليه أن يسعى هو بينهما فى ذلك الصاح ، فقبل اسماعيل كل ما اقترحه « الحصادى » حين أدرك أن خطئه آيلة للفنسل ، وحينذاك أذن له « الحصادى » بدخول الحصن وعامله معاملة كريمة تتفق ومكانته ، تم أسرع فكانب « المعتضد » ذاكرة له أن اسماعيل نادم على ما كان منه من هفوة فى حقّه ، وأنه نائب عنا حدث ، والتمس منه العفو عنه ، فرد « المعتضد » ردا لم يكن متوقعا اذ بعث بالأمان الى ولده عن زلته .

حينذاك عاد اسماعيل الى « أشبيلية » فترك له أبوه جميع أملاكه ، وإن يكن فى الوقت ذاته قد أخذ فى مراقبته مراقبة دقيقة ، ولكنه أمر بقتل « البزلياني » ومن معه من المتآمرين ، فلما تنهى خبر ذلك الى اسماعيل - وكان خير من يعرف دهاء أبيه ومكره - لم يعد يرى فى صفح أبيه عنه الا شركا نصبه لاصطياده وللايقاع به ، فشرع منذ ذلك الحين فى التاهب للعمل ، واستطاع بفضل المال يبسط به راحته أن يضم الى صفه الخرس

وبعضاً من العبيد الذين جمعهم ذات ليلة وفرق فيهم السلاح ودعاهم
لشراب ليذهب عنهم الجبن ، ثم تسلق بهم القصر من ناحية ظن أنه من
اليسير مهاجمته منها ، وكان يطبع أن يجد والده في هذه اللحظة يقف في
سباته ، وصمم في هذه المرة على قتله وكان تصميمه باناً . غير أن
« المعتضد » باغتهم على غير توقع منهم وهو على رأس جنده ، فأوقع في
يد المتآمرين فنبه من نساقتوا لمرآه ومنهم من فروا على وجوههم ، أما
اسماعيل فقد نجح في اجتياز سور المدينة ، غير أن العسكر المدجج بالسلاح
انطلقوا في أثره فأدركوه وأمسكوه وردوه .

استورى غضب الأب فقاد ابنه الى أسفل القصر وأبعد جميع الناس
وقتله بيديه (٨) ، وفعل مثل هذا برفأقه المتآمرين معه وبأصدقائه وخدمه
بل وبالحریم أيضاً ، وقتل البعض منهم سرا والبعض الآخر جهراً .

حين انغنا غضب الطاغية ألح عليه الشجر المقيم وأمضه نائيب الضمير
وراح يبرر فعلته بأن لاشك في أن هذا الابن الذى ترمد عليه وحاول اغتياله
والخوطة على أمواله وحريمه إنما هو مجرم مؤلف في الاجرام ، لكن على
الرغم من تكرار « المعتضد » هذا الكلام لنفسه الا أنه لم يستطع أن ينسى
أنه كان يحبه ، وأن حبه له كان حبا صادقا ، فقد كان المعتضد شديد
التعلق بأسرته رغم ما طبع عليه من الشدة .

لقد كان هذا الابن [اسماعيل] فطنا سديد الرأى ، ومردى حرب
وفارس بهمة ، وكان أبوه يعلمه ويدخره ليكون درعا له فى شيخوخته
وليتابع أعماله . أما الآن فما هو ذا يحطم بيديه أعز آماله ، حتى ألقه حكى
أحد الوزراء الأشبسيين أنه دخل مع رفقة له على المعتضد بعد ثلاثة أيام من
قتله لولده فأروا وجهه مربدا ، فلم يجروا على بدئه بالسلام ، وأرتج عليهم
الكلام ، فصوب المعتضد فيهم نظره وصعده وزار كالأسد وصاح فيهم :
« يا شامتين ٠٠٠ ما لى أراكم ساكتين ؟ ٠٠ أخرجوا عني ! ! » .

وتحطمت لأول مرة هذه القوة الطاغية وتلك الإرادة الحديدية ،
أما فؤاده الذى كان يبدو كما لو كان فى كنانة تحميه من السهم فقد
أصيب بجرح أخذ فى الاندمال على توالى الأيام ، وان يكن هذا الجرح قد
ترك فيه ندبة عميقة ظلت باقية على الدوام .

بقيت « جمهورية » قرطبة فى هذه الأثناء تنعم بالهدوء الذى أدهشها
وان استراحت اليه ، وكف المعتضد عن التفكير فى مشاريعه الضخمة ،
لكنها عادت دون أن يسعر بها ، وكانت « مألقة » هى التى أيقظت الراقد
من غفوته وأرجعته الى مطامعه ، ذلك أن عربها كانوا قد طأطأوا الهام
منذ سنوات عدة أمام نير « باديس » الا أنهم دأبوا على التزمز من طغيانه .

رراودتهم المطامع أن يكون خلاصهم على يد أمير « اشبيلية » رغم ما يعرفونه عنه هو الآخر من شدة الجور ، بيد أنهم كانوا يؤمنون أن يكون الطاغية من بنى جنسهم عن أن يكون من البربر ، ومن ثم انضموا بالمعتضد واتفقوا معه على تدبير المؤامرة التي شجعهم باديس ذاته عليها بسبب اهتمامه وانصرافه عن معالجة شئون الدولة الا في النادر ، اذ كان مسلما نفسه على الدوام الى صباه ، منكبا على شرايه .

فلما كان اليوم المحدد للمؤامرة اجناحت العاصمة نورة جارفه عندها ، وتمرد خمسة وعشرون حصنا ، كما عبرت في الوقت ذاته الحدود ورات « اشبيلية » بقيادة « المعتضد بن المعتضد » ناهضة لمعونة البوار ، وبعث البربر بهذا الهجوم ، فحكم المغير والثوار السيف في البربر ولم ينج منهم الا من أسعفه الظروف بالفرار . ولم ينقض غير أسبوع واحد الا وقد أصبحت جميع نواحي الولاية في قبضة أمير أنشيبيلية ، ولم يعز عليه الا حصن « مالقة » الذي تقوم على حراسته حامية من السودان المغاربة ، فقد استطاع هذا الحصن المقاومة طويلا بفضل مناعته ووقوعه على قمة أحد الجبال الشاهقة الارتفاع ، فخاف الأمير أن يقتنم « باديس » ذلك الفترة فينهض لنجدة المحاصرين ، وطبعى أن يشغل هذا الخاطر تفكيره وقدي الثورة ، ولذلك فانهم أشاروا على المعتضد بأن يشدد الحصار على الحصن ، وأن يعتمد على حراستهم هم أنفسهم إياه ، والا يسرف في الثقة بالعدد الكثيف من البربر الذين يستخدمهم في جيشه . فلم يصنع المعتضد الى تلك النصائح رغم وجاهتها ، بل ان ما طبع عليه من التراخي وعدم الظنة أديا به الى الفرح بترحيب الشعب الذي أعجبه منه معاملته الوديدة فاستمع الى ضباطه البربر الذين يعطفون سرا على « باديس » فخدعوا المعتضد اذ أكلوا له قرب استسلام الحصن لهم من تلقاء ذاته ، كما اعتقد سواهم من الجند بأنهم صاروا في أمان من الأخطار فلم يقوموا بالحراسة القيام الواجب ، وعكفوا على ملذاتهم .

وقد أدى هذا التهاون الى الخطر الفادح الذي أضر بهم جميعا ، اذ لم يعدم سودان الحصن الوسيلة لاختبار « باديس » بأنه من اليسير عليه مهاجمة العسكر الأشبيلي ، وحينذاك أخذت قوات غرناطة في الزحف عليهم وعبروا الجبال عبورا اتسم بالحذر والسرعة ، حتى لقد دخلوا « مالقة » دون أن يعلم المعتضد بخبرهم الا وقد قاربوها ، ولم يجر قتال أو تحلت موقعة فقد أخذوا في حرق رقاب الجند الذي كان اذ ذاك مجردا من سلاحه ، مخمورا من كثرة ما شرب ، وما كانت نجاة المعتضد الا بارتداده الى « رندة » ، غير أن الولاية بأكملها اضطرت الى الاستسلام من جديد لحكم « باديس » .

نرى من ذا الذى يستطيع أن يصور غضب المعتضد حين سمع بأهمال
ابنه السفیه مما ترتب علیه ضیاع جيشه وفقدانه هذه الولاية الرائعة ؟

لذلك أمر بإبقاء « المعتمد » سجيناً فى « رندة » ، ونسى ما لحقه من
الحزن والعذاب من جراء قتله ابنه البكر [اسماعيل] ، فرغب أن يدفع
ابنه الثانى رأسه تكفيراً للغلطة التى ارتكبها .

لم يعلم المعتمد اذ ذاك بغضب أبیه ، ولكنه بعث اليه قصائد يتزلف
فيها اليه ويمدح كرمه ويطرى شفقته ، كما حاول أن يعزيه عن هذه
الهزيمة بانصراماته السالفة ، فكان مما قاله له :

كم وثقة لك فى الأعداء واضحة تغنى الليالى ، ولا يفنى بها الخبر
سارت بها العيس فى الأفاق فانتشرت فليس فى كل حى غيرها سمر

وبذل المعتمد غاية جهده فى التوصل مما انتهت اليه الحملة ، وعزا
النكبة التى منى بها الى خيانة البربر ، ورسم صورة صادقة حية للحزن
الذى ران على نفسه من جراء هذا العار ، فقال :

سكن فؤادك لا يذهب بك الفكر ماذا يعيد عليك العيث والحذر ؟
قد حلت لونا، وما بالجسم من سقم وشبت رأسا ولم يبلغنى الكبر
فالنفس جازعة ، والعين دامعة والصوت منخفض، والطرف منكسر
لم أوت من زمنى شيئا ألد به فليست اعرف ما كأس وما وبر
ولا : سكتنى دل ولا خفر . ولا سبى خلدى غنج ولا حور
رضاك راحة نفسى - لا فجمعت به - فهو العتاد الذى للدهر أدخر
ما الذنب الا على قوم ذرى دخل وفى لهم عدلك المألوف اذ غدروا .

ولما كان « المعتضد » شديد التذوق للشعر الجميل فقد لمست قصائده
ولده [المعتمد] عواطفه وآلانت من حديثه ، كما عمات على تهدئته توسلات
ناسك من أهل « رندة » يسأله الصفع والتجاوز عن ذلته ، واذ ذاك أذن
للمعتمد بالعودة الى اشبيلية وغفر له ما تقدم من ذنبه (٩) رغم ضياع كورة
« مالقة » من يده الى غير عودة .



شرع باديس منذ ذلك الحين فى الانتباه لما يدور حوله مخافة أن
يباغته « المعتضد » مرة أخرى فيمتجدد الخطر عليه ، ويقال أيضا ان ملك
غرناطة الذى لم تكن تأخذه شفقة ولا يتوانى عن تنفيذ انتقامه اذا فكر فى
الانتقام ، والذى كان لا يسير الا فى زهرة من السيافين أخذ فى كى المنكودين
التردين عليه بالنار وتكبيلهم بالسلاسل ورميهم فى الجباب ، وبهذه
الوسيلة تمكن من أن يقتل فى نفوسهم كل تطلع لمعاودة الثورة .

وعلى الرغم من عظم البلايا التي امتحنوا بها إلا أنهم وجدوا عزاءهم
بوسلوهم فيما علموه من أن نفوذ اليهود في بلاط غرناطة قد اضمحل حتى
أدنت نهايته بالدنو مما أرضى كراهيتهم وتعصبهم .

كان صمويل قد مات فخلفه ابنه يوسف الكلى كان هو الآخر رجلا
أوريبا مثقفا ، إلا أنه خالف أباه فكان لا يذلل كنفه وهو في مكانته السامية
هذه ، بل كان يطلع على الناس في زهو الأمير وخيلائه ، فان خرج في
رفقة « باديس » وكل منهما على جواده لم ير الناس فارقا بين لباس الملك
ولباس وزيره . والواقع أنه كان للوزير يوسف من السلطان نوق ما كان
للحاكم ذاته نظرا لسيطرته التامة على باديس الذي لم يكن ليصحو أبدا من
سكره ، كما عهد يوسف الى احاطة « باديس » بالعيون الذين يحملون اليه
كل ما يبدر من مولاه من فول : صغر هذا القول أو كبر ، وقد نهج هذا
النهج حتى يظل مسيطرا على السوام على باديس .

أضف الى هذا أنه لم يكن ليوسف من اليهودية إلا اسمها فزعم
الناس انه لا يؤمن بملء آرائه ولا بغيرها من الملل ، وانه لا يكثر بأى دين
من الأديان ، وإذا لم يكن قد هاجم الموسوية جهارا إلا أنه هاجم الاسلام
فصرح باستحالة مطابقته للعقل ، ولم يسلم القرآن ذاته من نقده .

ولقد اغضب يوسف بن صمويل العرب والبربر واليهود على السواء
بعتوه وصلفه ومناعه الدينية وقلة احترامه للعدالة كما رمى بكبره
الكثير ، وشاء القدر أن يبتليه بنفر من الخصوم الألداء ، كان من أخطرهم
عليه فقيه عربى اسمه « أبو اسحق الألبى » الذى كان صغر سنه سببا في
حبة عواطفه ، فلما تقدمت به الأيام حاول أن يتبوأ فى البلاط مكانة
يؤهلها لها طيب نبعته ، لكنه لم يفلح فى محاولته هذه اذ قضى يوسف
على آماله ونفاه ، وحينذاك انصرف للتدين ، ودعا كرهه ليوسف أن ينظم
القصيدة التالية التى نال فيها من يوسف ومن أبناء ملته ، فقال:

ألا قل لصنهاجة أجمعين	بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذى مقلة مشفق	يعد النصيحة زلفى ودين
لقد ذل سيدكم ذلة	تقر بها أعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا	ولو شاء كان من المؤمنين
فعر اليهود به وانتخوا	وتاهوا ، وكانوا من الأرذلين
وما كان ذلك من سعيهم	ولكن منا يقوم المعين
فهلا اقتدى فيهمو بالالى	من القادة الخيرة المتقين ؟
وأنزلهم حيث يستأهلون	وردهموا أسفل السافلين .
فلم يستخفوا بأعلامنا	ولم يستطيلوا على الصالحين

باديس أنت امرؤ حاذق
 فكيف أخفى عنك ما يعيثون ؟
 وكيف تحب فراخ الزنا
 وكيف يتم لك المرتقى
 وكيف استتمت الى فاسق ،
 فبادر الى ذبحه قريبه
 ولا ترفع الضغط على رهطه
 وفرق عزاهم ، وخذ ما لهم
 ولا تحسبن قتلهم غدره
 ولا ترض فينا بأفعالهم
 وراقب الاهك فى حربه

تصيب بظنك نفس اليقين
 وفى الأرض تضرب منها القرون ؟
 وقد بغضوك الى العالمين ؟
 اذا كنت تبني وهم يهدمون ؟
 وقارنته ، وهو بثس القرين ؟
 وضع به فهو كبش سمين
 فقد كنزوا كل علق ثمين
 فانت آحق بما يجمعون
 بل الغدر فى نركهم يعيثون
 فانت رهين بما يفعلون
 فحزب الاله هم الغالبون

لكن لم تنجح هذه القصيدة فى التأثير فى نفس باديس لفرط نقته
 فى يوسف ، ولكنها تركت أثرا عميقا فى نفوس البربر ، فأقسموا ليهلكن
 اليهودى ، وأرجف زعماء المؤامرة بانضمام يوسف بن صمويل الى جانب
 المعتصم [بن صمادح] ملك المرية الذى كانوا يحاربونه فى هذا الوقت ،
 ولما تساءل من هم أقل من هؤلاء المتآمرين تعصبا وحماسة عما قله يكون من
 مكسب يوسف ان هو خان الأمير الذى يخضع له كل الخاضوع جاءهم الرد
 بأن اليهودى يرمى الى ما فيه هلاك باديس ونيسل عرشه بالمعتصم [بن
 صمادح] ، واذاك يشب على « ابن صمادح » ويتمرس بجانبه ويضمن
 العرش لنفسه . ولا حاجة بنا للقول بأن ذلك كله كان افكا وبهتاناً ،
 فالحقيقة هى أن البربر كانوا يحاولون تلمس علة لاسقاط يوسف بن
 صمويل والفتك باليهود حسدا منهم لهم على ثرواتهم الطائلة ، فلما خيل
 اليهم أخيرا أنهم عثروا على تلك العلة تمردوا وهاجموا قصر « بادين » حيث
 كان قد لاذ به يوسف الذى حاول الافلات من غضبهم المجنون فاختلف فى
 بعض خزائن الفحم وسود وجهه حتى لا يتعرف القوم عليه ، الا أنهم
 عرفوا مخبأه ولم يخف عليهم أمره فقتلوه ورفعوه على عمود من الخشب ،
 واذاك عمد الغرناطيون الى الفتك ببقية اليهود ونهبوا بيوتهم فراخ
 ضحية هذا الغضب ما يتيف على أربعة آلاف شخص (١٠) .

وكان ذلك الحدث يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٠٦٦ م [٤٥٩ هـ] .

الفصل الثامن

فرديناند ملك ليون وامراء الطوائف

• ظهور فرديناند ملك ليون وقشتالة • موآاة الظروف للنصارى •
• موآاة بعض الحكام المسلمين لفرديناد وروضوآ المعتضد لمطالبة المذلة •••
• بلوغ المهانة بالمعتضد أقصاها فى أخذ السفارة الليونية جثمان ايزيدور •
• حملة فرديناند على بلنسية • النرمنديون يسملو على بوبشرو ويسرفون
فى القتل وهتك الحرم • ثم يعودون من حيث جاؤا فيسترد صاحب
سرقسطة الحصن • موت فرديناند ملك ليون وقشتالة • تخوف المعتضد من
البربر والمرابطين • أيام المعتضد الأخيرة ووفاته حزنا على ابنة له كان شديد
التعلق بها •

فردناند وأمراء الطوائف

لم تكن بقية أسبانيا الإسلامية أكثر طمأنينة من الجنوب ، فقد كان الناس في كل النواحي يتنازعون فيما بينهم نزاعا عنيفا حول بقايا الخلافة الدراسية ، وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ السيل الراجف يتزايد في الشمال وهددت أمواج هذا السيل ممالك شبه الجزيرة بالابتلاع .

ولقد ظلت مشاغل الملوك المسيحيين تصرفهم مدة قرن من الزمان عن التمكن من القيام بالفتوح حتى آن للأمور أن تنبدل سنة ١٠٥٥ م [٤٤٧ هـ] حين استطاع « فرديناند » ملك قشتالة وليون أن يتفرغ لمحاربة المسلمين فوجه جميع قواته ضدهم اذ أدرك استحالة مقاومتهم إياه لما هم عليه من الضعف . والواقع أن الظروف الطيبة كانت جسد موالية للنصارى ، اذ توفر عندهم ما لم يتوفر لأعدائهم وأعنى به الروح الحربية والحماسة الدينية ، ومن ثم اتسمت فتوحات « فرديناند » بالسرعة ، وكانت له فتوحات عظيمة فقد انتزع من يد المظفر - ملك بطليوس - مدينتي « بازو » و « لاميجو » سنة ١٠٥٧ م [٤٤٩ هـ] وغنم ما في يد ملك سرقسطة من القلاع الموجودة جنوب نهر « دورو » ، وقام بغزوة مبررة في أملاك المأمون صاحب طليطلة ، وتقدم حتى بلغ ما يعرف بقلعة الحنش وحينذاك لم يجد أهلها بدا من أن يفضوا لأمرهم المأمون بأنهم مضطرون للاستسلام لملك قشتالة ان لم يبادر أميرهم الى نجاتهم ومدا يد العون اليهم ، غير أن المأمون كان أضعف من أن يستطيع مقاومة العدو فاتبع الصواب وقدم بذاته الى « فرديناند » ودفع اليه بصرة كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأعلن تبعيته له تبعية تتمثل في أدائه الجزية له كما فعل من قبل ملكا بطليوس وسرقسطة (١) .

والآن جاء دور المعتضد .

ففي سنة ١٠٦٣ م [٤٥٦ هـ] قام فرديناند فأحرق ما حول أشبيلية من القرى والديساكر ، وكان ضعف الولايات الإسلامية شديدا حتى لقد رأى المعتضد أن الحكمة تفرض عليه أن يفعل ما فعله المأمون ، هذا على الرغم من أنه كان أقوى حكام الأندلس ، ومن ثم شخص الى المعسكر

المسيحي وقدم بعض الهدايا اللطيفة الى « فرديناند » ملتسما منه الإبقاء على مملكته . والظاهر أن ملك قشتالة لم يكن يدرى ما طبع عليه هذا الرجل من الختل والقسوة . بل دفعه تفنى النسيب والبياض فى شعر رأسه وكثرة غصون جبينه الى احترام هذا الشيخ وتوفيره ، ذلك أن شدة الأطماع وكثرة العمل والجهد بل وربما تأنيب الضمير قد طبعه بطابع الشيخوخة قبل أن يدركها ، إذ لم يكن يعدو اذ ذاك السابعة والأربعين من عمره (٢) ، فلا عجب أن استجاب ملك قشتالة الى توسلاته، لكنه رأى وجوب استشارة عظماء مملكته وقسسيها ، فجمعهم ليسألهم الشروط التى يرون فرضها على المعتضد ، فقر رأى بالاجماع على أن يبعث ملك أشبيلية بجزية سنوية الى « فرديناند » ، وأن يسلم الى السفراء الذين سيوفدهم ملك قشتالة جثة القديسة العذراء « جست » التى استشهدت زمن الاضطهاد الرومانى . فاستجاب المعتضد لهذه الشروط ، ومنذ اذ عاد فرديناند بعسكره حتى اذا بلغ « ليون » أنفذ الى أشبيلية « الفيتس » أسقف العاصمة ، و« أردونيو » أسقف « أستورقة » ، ونيطت بهما مهمتان أولاهما أن يحملوا الى ليون جثمان القديسة الشهيدة ، أما المهمة الأخرى فخاصة بتنظيم موضوع الجزية (٣) .

لكن مما يؤسف له أن أعمال البحث للكشف عن بقايا القديسة « جست » لم تسفر عن شيء مما كان مقصودا ، واذ ذاك قال « الفيتس » الى رفاقه :

والآن أيها الاخوان ، ها أنتم ذا ترون أننا سنعود فاشلين فى تحقيق مالنا من هذه السفرة الشاقة اذا لم تسعفنا العناية الالهية بما جئنا من أجله ، ويبدو لى أنه ينبغي علينا أن نتقرب الى الرب فنعكف على الصلاة والصوم ثلاثة أيام «سويا ، سائلين إياه أن يتفضل فيهدينا الى الكنز المخبوء الذى نفتش عنه » .

ومن ثم لازمت السفارة المسيحية الصوم والصلاة ثلاثة أيام مما أدى الى شدة تدهور صحة « الفيتس » وتجل ذلك حين باغ اشبيلية .

فلما كان صباح اليوم الرابع جمع الاسقف الفيتس مرة أخرى رفاقه وقال لهم :

« أيها الصحاب الكرام ، ينبغي أن ننوجه الى الرب بنية خالصة وقلوب عامرة بالإيمان اذ تخط علينا برحمته فلم يشأ أن تفشل رحلتنا فدهود صفير الأيدي . خففة ان الرب حال بيننا وبين أن نأخذ من هنا جثمان . أوحست « الطوبانية ولكنكم ستعودون الى وطنكم ببطية لا تقل عنها ، تلك هى جثمان « ايزيدور » الطوبانى الذى حمل تاج الأسقفية على مفرقه فى هذه المدينة ، والذي كان حلية أسبانيا كلها بجليل أعماله وأقواله ،

وفد كنت أريد أيها الاخوان أن أسهر الليلة بطولها مصليا ، ولكن مرت على لحظة من الضعف الشديد غلبني فيها النوم على أمرى ، واذ ذاك ظهر لى شيخ فى مسوح الأسقف وقال لى : اننى أعلم بما جاء بك الى هنا أنت ورفاك ، لكن الارادة الربانية لم نسم أن يحكم على هذا البلد برحيل القديسة « جست » عنه ، ثم ان رحمة الرب الأبدية لم ترض ان نرحل انت ورفاك صفر الأيدى فمنحك جسدى » ، فسألته : « ومن أنت يا من تأمرنى بهذا الأمر ؟ » فأجابنى : « اننى كاهن أسبانيا كلها ، ولقد كنت من قبل كبير قساوسة هذه المدينة : اننى أنا ايزيدور ذاته » • ثم اخفى الشيخ من أمامى ، فاستيقظت وسألت الرب عما اذا كان هذا أمره ، فنكرر الحديث ثانية وثالثة ٠٠٠ أجل لقد تكرر مرتين كان المسيح فى كل مرة يخاطبني بنفس الكلام الذى قاله من قبل ، ولما كانت المرة الثالثة دلنى على الناحية التى يثوى بها جثمانه ومسها ثلاث مرات بقضيب فى يده قائلا : « هنا ستجد جثتى ، ولكيلا تحسب مخاطبك شبحا فدليل صدقى هو أنه ستلحقك عقب اخراجي من القبر علة لن تبرأ منها أبدا ، ثم تترك هذا الجسد الفانى وتأتى الينا وعليك تاج الصالحين ثم اختفى » •

انقلب « الفيتس » بعدئذ هو ورفاقه الى قصر المعتضد وقص عليه رؤياه ، وسأله أن يأذن له بأخذ جثمان « ايزيدور » بدلا من جنة القديسة « جست » •

أثرت هذه القصة فى نفس المعتضد تأثيرا عجيبا ، فقد كان رجلا شكاكا ساخرا ، يسخر بالاديان جميعها ، ولا يؤمن الا بشيئين هما : التنجيم والخمر (٤) • الا أنه استمع الى الأسقف وقد ارتسمت علامات الجدة على وجهه ، فلما فرغ الأسقف من حديثه صاح به المعتضد فى رنة حزينة « آسف أيها السيد الحبيب • ترى ما الذى يتبقى لى ان أنا أعطيتك جنة ايزيدور ؟ ، ومع ذلك فلننفذ أمر الله ، انك رجل موقر مبجل • ولا أستطيع أن أرد لك طلبا ، فانهض وامض لما أنت مريده ، وابحث عن جنة ايزيدور ، واحملها معك رغم اعترازى بمكانته عندي » •

والواقع أن هذا العربى كان مراثيا فيما قال ، لكنه كان يعرف كيف يحجب النصارى فيه ويحملهم على التأييد له ، وان سخر منهم فيما بينه وبين نفسه •

ولما كان المعتضد ملتزما بدفع الجزية فقد قدر أن ربما كان من الخير له أن يتعالى فى تقدير ما جاؤوا اليه من أجله ، والا يأذن لهم بنقل جثمان ايزيدور ، فان أذن لهم بما أرادوا ظهر وكأنهم يستلون روحه من جسده • وفعل ما يفعله المدين اذا ألح عليه المائن بسداد ما عليه ، وعرف كيف

يدخل في الحساب شيئا لا قيمة له يفبله دائئه كائر قديم نادر لا يقدر
بسمن ، ومن ثم آجاد تمنيل دوره الى النهاية ، فحينما قرر اسقف
« استورقة » مغادرة أشييلية بجثة « ايزيدور » (لأن زميله ألفتيس كان
قد مات) ذهب المعتضد لمقابلته ، وكسى التابوت بالديباج المطرز بالطرز
العربية الدقيقة الصنع ، وأخذ يقول متنهدا : « ها أنت يا ايزيدور تغادر
هذا المكان ، أيها الرجل الوقور ، وانك لتعلم أى صداقة وثيقة توحده
بيننا » (٥) .

* * *

كان العام التالى ١٠٦٤ م [٤٥٧ هـ] أسوأ الأعوام التى مرت على
المسلمين ، فقد اضطرت « قنبرة » للاستسلام لفرديناند بعد ان ظلت تقاوم
الحصار ستة أشهر ، وقضت الشروط بتسليم خمسة آلاف شخص من
المدافعين عنها الى الغالب ، أما من سواهم فقد غادروا دورهم غير مستصحبين
معهم سوى النفقة الضرورية للسفر ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صدر
الأمر الى جميع المسلمين النازلين بين « دورو » و « منديجو » بمغادرة
البلد (٦) .

وجه فرديناند جيوشه بعدئذ ضد مملكة بلنسية التى كانت تحت
حكم أمير ضعيف كسول هو « عبد الملك المظفر » الذى خلف أباه عبد العزيز
سنة ١٠٦١ م [٤٥٣ / ٤٥٤ هـ] وشرع القشتاليون فى محاصرة العاصمة
فعرزت عليهم ، فلما رأوا صعوبة الاستيلاء عليها فكروا فى حيلة يخدعون
بها المدافعين عنها ويحولون بينهم وبين الذود عنها ، فتظاهروا بالارتداد ،
وحينذاك مضى أهل بلنسية فى آثارهم وهم يرفلون فى ثياب العيد ، وقد
ظنوا أن النصر مواتيهم من غير مشقة ، الا أن جرأتهم كلفتهم غاليا ، إذ
ما كادوا يصبحون على مقربة من « بطرنة » الواقعة على يسار الطريق
المؤدى من بلنسية الى « مرسية » حتى باغتهم القشتاليون بالهجوم عليهم
وفتكوا بالكثيرين منهم ، ولم يستطع ملكهم المظفر النجاة الا بفضل سرعة
جواده (٧) .

كذلك نم للعدو الاستيلاء على حصن بوبشتر الذى يعد من أعظم
حصون الشمال الشرقى أهمية وأمنها ، وكان وقوعه فى يد العدو خطرا
جسيما لسقوطه فى أيلى جيش من النرمندين ، وساء مصير المغلوبين إذ
استسلم جنده الحامية بعد أن اشترطوا على المهاجم الإبقاء على حياتهم ،
لكنهم ما كادوا يفادرون الحصن حتى وضع العدو السيف فيهم فافنأهم
عن بكرة أبيهم ، ولم تكن المعاملة التى عول بها السكان أحسن مما لقيته
الحامية ، فقد حصلوا على الأمان وبينما هم يتأهبون للجلاء عن المدينة اذا
بالقائد النصرانى الذى استبد به القلق من كثرة عددهم يأمر جنده ببذل
السيف فى البعض منهم ، ولم ينثن العسكر عن متابعة الذبح ويكفوا عنه

حتى كانوا قد أبادوا منهم ما يقرب من ستة آلاف شخص ، ثم اصدر القائد النرمندي أمره بأن يعود كل مالك بيت في المدينة الى بيته مع امراته وأطفاله فأطاعوه ، وحينذاك تقاسم النرمنديون فيما بينهم كل ما وصلت اليه أيديهم . ويقول أحد مؤرخي هذه الحقبة من العرب « ان المشركين اقتسموهم ، فكل من صارت في يده دار حازها وما فيها من أهل ومال وولد ، فحكم كل عشيح منهم فيمن سلط عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه الله به منه ، يأخذ كل ما أظهر له ، ويعذبه فيما أخفى عنه ، وربما زهقت نفس المسام دون ذلك فاستراح . وربما أنزله أجله الى أسوأ من مقامه ، ذلك لأن عداة الله كانوا يومذاك يهتكون حريم أسراهم وبناتهم بحضرتهم » ايغالا في اذلالهم والنكابة بهم ، « ويعيتون ، ويغتصبون البكر ، كل ذلك وزوج تلك وأبو هذه موثق في الحديد ، ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك بهن أعطاهن لغلمانهم » .

كان من حسن حظ المسلمين أن لم يتأخر الترمنديون عن مغادرة أسبانيا الى بلادهم للتمتع بالأموال الطائلة التي استولوا عليها ، ولم يبق منهم ببوشترو يومذاك غير حامية ضعيفة ، فاغتنم هذه الفرصة المقتدر ملك المدينة في العام التالي (٨) في ربيع سنة ١٠٦٥ م .

الا أن فرديناند تابع جهوده للاستيلاء على بلنسية التي وجد ملكها نفسه في مركز بالغ الحرج رغم النجدة التي أمدته بها صهره « المامون » صاحب طليطلة ، غير أن نزول المرض بفرديناند أرغمه على الرجوع الى ليون ، الا أن عبد الملك المظفر لم تستقر أموره ، اذ وثب عليه صهره في شهر نوفمبر وخلعه من سدة الحكم وزج به في السجن في قلعة « كونيكا » Cuenca ثم أضاف مملكة بلنسية الى أملاكه (٩) لكن الموت ما لبث أن طرق فرديناند فانقلد المسلمين من ألد خصومهم .

كان فرديناند متلا للملوك يحتذى في شجاعته وتقواه وأخلاقه ، اذ لم يكن يباخ ليون يوم السبت ٢٤ ديسمبر حتى يادر للصلاة في الكنيسة التي أهداها الى القديس « ايزيدور » وهو يعلم أن قد دنت اللحظة التي آن فيها لجسده أن يرقه رقدته الأبدية ، ثم عاد الى قصره فاستجم فيه بضع ساعات ، فلما كان المساء ارتد ثانية الى الكنيسة حيث كان الكهنة يحيون عيد الميلاد بتراتيلهم المشجبة ويؤدون صلاة السحر طبقا لتقاليد طليطلة الدينية كما جرت العادة اذ ذاك ، فأخذ فرديناند يرتل معهم بصوته الواهي الضعيف ، فلما تنفس الفجر سالهم الملك أن ينشدوا القداس ،

ثم انكفأ الى فراشه بعد أن تناول القربان المقدس ، وكان فرديناند يسير منكشاً على سواعد خدَم قصره وهو واهى الجسد .

ولما كان صباح اليوم التالى لبس «ألبسه الملوكية وحمل الى الكنيسة حيث ركب أمام المذبح ، ثم خلع المعطف الملكي والتاج وقال فى صوت واضح الثبرات : لك المجد والقوة يا سيدنا ، يا ملك الملوك ، يا من لك ممالك السموات والأرض ، ها أنذا أرد لك ما تمنحنيهِ ، وما حكمتهُ وفق إرادتك الالهية ، أسألك أنت وحدك أن تكلاً برحمتك روحى التى انتزعتها من هوة هذا العالم » . ثم ركب على عتبات المذبح وبكى متوسلاً الى الرب أن يغفر له خطاياه ، ومسحه أحد الأساقفة بيده ، وغطى جسده بالمسوح ورأسه بالرماد ، ولب فرديناند فى انتظار الموت وهو ثابت الجنان ، عامر القلب بالايمان .

فلما دنت ساعة العصر من يوم الثلاثاء أسلم روحه ورقد رقدته الأبدية وقد ارتسمت على وجهه امارات الهدوء وكست البسمة «ماريره (١٠)



نلت هذه الوفاة وفاة أخرى فقد مات المعتضد ملك اشبيلية يوم ٢٨ فبراير سنة ١٠٦٩ م [٤٦٢ هـ] وكان قد ضم قبل ذلك التاريخ بعامين مدينة « قرمونة » الى مملكته واقترب جريمة قتل جديدة اذ طعن بخنجره أحد مواطنى اشبيلية واسمه أبو حفص الهوزنى (١١) ، غير أن الخواطر السوداء ألحت عليه فى السنوات الأخيرة من حياته وراحته توارقه ، ولم يعد يخشى أن تأتبه القاصمة من هجمات القشتاليين فيطيحون بعرشه الذى «مه بالكيعة والخيانة والدهاء وذلك أن نبوة عرافيه التى تكلمنا عنها من قبل والتى زعمت أن نهاية دولته ستكون على أيدي رجال طارئى على شبه الجزيرة قد وجهت مخاوفه وجهة أخرى .

ظل المعتضد زمناً طويلاً وهو يظن أن أولئك الطارئىن الأغرأب انما هم البربر الذين يقيمون على مقربة منه فعمل على استئصال شأفتهم واعتقد بأنه قد تغلب ما أنبأته به النجوم ، ثم عادت الوسواس تقضى مضجعه وذلك لظهور فئة من البربر فى جانب العدو ، وقد سار بهم شخص يكاد يكون نبيا عندهم ونزل بهم الصحراء ، وراحوا يتطلعون لفتح أفريقية فتم لهم فتحها بالسرعة والحماسة اللتين توفرتا للمسلمين الأوائل ، فرأى المعتضد أن غزاة اسبانيا قبما بعد انما هم هذه الجماعات المسماة بالمرايطين، وفشلت كل محاولة من أجل تبديد الخوف الذى استبد بنفسه من ناحيتهم .

وفى ذات يوم كان يعيد نلاوة خطاب تلفاه من « سفوت » (*) اهـ
سبته يقص فيه عليه خبرا مؤداه أن طليعة جيش المرابطين قد عسكرت فى
رجبة مراكنس فقال له أحد وزرائه : « وأين رجبة مراكنس ؟! » ان دونهم
اللعج الخضر والمهامه القفر ، والليالى والأيام ، والجماهير العظام !! «
فأجابه المعتضد وقد ظهرت فى صوته رنة الأسى : « هو والله الذى أتوفعه
وأخشاه ، وان طالبت بك الحياة فستراه .. » أكتب الى عاملى بالجزيرة
باحتراس جبل طارق حتى ياتيه امرى ، ويريش فى تحصينه ووضع
أرصاده » .

ثم صوب ناظره فى أولاده وقال : « ياليت سمعى من تناله معرفة
هؤلاء القوم : أنا أم أنتم ! » فأجابه المعتضد : « جعلنى الله فداك ، وأنزل
بى كل مكروه يريد أن ينزله بك » (١٢) .

ولقد ابتلى المعتضد قبل موته بخمسة أيام بنىء من القلق ، ونفل
فى جسده وروحه ، فاستحضر اليه مغنيا صقلبيا [اسمه أبو العرب]
وطلب اليه أن يغنيه ما يطرأ له ، عاقدا النية على أن يجعل ما يبتدىء به
قالا فى أمره ، فأخذ الصقلبي يغنى لهما جميع بين الحزن والرجاء مما يزخر
به الأدب العربى ، واستهل ذلك بقوله :

نطوى الليالى علما أن ستطوينا فشعشعينا بماء المزن واسقينا .
ثم أنشد المطرب خمسة أبيات من تلك الأغنية .

ومن الصلف العجيبة المؤكدة أن المعتضد لم يعش بعد ذلك سوى
خمسة أيام .

وبعد يومين من ذلك الحدث أعنى يوم الخميس [٢٦ فبراير]
أصيب بجرح عميق مس شغاف حنايه الأبوى ، فقد رأيناه شديدا الكلف
بأولاده ، عظيم الحب لهم رغم ما طبع عليه من الغلظة ، فقد ماتت أحلى
بناته وكان شديد التعلق بها ، وسار فى جنازتها مساء الجمعة وقلبه
يتفطر حزنا وشجا عايبا ، فلما فرغ من دفنها أحس بألم شديد فى رأسه
فجاءه طبيبه ، وأدرك أن به نزيفا لابد أن يؤدي الى هلاكه ويفضى به الى
الموت ، وأراد الطبيب أن يقصده فأبى المعتضد الاستسلام له وأمره بارجاء
القصص الى يوم السبت غدا ، فعاوده النزيف أشد وأقوى من المرة السالفة ،
حتى انه فقد القدرة على النطق ، ثم ما لبث أن لفظ نفسه الأخير (١٣) ،
فخلفه ابنه المعتضد الذى سوف نحاول التعريف به فيما بعد .

(*) سقطت بفتح السين وتشديد القاف المضمومة بعدها واو ساكنة وتاء .

الفصل التاسع

ابن عمار والمعتد والرميكية

تفاهة بيئة ابن عمار التي نشأ فيها • أثر ظروف نشأته الأولى في
تغلب الشك والكآبة عليه • تعرفه على المعتد ابن عباد ونزوله أكرم منزلة
من نفس المعتد • تولع المعتد باعتماد الرميكية وزواجه منها • استجابة
المعتد لكل ما تطلبه وتشير به • كراهية المتدينين لاعتماد • شعر المعتد
فى الرميكية • ابن عمار يتولى حكومة شلب وهى مسقط رأسه • مجازاته
خيرا لمن كان قله أحسن اليه فى متربته •

ابن عمار والمعتمد والرميكية

ولد المعتمد سنة ١٠٤٠ م [= ٤٣٢ هـ] فلما بلغ الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ولاة أبوه حكومة « ولبة » ، ثم مات بعد أن عهد إليه بقيادة الجيش الاسبيلي المحاصر لشباب حيث تعرف بواحد من المحاصرين لم يكن يزيد عنه في السن بغير تسعة أعوام ، ولكن قدر له أن يلعب دورا خطيرا في حياة المعتمد .

كان اسم هذا الفتى المحاصر « ابن عمار » ، وقد ولد في دسكرة من نواحي « شلب » من أبوين عربيين فقيرين مغمورين ، وأخذ نفسه منذ البداية بدراسة الأدب في « شلب » وقرطبة ، ثم راح يذرع رحاب أسبانيا عاملا على كسب ما يمسك عليه حياته بامتداحه كل قادر على رفده بالمال ، ولما كان الشعراء النابھون يرون من الحطة لهم أن ينظموا القصيد في غير الأمراء والوزراء فإن هذا الشاب المملق المغمور ، الرث الثياب ، الذي كان يثير سخرية البعض وشفقة الآخرين بعبادته الطويلة وقلنسوته الصغيرة كانت تغمره الفرحة أن تفضل عليه متفضل ممن أثروا على كبر بفتات مائدته نظير ما ينظمه فيه من شعر رائع .

وحدث في يوم من الأيام أن بلغ ابن عمار هذه مدينة « شلب » وهو في شدة الضيق ، وليس معه سوى رفيقه في شقائه وهو بقله ، ولم يعرف كيف يلتمس ما يطعمه به ، ولكن شاء حسن طالعہ أن يخطر ببالي رجل لا بد وأن يعاونه إذا شاء ، وهو تاجر ثرى من أهل البلد وإن لم يكن يتنوق الأدب ، لكنه كان على جانب من الغرور يدفعه للزهو بما يقال فيه من المديح ، ومن ثم نظم ذلك الشاعر المفاس [ابن عمار] فيه قصيدة وبعث بها اليه وأفضى اليه فيها بما هو فيه من الضيق وما يعاينه من الضنك ، فامتلا التاجر غرورا بمدح ابن عمار له ، وأنفذ اليه مخللا مألها شعيرا ، فلما تسلم ابن عمار الهدية ود لو أن التاجر بعث له معها بأخرى مألها برا ، إلا أنه فرح غاية الفرح ، وسنرى كيف أظهر فيما بعد عرفانه لجميل المتفضل عليه .



لم يلبث أن ذاع خبر موهبة ابن عمار الشعرية ، وشرف قدره بتقديمه الى « المعتمد » الذي أعجب به غاية الإعجاب ، ولما كان الاثنان

يميلان للهو وممارسة شتى ضروب المغامرات وقرض الشعر المجزل فسرعان ما نأكدت بينهما وشائج الصداقة الراسخة ، ولما دانت « سلب » للمعتمد استعمل ابن عمار واليا عليها ، وبادر بانشاء وظيفة كبرى لصديقه (١) .

لم تسنطع الايام أبدا أن نمحو من ذاكرة المعتمد الايام الجميلة التي قضاهما في مدينة « سلب » الفاننة التي لم يكن من أهلها اذ ذاك الا من يقرض الشعر (٢) ، والتي لا تزال الى اليوم تسمى بجنة البرتغال ، ولم يكن قلب الأمير قد تفتح حتى ذلك الوقت للهوى ، وإن كانت بعض نزغات طارئة قد شغلت باله ولكنها لم تلبث أن تلتفت دون أن تترك فيه آثارا عميقة (٣) ، فقد كان ذلك الزمن عنده زمن العاطفة المتأججة ، ولكنه خلاله لغير رجعة .

لم يكن ابن عمار قد درج في مهاد البلهنية والنعيم والسعادة كما درج الأمير ، بل انه كابد منذ فجر حياته النضال والفشل وخيبة الآمال القاسية والاملاق ، فكان دون مولاه بشاشة طلعة وطلاوة شباب ، ولم يكن يستطيع أن يدفع عن نفسه ما يلاحقها من السخرية ، فكان متشككا في كثير من الأمور ، وقد حدث في يوم من أيام الجمعة أن خرج الصديقان الى المسجد ، فسمع المعتمد المؤذن يؤذن للصلاة فارتجل هذا الشطر : « هذا المؤذن قد بنى بأذانه » ، ثم سأل ابن عمار أن يكمل البيت فرد عليه قائلا : « يرجو بذاك العفو من رحمانه » .

فقال المعتمد : « طوبى له من شاهد بحقيقة » ، فأكمل ابن عمار البيت باسمه وقال : « ان كان عقد ضميره كلسانه » (٤) .

ومع غرابة هذا الأمر الا أن في الامكان تفسيره بأنه أدرك منذ زمن بعيد طوية الناس فهو ساخر منهم ، شاك فيهم ، حتى لقد كان يشك في مودة الأمير الشاب له رغم أنها مودة خالصة من كل شائبة نشوبها ، ولعل عذره في ذلك أنه لم يكن يستطيع التخلص من الأوهام السوداء التي كثيرا ما كانت تسيطر على نفسه لا سيما في أثناء الولايم ، اذ كان يستبد به الحزن كلما زاد في الشرب . وتروى عنه في هذا الصدد قصة نادرة عجيبة وقعت له بالفعل ، فقد رواها أصدق من يوثق بهم ومن بينهم المعتمد بل وابن عمار ، فقد قيل انه حدث في ذات ليلة أن دعا المعتمد ابن عمار للشاء وأخذ يلاطفه أكثر مما جرت به العادة ، فلما فرغوا مما هم فيه انقلب المسعورون الى فرشهم غير ابن عمار فقد استبقاه المعتمد وأقسم عليه أن يشاطره فراشه ، فنزل الوزير على طلبه ، ثم ما لبث أن هوم وأغفى ، وحينذاك سمع هاتفا يهتف به : « لا تغتر أيها المسكين فانه قاتلك ولو بعد حين !! » ، فتملكه الذعر وصحا من غفوته فزعا ، ثم حاول

أن يتخلص من تلك الوسواس السوداء الناجمة عن الخمر وجهد أن ينام ، ولكنه سمع هذا التنذير مرة ثانية وثالثة فلم يستطع النوم ولم تقمض له عين ، واعتقد أن هذا هانف خفي يوحى بما يعجز البشر عن إدراكه ، فتسلل في غابة من السكون والنف في حصار ومضي فربض في أحد أركان دهاليز القصر ، وهو مزيج الانفلات حالما تفتح أبواب القصر لباتي باب البحر ويركب منه إلى العدو .

غير أن المعتمد استيقظ هو الآخر فلما لم يجد رفيقه إلى جانبه نعت منه صرخة حادة بادر على أثرها جميع خدمه وأخذوا يجوسون خلال القصر مفتشين عن ابن عمار في كل ناحية من نواحيه ، وصحبهم المعتمد ذاته في التفتيش عنه ، وأراد أن يرى عما إذا كان الباب قد فتح فسار حتى بلغ الدهليز حيث كان ابن عمار مختبئاً ، فبدت من الشاعرة حركة عن غير قصد منه ولم يسع إليها ، واذ ذاك وقعت عينها الأمير على الحصار الذي كان صاحبه ملتقاً به فصاح بمن معه : « ما الذي يتحرك في هذا الحصار ؟ » فجرى الخدم نحوه ونفضوا الحصار فبدى ابن عمار وهو أجدر ما يكون بالرائ وأحق بالشفقة ، وليس عليه من الثياب غير سرواله وقد ارتجفت أعضائه واحمر وجهه خجلاً لم يستطع حياله أن يرفع عينيه إلى المعتمد الذي ما أن رآه على هذه الصورة حتى انفجر باكياً وسأله : « يا أبا بكر ٠٠ ما الذي حملك على هذا ؟ » .

واذ رأى صديقه موصول الرجة فقد ترفق به وسار وإياه إلى حجرته محاولاً الوقوف على سر مبلكه العجيب هذا ، فبقي فترة غير قصيرة لم يوفق فيها إلى الوقوف على ما يريد .

وقع ابن عمار فريسة اضطراب عصبى شديد ، وتناهيه الخجل من السخوية به والفرع مما فعله ، فأنشأ يبكي ويضحك حتى إذا هدأت نفسه أخيراً اعترف بما جرى ، فضحك المعتمد لاعترافه وأمسك بيده في حنان وقال له : « يا أبا بكر ٠٠ هذه أضغاث أحلام ٠٠٠ هذه آثار الخمر ، وكيف أقتلك ؟ رأيت أحداً يقتل نفسه ؟ وهل أنت عندي إلا كنفسي ٠٠٠ فانس الأمر » .

وتناسى ابن عمار الأمر فنسيه على حد قول أحد المؤرخين (٥) . وتوالت الأيام والليالي بعضها في أثر بعض إلى أن كان من أمره ما كان مما ستأتي الإشارة إليه .



كان الصديقان إذا غادرا «سلب» خلفها إلى اسبيلية حيث يمارسان شتى ضروب اللذات التي لا تتوفر إلا في هذه العاصمة الرائعة المتألقة ،

وكثيرا ما كانا يمشيان متنكرين الى مرج الفضة على شاطئ نهر الوادي الكبير حيث يختلف الى هناك الرجال والنساء بحثا عن اللهو والتسلية وطلبا للترويح عن النفس ، وقد التقى في هذا المكان المعتمد لأول مرة بتلك الفتاة التي قدر لها أن تصبح رفيقة حياته ، وذلك أنه بينما كان يتجول ذات مساء مع صديقه في مرج الفضة اذ مس النسيم وجه الماء مسا هينا فجده . فارتجل المعتمد هذا الشطر « صنع الريح من الماء زرد » ثم سأل ابن عمار أن ييجز الشطرة الثانية فعجز ابن عمار ، ولكن قامت بذلك فتاة من بنات الشعب كانت على مقربة منهما فقالت : « أى درع لقتال لو جمده » .

فتملك العجب المعتمد أن يسمع فتاة صغيرة تبز ابن عمار في الارتجال ، وكان الارتجال أمرا قد شاع خبره عن ابن عمار ، ثم نظرو المعتمد اليها فشدده جمالها ، وسرعان ما نادى أحد الخصيان ممن يتبعونه عن قرب وأمره أن يأخذ الفتاة التي ارتجلت هذا الشطر الى القصر ، ثم بادر هو بالرجوع اليه .

فلما جىء بالفتاة اليه سألها من تكون ومكانتها فأجابت :
« اسمى اعتماد ، ويلقبوننى بالرميكية نسبة الى مولاي رميك ابن حجاج ، ومهمتى وضع السرج على الدواب » .
فسألها : « اذات فعل أنت ؟ » .
فقالت : لا .
فقال لها : « أنت لى زوجة » (٦) .

ظل المعتمد بقية حياته على طولها شديد الولع باعتماد الرميكية ، وصارت هي عنده غاية المنى ، وكان الناس أحيانا يقرنونها بولادة القرطبية : « سافو » ذلك العصر ، ولكن هذه المقارنة قد تكون صحيحة من بعض الوجوه ، وبخاطلة من وجوه أخرى .

لم تكن « الرميكية » تستطيع أن ترقى لمنافسة « ولادة » في المعرفة لانها لم تنصرف للنظر في الكتب، بيد أنها لم تكن دونها في حلاوة الحديث ورقة الألفاظ وعذوبة المنطق ، وحضور البديهة ، وكثرة الفكاهة ، وسرعة النكتة ، بل لعلها بزت « ولادة » في مفاتها الطبيعية ، وسذاجتها وبشاشتها ودلالها (٧) ، وقد كانت أهواؤها ورغباتها مؤدية الى سعادة زوجها وشقيقته معا ، اذ كان يرى نفسه مضطرا لاستجابة كل ما تطلبه منه مهما تكلف في سبيل تحقيقه ، وما كان يتأني لاحد ما أن يزحزحها

عن رأى ارتآاته ، وقد حدث فى أحد الأيام فى شهر فبراير أن نظرت من كوة
باحدى نوافذ القصر بقرطبة فأبصرت الثلج يتساقط قطعاً قطعاً ، وكان
هذا منظرًا قل أن يساهد فى هذا البلد الذى لا يكاد يعرف الشتاء ،
فاذا بها تنفجر باكياً على غير انتظار ، فسألها زوجها : « ماذا بك يا قرة
العين ؟ » فأجابته وهى تتنهد : « تسألنى عما بى؟... ويحك من قاس!!...
ما أجمل هذا البرد وما أفتن تساقط قطع الثلج !! » فأجابها وهو يكفكف
عبراتها التى انحدرت على وجنتها : « أأناك ، وسترين هنا ان شاء الله
ما تحبين » *

ثم أمر بزرع أشجار اللوز على جميع جبال قرطبة عسى أن تكون
أزهارها البيضاء التى تتفتح بعد انتهاء الصقيع تعوض الريميكية عن كرات
الثلج المولعة بها (٨) *

وحدث فى مرة أخرى أن شاهدت طائفة من نسوة الحى يعجن الطين
بأقدامهن العارية لعمل الآجر ، فبكت فسألها زوجها عما يبكيها فقالت :

« واشقوتى وأنا أسيرة هذا القصر !!... أما رأيت هؤلاء النسوة
على ساطئ النهار ؟... لو ددت لو كنت معهن أفعل فعلهن فأعجن الطين
بقلمي العاريتين... لكنك فرضت على قيود الغنى والملك » *

فأجابها الأمير : « حنانيك سيكون لك ما شئت » *

وبادر فى لحظته فنزل الى ساحة القصر وأحضر كمية كبيرة من السكر
والقرفة والزنجبيل ومختلف أنواع الطيوب ، ثم أمر الخدم بخلطها بالماء
وعجنها بالأذرع حتى صارت عجينة ، فلما فرغ الخدم من ذلك قال
للريميكية : « هلا نزلت الى الساحة وعجنت الطين مع جواريك ؟ » *

فنزلت السلطانة وخلعت هى ووصيفاتها نعالهن وأخذن يغمسن
أرجلهن فى هذا العجين المعطر ، وهن جذلات مرحات *

كان هذا الهوى غالى الثمن ، وعرف عن المعتمد أنه يستجيب لزوجته
المدلة التى لم يكن لرغباتها نهاية ، وحدث فى ذات يوم أن سألت زوجها
شئنا لم يستطع تحقيقه لها ، فصاحت به : « واتعسى... والله ما رأيت
منك خيراً قط !! » *

فسألها المعتمد فى صوت رقيق ملؤه الحنان : « ويوم الطين ٩٠٠٠ »
فخجلت ولم تصر على طلبها (٩) *



واننا لمضطرون لأن نضيف الى ذلك أن المتدينين كانوا لا ينطقون
أبداً اسم هذه السلطانة النشيطة الا مستعدين بالله ، ويعودونها أكبر

نقبة فى سبيل هداية زوجها ، ويقولون انها هى التى تدفعه الى الانغماس
فى الملذات والفن ، واذا راوا المساجد غير عامرة بالمصلين يوم الجمعة
نسبوا اليها انصراف الناس عن الصلاة •

وكانت الرميكية « تسخر منهم ، ولما كانت طائشة غير مكتوفة بشيء
ما فانها لم تقدر ولم يخطر لها على بال أن سيأتى يوم يغدو هؤلاء الرجال
خطرا كبيرا عليها (١٠) •

على أن حب المعتمد للرميكية لم يغير من بقائه على مودته لابن عمار
فلم يزل ، ينزله من نفسه أكرم منزلة ، وحدث فى ذات مرة أن سافر
الأمير وانفصل عن الرميكية وكان فى صحبة صديقه فكتب اليها رسالة
ضمنها هذه الأبيات الستة :

(ا) أغائبة الشخص عن ناظرى وحاضرة فى صميم الفؤاد
(ع) عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشئون وقدر السهام
(ت) تملكنت منى صعب المرام وصادفت ودى سهل القياد
(م) مرادى لقياك فى كل حين فياليت أنى أعطى مرادى
(ا) أقيمي على العهد ما بيننا ولا تستجيلي لطول البعاد
(د) دسست اسمك الحلو فى طيه وألفت فيه حروف «اعتماد» (١١)
ثم ختم كتابه اليها بقوله « سألناك ان ساء الله ربى وساء ابن
عمار » •

فلما علم ابن عمار بهذه العبارة نظم الأبيات التالية موجهها اياها الى
رفيقه وفيها يقول له :

مولاي عندى لما تهوى مساعدة
كما يتابع خطف البارق السارى
ان شئت فى البحر فاركب ظهر ساجدة
أو شئت فى البر فاركب ظهر طيار
حتى نحل - وحفظ الله يكلؤنا -
ساحات قصرك واتركنى الى دارى
وقبل خلع نجاد السيف فاسع الى
ذات الوشاح ، وخذ للجد بالثار
ضما ولثما ، يغنى الحلى بينكما
كما تجاوب أطبار بأسحار

هكذا كان قلب الأمير الشاب ورعاً بين الصداقة والحب ، ومن ثم
نعم بحياة لطيفة . إلا أن صفوة هذه الحياة ما لبث أن تكدر ، فقد نفى
المعتضد ابن عمار ، فكان هذا الحادب ضربة شديدة الوقع على الصديقين
... ولكن ماذا يفعلان ...

لقد كان المعتضد رجلاً لا يرجع عن قضاء قضى به في أمر ارتآه ، لذلك
أمضى ابن عمار في الشمال - لاسيما في قرطبة - أشد سنوات نفيه
قسوة ، وظل على هذا المنوال حتى ولى الحكم المعتضد بعد أبيه وله من
العمر تسع وعشرون سنة (١٣) ، فبادر الأمير إلى استدعاء ألف شبابه
إليه ، وترك له الحرية في اختيار ما شاء من الوظائف في الحكومة ، فقرر
رأى ابن عمار على تولي حكومة الولاية التي كانت مسقط رأسه ، فأجابه
المعتضد إلى طلبه رغم ما يرهضه من الأسى لابتعاده عنه وما في هذا البعد
من فراق (١٤) بينهما .

فأما أخذ المعتضد في وداعه جانست نفسه بذكريات أيامه العذاب
بشلب ، ورفرفت أمام عينيه صور الماضي التي لم تبارح فؤاده أبداً ،
فأنشد مرتجلاً (١٥) :

ألا حي أوطاني بشلب أباً بكر
وسلطن هل عهد الوصال كما أدرى
وسلم على قصر الشرايين من فنى
له أبداً سوق إلى ذلك القصر
منازل أساد ، وبيض فواعم
فناهيك من غيل وناهيك من خدر
فكم ليلة قد بت أنعم جنحها
بمخضبة الأرداف ، ومجدبة الخصر
وبيض وسمير فاعلات بمهجتي
فعال الصفاح البيض والأسل السمر
وليل بسد النهر لهما قطعتيه
بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم
نضير ، كما انشق الكمام عن الزهر .

ودخل ابن عمار مدينة « شلب » في أفخم موكب وأروع حاشية لم
يتيحاً مثلها للمعتضد ذاته أيام ولايته حكومة هذه الكورة .

لكن الذى يغفر له هذا الزهو هو أنه قام بعمل كريم دل على عرفانه للجميل ، اذ ما كاد يعلم أن التاجر الذى أعانه فى ضيفه يوم كان هو ساعرا مملقا مجهول الشأن لا يزال على قيد الحياة حتى بعث اليه بصره مملوءة بالدراهم ، ولم تكن هذه الصرة سوى المخللة التى بعثها اليه التاجر وقد ملاحا نسعيرا ، وكان ابن عمار قد احتفظ بها حتى يوهه هذا ، ولم يكتف عمن أحسن اليه قديما أنه لم يكن قانعا بعطيته اليه ، اذ قال له :

« لو كنت ملأناها برا لكننا ملأناها لك تبرا (١٦) » .



لم تطل ولاية ابن عمار بشلب ، لأن المعتمد لم يطلق العيش بعيدا عنه فاستدعاه الى القصر وولاه الحجابة (١٧) .

الفصل العاشر

صور من حياة المعتمد

بلاط أشبيلية مجمع فطاحل الشعراء • المعتمد ووصيفه الشاعر
ابن وهبون • اللص الباز الأشهب واعجاب المعتمد بحيلته على سبيل
الفكاهة • استعمال المعتمد للباز الأشهب فى الشرطة • بعض من حياة
المعتمد • منادمته لوداد ومسامرتة للونا (قمر) وعشقه لجوهرة • نجاح
قرطبة فى القضاء على آل بن جوهر ونفيهم الى شطليش • ظهور
ابن عكاشة محمد بن مرتين وعباد بن المعتمد على مسرح الأحداث وخلو
الجو لابن عكاشة الذى لا يلبث أن يموت مسموما • المعتمد يقتل
ابن عكاشة ثارا لولده عباد • مطامع ألفونس السادس فى اشبيلية وحيلة
ابن عمار فى رده •

صور من حياة المعتمد

كان المعتمد ووزيره ابن عمار يحبان الشعر حبا جما دفعهما لا يتنازعه على كل ما سواه ، ومن ثم أضاعى بلاط أشبيلية ندوة يلتقى في رحابها أنبغ الشعراء في يومهم ، أما من دونهم فلم تواتهم الفرصة للظهور ، لأن المعتمد كان ناقدًا لودعيا ينقد كل قصيدة ترفع إليه نقد الخبير الأملى ، ويوزن كل عبارة بها بل وكل لفظ حوته (١) ، وكان يسرف اسرافا لاحد له في العطف على الشاعر الملهم اذا وفى فى العتور عليه ، وقد سمع ذات يوم أحدهم ينتقد هذين البيتين :

قل الوفاء فلا تلفيه فى أحد ولا يمر لانسنان على بال
كانه عندهم عنقاء مغربة أو مثل ما حدثوا عن ألف مقال
فسأل لمن البيتان ؟ ، فقل له : « لعبد الجليل [بن وهب] ،
أحد خدم مولانا » . فصاح المعتمد اذ ذاك : « هذا والله هو اللؤم ...
رجل من خدامنا والمنقطعين الينا يقول : « أو مثل ما حدثوا عن
ألف مقال ؟ ، وهل يتحدث أحد عنا بأسوأ من هذا المقال وهذه
الاحدوثة ؟ » .

ثم بادر فى لحظته وأمر بوصل عبد الجليل بألف مقال (٢) .



وحدث فى مرة أخرى أنه كان يتحدث الى أحد الشعراء الصقليين
الذين وفدوا على بلاطه بعد فتح « روجر النرمنى » بلادهم ، فدخل
عليه بعضهم يحمل جملة دنابر قد ضربت منذ قريب ، فوصل المعتمد
الصقلبي منها بخريطين ، فلم يقنع الشاعر [واسمه أبو العرب] بما
أصاب من العطية رغم ضخامتها ، وتطلع بعين الطامع الى تمثال بالقاعة
لجمل مصنوع من العنبر ومحلى بالجواهر ، وقال للمعتمد : « ما يحمل
هذه الدنابر يا مولاي الا جمل !! » ، فقال المعتمد : « هو لك » (٣) .

وخلاصة القول فالثابت أن المعتمد كانت تعجبه راحة الفكر سواء
عند الشاعر أو غيره حتى ولو كان هذا اللبيب لصا قاطع طريق ، كما
تشهد بذلك قصة « الباز الأشهب » وهو رجل كان من أفتك قطاع الطريق

فى زمنه وأعاصم وأشدهم خطرا ، وقد انفرد بهذا اللقب وخصه الناس به فكان نعتا له دون سواء •

ظل الباز الأشهب يبعث الرعب فى قلوب سكان الريف ويدمر ما يملكون حتى وقع فى النهاية فى يد العدالة ، فأدين فحكم عليه بالصلب على قارعة الطريق لينظر الفلاحون ما حل به ، وكان اليوم المضروب لتنفيذ الحكم يوما حارا قائظا كأشد ما يكون القيظ ، وخلا الطريق - أو كاد - من المارة الا من زوجته وبناته اللاثى وقفن عند أسفل الخشبة التى رفع عليها وهن يقلن : « لمن تتركنا ؟ » سوف نضيع بعدك » ، وكان الباز الأشهب رجلا شديدا الحنو على أسرته ، بتنسّق قلبه عطفًا عليها ، فاستند جزعه اذ فكر فى المتربة التى سوف تلقاها بناته من بعده ، وحدث فى هذه اللحظة أن مر به تاجر غريب الدار على بغل وتحتة حمل تياب وجملة من بضائع مختلفة وهو ماض لبيعها فى القرى المجاورة ، فصاح به الباز الأشهب : « يا سيدى ، أنظر فى أى حال أنا ، ولى عندك حاجة ان تقضيها ففيها نفع لى ولك !! » فسأله التاجر « وما حاجتك يا رجل ؟ » ، قال : « أنظر الى تلك البئر ، لما أرهقنى الشرط رميت فيها مائة دينار فمضى تحنل فتخرجها ٠٠٠ وهذه زوجنى وبناتى يمسكن بغلتك خلال ما تخرجها. فان فعلت فلك نصفها حالا » •

وتحركت فى التاجر شهوة الكسب وتغلبت عليه ، وسرعان ما اجتنب حبلًا وشده الى حافة البئر وتدلّ وهو ممسك به حتى بلغ القاع ، واذا ذاك قال الباز الأشهب لامرأته : « اقطعى الجبل وخذى ما على البغل ، وفرى ببنااتك » •

وتم ذلك كله فى طرفة عين والتاجر يصيح ويستغيث فى الجب كالمجنون فلا يغاث ، وبقي على ذلك ساعة من الزمن غير قصيرة لم يهرع لنجدته أحد ما فقد كان الطريق خاليا من السابلة ، حتى جاءه أخيرا أحد المارة فلم يقو لضعفه على جذبه من البئر فوقف يلتمس عابرا آخر يعاونه فى اخراجه •

ولما أتيح للتاجر الخروج بعد لاي من محبسه العميق قصص-على منقذيه اللذين سألوه عن السبب الذى من أجله نزل البئر ، فروى لهما نكد طالعه وهو يصب اللعنات على اللص الذى غرر به واحتمل عليه هذه الحيلة الماكرة التى سرعان ما ذاع خبرها فى كافة أرجاء البلد حتى تناهت الى سمع المصتمد الذى أمر بانزال الباز من فوق الخشبة وأحضره اليه ، فلما صار بين يديه قال له : « كيف فعلت هذا مع أنك فى قبضة الهلكة ؟ » فأجابه اللص : « يا سيدى ٠٠٠ لو علمت قدر لذتى فى السرقة لخليت ملكك واشتغلت بها 19 » •

فانفجر الأمير ضاحكا وقال : « عليك اللعنة ٠٠٠ او سرحنك وأحسنك اليك وأجريت عليك رزقا يقيلك أئتوب عن هذه الصنعة الذميمة ؟ » .

فأجابه : « يا مولاي ، كيف لا أقبل التوبة وهي نخلصني من القتل ؟ » .

وبر الباز الأشهب بعهدده ، فما كاد يسغل وظيفة في الشرطة حتى بت الرعب في قلوب رفاقه السابقين ، بعد أن كان يتير الفرع من قبل في نفوس الفلاحين (٤) .



لقد تقلب المعتمد في أعطاف حياة ناعمة لاهية ولم يسغل نفسه كبرا بأمور الدولة ، حتى لقد قال في إحدى قصائده (٥) :

بالعقل تزدهم الهموم على الحشا والعقل عندي أن تزول عفول
وقد استنفدت المآدب شطرا كبيرا من وقته ، كما اضطرت رغبته في تذوق لذائد الحياة لصرف ما تبقى منه قرب الكواعب الحسان من حريم قصره ، وإن لم يمنعه ذلك من البقاء على حبه للميكية التي ظل هواها في قلبه عنيقا حبا حتى مات ، لكن لما كان مألوفاً عند البعض من أنه لا جناح على السرى أن يكون له هوى مع غير زوجته دون أن يرمى بالتحول عنها ، فقد كان المعتمد يبعث بين حين وآخر بالهدايا إلى غيرها من النسوة فلا تغضب الميكية لوفوقها من سيطرتها على فؤاده .

لقد كانت هناك « وداد » الجميلة وفاتنته ، وكانت إذا شربت مع الأمير أحس للشراب نكهة لا يلقاها مع سواها (٦) .

ثم كانت « لونا » التي تجلس إليه إذ يمضي لقراءة شعر القدماء أو حين يتهيا لنظم القريض ، وحدث في ذات مرة أن انسلت الشمس فالتقت بأشعتها في حجرة مطالعته فقامت دونه تستره منها ، فقال في ذلك :

قامت لتجذب ضوء الشمس قامتها عن ناظري : حجب عن ناظر الغير
علما لعمرك منها أنها « قمر » هل تكسف الشمس الاصورة القمر؟

وكانت له جارية تدعى « جوهرة » ، جمعت بين حدة الطبع والحشمة ، فان غضبت لقي المعتمد آلاما جساما في فئا غضبها وفي ردها إلى الهدوء . وقد حدث ذات مرة أن سخطت عليه فكتب إليها يترضاها ويقدم إليها معاذيره ، فأجابته اجابة كريمة وإن لم تضع اسمها أعلاها كما جرت العادة ، فلما رأى الأمير ذلك أنشد يقول (٧) :

لم تصف لي بعد والا فلم لم أر في عنوانها « جوهرة »

درت بأنى عاشق باسمها فلم ترد للخيظ أن تذكره
قالت : لعنه اذا أبصره فباله ، والله لا أبصره

وما أروع السقم بأنى به السحر !! .

لقد دعا الله الأمير أن يمن عليه بالمرض الدائم عساه أن يطالع عند
سريره تلك الطيبة الفاتنة الوردية النسفتين (٨) .

فد يخطئ من يظن أن المعتمد كان منصرفا كل الانصراف عن متابعة
عمل أبيه وجده من قبل ، فهو وإن لم يكن له من الاطماع ما كان لهما
الا أنه أخرج الى الوجود ما عجزا عن عمله من قبل ونجح هو فيما لم ينجحا
فيه ألا وهو ضم قرطبة الى مملكته فى السنة الثانية من حكمه .

حقيقة أن أباه مهد له السبيل ، كما عاونته الظروف معاونة عجيبة ،
ذلك أنه قبل هذا التاريخ بست سنوات ، أعنى سنة ١٠٦٤ م [= ٤٥٧ هـ]
تخلى أبو الوليد [محمد] بن جهور حاكم قرطبة عما بيده الى ولديه
عبد الرحمن وعبد الملك فساق الى أكبرهما مهمة الاشراف والجباية ،
وجعل للثانى (وكان شديد الميل لله) قيادة الجند (٩) ، غير أن ادارة
الابن الصغير سرعان ما غطت على ادارة أخيه الأكبر ، وإن يكن كل شئ قد
سار سيرا لا عوج فيه طول المدة التى كانت الادارة خلالها بيد ابن السقاء
الذى فرض احترام الحكومة على جميع أعدائها : من ظهر منهم ومن استتر ،
وكان من بين هؤلاء المعتضد ذاته الذى أدرك أن تحقيق رغائبه مرهون بما
يفعله لاسقاط ابن السقاء .

لذلك حاول المعتضد افساد ما بين عبد الملك بن جهور وبين وزيره ،
وشاء القدر أن يكسب له النجاح فى تلك المحاولة ، فقد لقي ابن السقاء
مصرعه قتلا مما ترتب عليه أوخم العواقب للبلد ، فقد استعفى الضباط
والعسكر الذين كانوا شديدي التعلق بالوزير ، كما كره الشعب فى
عبد الملك قسوته وإهماله ، وبدى لهم أنه يحاول أن يحو بالتدريج ما بقى
قائما حتى ذلك الوقت من النظم الجبهورية .

وأخذت قوة عبد الملك فى التدهور منذ أن نهض المأمون صاحب
طليطة لحصار قرطبة فى خريف ١٠٧٠ م [= ٤٦٣ هـ] ولم يكن عند
عبد الملك من قوة يدفع بها المغير سوى مائتى فارس ينقصهم التنظيم ،
ومن ثم طلب النجدة ونال ما تمنى ، وأمدده المعتمد بامدادات
هائلة حملت الجيش الطليطى على رفع الحصار عن قرطبة والارتداد عنها ،
الا أن عبد الملك لم يجن من وراء هذا شيئا ما ، فقد راح زعماء الجيش
الاشبيلي ينفذون فى السر أوامر مولاهم ، فاتصلوا خفية بأهل قرطبة

وانفقوا معهم على نزع السلطة من يدى عبد الملك ووضعها فى يد مالك أشبيلية ، ولم ندبر هذه المؤامرة بليل فى الخفاء تدبيرا بلغ من احكامه انه لم يخامر شئ خاطر عبد الملك من ناحية القوم ، فلما كان صباح اليوم السابع من رحيل المأمون نهيا ابن جهور للخروج ليكون فى وداع الاشبيليين الذين كانوا قد أشاعوا أنهم راحلون عن المدينة فى ذلك اليوم ، فما راع عبد الملك الا صيحات الشعب والتبرؤ من أمره تصك سمعه ، فتدبر الأمر ولوى عنان فرسه الى قصره وقد أهدق به الشعب والجند الذين كانوا يتظاهرون بمساعدته وتأييده ، فقبضوا فى هذه اللحظة عليه وعلى أبيه وجميع أهل بيته .

هكذا أصبحت قرطبة فى قبضة المعتمد ، وسبق بنو جهور أسرى الى جزيرة « سلطيش » ، فلم يلبث أبو الوليد الشيخ غر أربعين يوما فارق بعدها الحياة (١٠) .

ويتكلم الملك الساعر عن هذا النصر كما لو كان هو الذى قام به . وتنضج عباراته بالزهو اذ يقول (١١) :

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت من جاء يحطبها بالبيض والأسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها فأصبحت فى سرى الحل والحلل
عرس الملوك لنا فى قصرها عرس كل الملوك به فى ماتم وجل
فراقبوا عن قريب - لا أبا لكمو - هجوم ليت بدرع البأس مستمل
الا أن المأمون لم ير الهزيمة فيما جرى ، بل نراه على العكس من ذلك يصمم على انتزاع قرطبة وامتلاكها مهما تحمل فى سبيلها من المشاق ، فنراه يخرج بصحبة حليفه ألفونس السادس مخربا أرباض المدينة ، الا أن حاكم المدينة عبادا الشاب وابن رميكية والمعتمد (١٢) دفعوه عنها ، وحينذاك ساهم عكاشة فى الاستيلاء على ما كان يتطلع اليه .

كان عكاشة رجلا سفاكا للدماء ، كما كان من قبل قاطع طريق يعتصم بالجبال ، ولم تكن تنقصه الكفاءة ، كما أن معرفته بقرطبة كانت معرفة الخبير حيث قدر له أن يلعب دورا فيها من قبل حين كان فى يده أحد حصونها ، فاخذ يدبر المكائد ويحيك المؤامرات بقرطبة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه نظرا لتذمر الكنبرين من أهلها من سير الأحداث بها .

حقيقة أن كل ما فى الأمير « عباد » كان يوحى بالأمل المرجو منه ، الا أن صغر سنه لم يكن يسمح له لأن يكون مؤهلا للانفراد بالحكم ، ومن ثم صارت القوة فى يد قائد الحامية « محمد بن مرتين » الذى يظهر انه

نصراني الأصل ، ومع كفاءة هذا الرجل كجندى الا أنه كان فظا قاسيا ، سفاكا للدماء ، وفاجرا متنبذلا ، فكرهه أهل قرطبة ولم يجد الكثيرون منهم أدنى غضاضة في الاتصال بابن عكاشة الذي لم ينجح في إبقاء مؤامراته على الكتمان ، اذ لاحظ أحد الضباط أن هذا اللص القديم يكثر من طرق أبواب المدينة ليلا ويتصل بعسكر الحامية اتصالا مرييا ، فحمل هذا الخبر الى الأمير « عباد » الذي لم يكثرث بالأمر كثيرا ، وبعث بهذا الضابط الى « محمد بن مرتين » الذي أحاله بدوره على جماعة من صغار الضباط .
والخلاصة أن كلا منهم كان يلقي عبء الأمور على كاهل غيره دون أن يقوم أحد ما منهم بما يفرضه الواجب عليه .

ظل ابن عكاشة دائبا على الترصده له دون أن يكف عنه ، فلما جاء شهر يناير سنة ١٠٧٥ م [= ٤٦٨ هـ] استطاع ان يدخل المدينة مع رجاله ، وكانت الليلة عاصفة ، والدجنة طخياء ، ثم زحف مباشرة على قصر « عباد » وقد خلى من الحرس ، وبينما هو على وشك اقتحام الباب اذا بالبواب يسمر بما يجرى فيوقظ الأمير الذي يهب مع حفنة من العبيد والجنود محاولين اعتراض ابن عكاشة والحيلولة بينه وبين ما يريد .
وعلى الرغم من شدة صغر سن الأمير الا أنه دافع دفاع اللبث عن عرينه وأرغم المهاجمين على الجلاء عن الدهليز ، غير أن قدمه زلت فسقط عليه أحد المتآمرين وقتله ، ثم تركوا جثته بالطريق وهي تكاد تكون عارية اذ كانوا قد أيقظوه من نومه على حين غفلة ، ولم يسعفه الوقت لارتداء ثيابه .

سار ابن عكاشة بعد ذلك برجاله الى بيت القائد [محمد بن مرتين] الذي لم يدر بخلده أن سيهاجم الا في اللحظة التي رأى القوم فيها يحملون على داره ، وكان اذ ذاك يتلهى بمشاهدة الجوارى وهن يرقصن بين يديه .

كان محمد بن مرتين دون « عباد » شجاعة ، لذلك ما كاد يسمع قمقمة السيوف في فناء بيته حتى بادى الى الاختفاء ، لكن القوم كشفوا مخبأه وقبضوا عليه وما لبثوا ان قتلوه .

وبينما كان الفجر يرسل أولى أضوائه ، وبينما كان ابن عكاشة ينتقل من دار الى دار ليضم الى جانبه الأشراف ويحملهم على نابيده اذا بأحد المؤذنين يمر أمام قصر « عباد » وكان هذا المؤذن في طريقه الى الجامع فأبصرت عيناه جثة عارية هامدة في الوحل ، فتأملها فعرف فيها الأمير الشاب ، فما كان منه الا أن ترحم عليه وغطاه بعباءته ، ولم يكذ ينادر المكان حتى قدم ابن عكاشة الى هذا الموضع بالذات وحوله خليط من أولئك الأوثاب الذين يهتفون في المدن الكبرى لكل ثورة جديدة .

ولما رأى ابن عكاشة « عبادا » مطروحا أمر بحزن رأسه ، وطاف بها العوم شوارع المدينة وفد رفعوها على رمح ، فلما رأت الحامية هذا المنظر ألقت السلاح وحاولت النجاة ولاذت بأذيال الفرار ، وحينذاك جمع ابن عكاشة أهل قرطبة بالمسجد الجامع وأخذ منهم البيعة للمأمون . وعلى الرغم من نفاق الكثيرين منهم بالأمر [عباد] نعلقا كبيرا وإخلاصهم له إلا أن سدة الفرع وانتساره بين الجميع حملهم على طاعة ابن عكاشة .

ثم قدم المأمون ذاته بعد عدة أيام من هذا الحادث ، وكان مظهره يدل على عظيم تقديره لابن عكاشة فأسرف في تبجيله ، وزعم الناس أن ثقته به لم يكن لها حد ، ولكن الواقع أنه كان يكره في سريره هذا اللص القديم الذي لا يعف عن ارتكاب الجريمة ، والذي ما كان له أن يتورع عن المبادرة إلى قتل المأمون ذاته إن دعت الحاجة إلى هذا القتل ، كما قبل « عبادا » الصغير بلا شفقة ولا رحمة ، لذلك راح يفتش عن حياة يتخذها ذريعة ويترقب فرصة تمكنه من إبعاده من مملكته دون أن ينير ضجة ، ولم يكتم خبر هذه الحطة عن المقربين إليه من جلسائه ، وحدث في ذات يوم من الأيام أن نهض ابن عكاشة لمغادرة المجلس ، فزفر المأمون زفرة طويلة ، ونفضه بعين يتطير منها شرر الغضب ، ودمدم بكلمات تنذر بالشر ، واذ ذاك جرؤ أحد أصدقاء ابن عكاشة على قول كلمة أراد بها الدفاع عنه ، فقال له المأمون : « دع عنك هذه الفعاقع » من اجترأ على الملوك لا يصلح للملوك !! » .

وفي شهر يونيو من سنة ١٠٧٥ م [= ٤٦٨ هـ] مات المأمون مسموما بعد مجيئه إلى قرطبة بسنة أشهر ، فاتهم أحد رجال حاشيته بأنه المدبر لقنائه ، أفهل يستبعد أن يكون ابن عكاشة هو مدبر هذه الجريمة ؟؟



من ذا الذي يستطيع الانطلاق إلى بلاط أشبيلية وبصور الحزن الذي كان يأكل حنايا المعتمد حين نأهى إلى سمعه ذلك النبأ المشئوم : نبؤ ضياع قرطبة ومصرع ابنه البكر الذي كان متعلقا به تعلق الجاهلي بوثنه .

لقد انطوى هذا القلب النبيل على شعور أنبل وأرفع من الرغبة في الثأر ، ذلك هو احساسه بالشكر الصمق تجاه هذا المؤذن الذي دفعته رقة قلبه لوضع عبادته على جثمان ولده عباد ، وأسف المعتمد لمعجزه عن مكافأته لجهله اسمه ، فأنشأ يقول (١٣) :

ولم أدر من ألقى عليه رداه سوى أنه قد سل عن ماجد محض

ظل المعتمد ثلاث سنوات يبذل المحاولات دون جدوى لاسترداد قرطبة والانتقام من ابن عكاشة لمقتل ابنه حتى نحقق له الاستيلاء على قرطبة يوم الثلاثاء الرابع من سبتمبر سنة ١٠٧٨ م [= ٤٧١ هـ] ، وبينما كان يهيم بدخول المدينة من أحد أبوابها كان عكاشة يفادرها من باب آخر ، فبعث المعتمد فى اثره نفرا من فرسانه يقصون اثره حتى قبضوا عليه ، ولما كان هذا اللص القديم يدرك ألا أمل له فى الحصول على عفو الأب المفجوع فى ابنه الصريع فقد اعزم أن يبيع حياته غالية ، فكر على أعدائه كرة السور الهائج فلم تنفعه غضبته ، اذ أسعفتهم كثرة عددهم بأن تكون لهم الغلبة عليه فأمسكوه وجاؤوا به الى المعتمد الذى أمر بصلبه فصلبوه وجعلوا الى جانبه كلبا .

وتلى سقوط قرطبة سقوط جميع نواحي طليطلة فيما بين نهر الوادى الكبير ووادى آنة (١٤) .

كان هذا النصر من الانتصارات الباهرة ، لكن المعتمد كان يحام بالمكانفة ، فلو أننا قارنا المعتمد بجميع ملوك الأندلس لبرهنا جميعا ولكان أقوى أمير فيهم ، الا أنه لم يكن أكثر من أى واحد منهم استقلالاً ، اذ كان هو الآخر متلهمس فى مرتبة التابع يدفع الجزية التى أداها أولا الى غرسبة (١٥) ثم الى الفونس السادس من بعده منذ استيلاء الأخير على مملكتى أخويه : شانجة وغرسبة .

كان ألفونس السادس حاكما شديدا الوطأة ، لم يكتف بالجزية السنوية يفرضها على أعدائه بل راح يهدد من آن لآخر بضم أملاك أتباعه العرب الى مملكته ، وقد حدث فى احدى المرات أن خرج على رأس جيش كنيف العدد لغزو اقليم أشبيلية مما أدى الى انتشار الذعر بين المسلمين الذين كانوا أضعف من أن يستطيعوا دفعه ، ودب اليأس فى قلوب الجميع باستثناء ابن عباد الذى لم يعتمد قيد ذرة على الجيش الاشبيلي ، اذ أدرك استحالة قهر القوات المسيحية بمثل هذا الجيش ، غير أنه كان يعرف « ألفونس » لكثرة نردده على بلاطه (١٦) ، ويدرك فيه طمعه ، وأيقن أنه من اليسير التغلب عليه لمعرفته بذوقه وحيله ، واعتمد على هذا الأمر فبادر الى تنظيم المقاومة الحربية ، وصنع سفرة شطرنج كانت بديعة غاية الابداع ولم يكن عند ملك من الملوك سفرة شطرنج مثلها ، وجعل رموزها من الأنوس [والعود الرطب] والصندل ، وحلاها بالذهب ثم دخل بها على الفونس فى معسكره ، فأعظم الفونس قدومه اذ كان ابن عمار أحد المسلمين القلائل الذين يقدرهم ألفونس .

ثم جاء يوم أظهر فيه ابن عباد تلك الرقعة من الشطرنج لأحد النبلاء

القنستاليين من خواص الفونس ، فنقل النبيل خبرها الى مولاه فاستحضر
المعتمد وسأله : « كيف أنت فى الشطرنج ؟ » •

قال : « يزعم خواصى أننى فيه طبقة » •

قال : « بلغنى أن عندك سفرة غابة فى الاتقان ؟ » •

قال : نعم !!

قال : كيف السبيل الى رؤيتها •

قال ابن عباد : أنا آتبك بها على أن ألعب معك عليها ، فإن غلبتني
فهى لك ، وإن أنا غلبتك فلى حكى •

فقال الفونس : « هلمها لننظر » •

فحملها ابن عباد الى الفونس الذى ما أن رآها حتى أعجبته دقة الصنعة
وبراعة الاتقان ورسم الصليب على صدره ثم قال : « ما ظننت أن اتقان
الشطرنج يبلغ الى هذا الحد » •

وامتلأت نفس الفونس اعجابا بالرقعة فقال للمعتمد : « كف
قلت ؟ » •

فأعاد عليه ابن عباد قوله الأول ، فقال الفونس : « لا ألعب على حكم
مجهول لا أدرى ما هو ، ولعله شئ لا يمكننى » •

فقال ابن عباد فى هدوء : « وأنا لا ألعب الا على هذا الوجه » •

ثم أمر أحد خدمه برفع السفرة فطواها وحملها الى مصسكروه •

وانفض المجلس •

لكن ابن عباد لم يكن بالرجل الذى يسمح لليأس أن يجد سبيلا الى
نفسه ، بل بادر فاتصل سرا بجماعة من النبلاء القشتاليين • وبين لهم
ما سيطليه من الفونس ان تمت له الغلبة عليه ، ووعدهم بمال جزيل ان
هم آزره فى هذا الموضوع ، فاستهواهم الذهب ووثقوا بهود الأمير العربى
وناصروه كما اشتهى اذ كان الفونس يتحرق شوقا للحصول على هذه
السفرة من الشطرنج ، ومن ثم سأل أمراءه الرأى فيما يفعل ، فقالوا :
« ان أنت غلبته كانت عندك سفرة ليس عند ملك من الملوك مثلها • وإن
غلبك فما عسى أن يحتكم ؟ ••• وإن هو طلب مالا يمكن فتحن لك برده
عن ذلك » •

وظلوا يحادثونه ويلقون اليه بمنل هذه الأقوال المغرية حتى استطاعوا
التغلب على تردده وأجابهم الى ما أرادوا •

وارسل ألفونس الى ابن عباد الذى كان ينتظر بسفرتة ، فلما دخل عليه قال له : « فده قبلت ما رسمته ! » •

فرد عليه قائلا : « اجعل بينى وبينك سهودا كهلان وفلان » ، ثم سمى له كثيرا من النبلاء القنستاليين ، فقبل الملك طلبه ، وحضر أولئك الكبراء ، وبدأ اللعب ، فغابه ابن عباد غلبة ظاهرة ، فقال له : « هل صبح أن لى حكمى ؟ » فأجابه الملك : « نعم ، فما هو حكمك » قال : « ان ترجع من هاهنا الى بلادك » •

فأربد وجه ألفونس وامتنع ، وأقامه الهم وأقعدمه ، وأخذ يذرع الفسطاط فى خطوات واسعة ، ثم قال لخواصه : « قد كنت أخاف من هذا حتى هونتموه على » •

وصمت ساعة من الزمان ثم قال : « سأنكت ، وأنمادى لوجهى » • فقال له القنستاليون : « قبيح بك أن نفعل هذا ، وكيف يجمل بك الغدر وأنت ملك ملوك النصارى فى وقتك ؟ » •

ولما هدأت أخرا فورة ألفونس بعض الهدوء قال لابن عباد : « سأنفى لك بعهدى ولا أرجع حتى آخذ أناوة عامين خلاف هذه السنة » •

فقال ابن عباد : « هذا كله لك » •

ثم جاءه ابن عباد بالمال الذى طلبه •

وهكذا سلمت أشبيلية هذه المرة من الغزو الذى كان يهدد وجودها . واطمان خاطرهما بفضل لباقة وزبرها (١٧) •

الفصل الحادي عشر

مطامع ابن عمار ونهايته

تطاع ابن عمار الى مرسية • ولاية أبى عبد الرحمن بن طاهر العربي القيسى • ابن عمار يوثق علاقانه مع الناقمين على ابن طاهر من كبار رجال مرسية • اتفاق ابن عمار وكونت برشلونة على مهاجمة مرسية • غضب المعتمد على ابن عمار ثم صفحه عنه • اطلاق سراح ابن أخى ريموند والرشييد • ابن عمار وقشير يزحفان على مرسية • الاستيلاء على مولة • دخول ابن عمار مرسية منتصرا واهماله أمر مولاة المعتمد ثم اعتذاره اليه • ابن زيدون الشاعر أكبر الواشين بابن عمار عند المعتمد • ابن عمار يزج بابن طاهر فى السجن ويفرض اطلاق سراحه • هرب ابن طاهر الى بلنسية ومحاولة ابن عمار اثارة أهلها ضده • ابن عمار يهجو صاحبه ابن عباد ويعرض بالرميكة • تأليب الجند على ابن عمار وهروبه الى الفونس ليساعده فى استرداد بلنسية • السباق بين ابن عمار وابن رشيق فى التقرب من الفونس • تقلب ابن عمار بين الولايات والحكام ووضع نفسه فى خدمة المؤتمن • أسر بنى سهيل لابن عمار وبيعهم اياه للمعتمد • ابن زيدون يهينه ويؤجج الحقد فى نفس ابن عباد على ابن عمار • المعتمد يقتل ابن عمار •

مظالم ابن عمار ونهايته

لم يكتف ابن عمار بانقاذ مملكة أشبيلية بل تطلع أيضا الى بسط حدودها لا سيما على حساب ولاية « مرسية » التي كانت في بادىء الامر جزءا من أملاك زهير ، ثم صارت تابعة للمملكة « بلنسية » ، غير أنها استقلت بتدبير أمورها ابان الحقبة التى نتكلم عنها ، حبس كان يحكمها « أبو عبد الرحمن بن طاهر » الأمير العربى الأصل ، الفيس القبيلة .

كان ابن طاهر وافر التراء اذ كان يمتلك نصف الولاية . كما كان فى الوقت ذاته على حظ عظيم من الثقافة (١) . لكن لبس نحت يده من العسكر غير شذمة ضئيلين ، فكان من السهل غزو ولايته وهو امر لم يفت انتباه « ابن عمار » الذى قام فى (٢) سنة ١٠٧٨ م [٤٧١ هـ] فاخترق مرسية ميمما وجهه شطر كونت « برشلونة » واسمه « ريموند بيرانجر » الثانى ويلقب بصاحب القلنسوة الكتانية Cap d'Etoupe نظرا لكثافة شعره ، ولا ندرى الدافع لابن عمار على القيام بتلك الحركة ، ولكنه اغتنم هذه الفرصة فوثق وشائج المودة بينه وبين فريق من أشرف « مرسية » الناقمين على ابن طاهر ، أو بلفظ أدق بالمستعدين لخيانته اذا تقدم أحد اليهم بالمال يرشوهم به .

ولما وصل ابن عمار الى « ريموند » عرض عليه عشرة آلاف دينار اذا قبل معاونته على غزو مرسية ، فقبل الكونت عرضه ، وأكد قبوله ودفع ابن أخيه الى ابن عمار تأكيدا للاتفاق فوعده الوزير من جانبه بتسليمه الرشيد بن المعتمد قائد الجيش الاشبيلي ان لم يصل المال فى الوقت المتفق عليه ، الا أن المعتمد كان يجهل هذا الشرط ، ولم يكن يدور بخلد ابن عمار أن الحاجة ستدعو لتطبيقه يقبنا منه بأن المال لابد واصل فى حينه .

وخرجت قوات أشبيلية للغزو وانضمت اليها قوات ريموند ، وهاجم الفريقان ولاية مرسية ، غير أن ما طبع عليه المعتمد من التوانى والابطاء أدى الى التفصير فى الوفاء بالشرط المتفق عليه ، مما خيل معه للكونت أن ابن عمار قد غرر به ، فقام فى سورة غضبه وألقى القبض على « الرشيد » الذى لم يفلح الجنود الاشبيليون فى انقاذه ، فقد دارت عليهم الدائرة ولحققت بهم الهزيمة واضطروا الى الارتداد .

كان المعتمد اذ ذاك فى طريقه الى مرسية . وكان الى جانبه ابن أخى الكونت واتسم زحفه بالبطء ، فلما بلغ ضعاف نهر الوادى اليناع الذى

عجز عن عبوره نظرا لتلاطم أمواجه رأى على الجانب الآخر من النهر فريفا
من جنده الفارين من المعركة ، ومن بينهم فارسان يحملان اليه تعاليم
ابن عمار ، وسرعان ما دفع هؤلاء الجند دوابهم فخاضت بهم النهر وجاوزوه
الى حيث يوجد المعتمد فذكروا له الأحداث المؤلمة التي جرت ، وأضافوا الى
ذلك قولهم ان ابن عمار يأمل ألا يطول الوقت عليه لاسترداد الحرية .
وسألوا الأمير - على لسانه - أن يبقى حيث هو ، فلم يلق سمعا الى طلبهم
بل استند به الذعر من جراء الأخبار التي تناهت الى سمعه ، ولم يطمئن
بأله على مصير ولده ، فنفهر حتى بلغ « جيان » بعد أن قيد ابن أخى
الكونت .

بعد عشرة أيام من ذلك الحادث وصل ابن عمار وفد أطلق سراحه
الى مقربة من « جيان » الا أنه لم يجرؤ على المنول أمام المعتمد خوفا من
غضبه علنه ، واكتفى بأن بعث اليه بالآبيات التالية :

أأسلك قصدا أم أعوج عن الركب؟	فقد صرت من أمرى على مركب صعب
وأصبحت لأدري أفى البعد راحتي	فأجعله حظي ؟ أم الحظ في القرب؟
إذا انقلدت في أمرى مشيت مع الهوى	وان أتعبه نكصت على عقبي
على أننى أدري بأنك مؤثر	على كل حال ما يزحزح من كربى
أهابك للحن الذى لك فى دمي	وأرجوك للحب الذى لك فى قلبي
أيظلم فى وجهي لذا فمر الدجى	وتنبو بكفى صفحة الصارم العضب؟
حنانيك فمن أنت شاهد نصحه	وليس له غير انتصاحك من «حسب»
وما جئت شيئا فيه بغى لطالب	يضاف به رأى الى العجز والعجب
سوى أننى أسلمتني للممة	قللت بها حلمى وكسرت من غربى
وما أغرب الأيام فيما قضت به	ترينى بعدى عنك آنس من قربى
أما انه لولا عوارفك التى	جرت جريان الماء فى الغصن الرطب
لما سمعت نفسى ما أسوم من الأذى	ولا قلت ان الذى فيما جرى ذنبى
سأستسمح الرحمن لديك ضراعة	وأسال سقيا من تجاوزك العذب
فان نفحتنى من سمائك مرجف	سأهتف : يا برد النسيم على قلبي

أما المعتمد الذى لابد أن قد أحس أنه هو الذى أخطأ بتراخيه فلم
يعارض دعوة ابن عمار فى تذكيره بصداقته ، ورد عليه قائلا :

لدى لك العتبى تراح من العتب	وسمبك عندي لا يضاف الى ذنبى
وأعز عليا أن تصيبك وحشة	وأنسك ما تدرىه فيك من الحب
فدع عنك سوء الظن بى وتعهده	الى غيره فهو الممكن فى القاب
قريضك قد أبدى توحش جانب	فراجعت تأنيسا، وعلمك بى حسبى
تكلفتى ، أبغى به لك سلوة	وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

ولما أفرخ روع ابن عمار بهذا الرد خف الى مولاه وانطرح على قدميه ، وانفقا على اطلاق سراح ابن أخى الكونت واعطاء ريموند العشرة آلاف مثقال المتفق عليها ، على أن يطلق هو الآخر « الرشيد » من عنده ، غير أن ريموند لم يقنع بالمال المتفق عليه فيما بينهما بل طالب بناتين ألف دينار ، ولما لم يكن لدى المعتمد حينذاك هذا القدر من المال فقد زيف سبيكة عظيمة وسكها عملة ، وشاء حسن حظه ألا يقطن الكونت لهذه الخديعة الا بعد اطلاقه سراح الرشيد (٣) .



لم يكف ابن عمار عن طمعه فى الاستيلاء على « مرسية » رغم هذا النجاح الضعيف الذى انتهت اليه محاولته الاولى ، فقد ادعى أنه تلقى كتباً نبعت فيه الآمال الجسام ، وأن هذه الكتب قد أنفذها اليه فريق كبير من أشرف « مرسية » ، وأدخل ذلك فى روع المعتمد الذى أذن له أخيراً بالخروج بالجيش الاشبيلي لمحاصرة « مرسية » .

ولما بلغ ابن عمار قرطبة مكث بها أربعاً وعشرين ساعة ضم خلالها الى جنده من كان بهذه المدينة من العسكر ، وقضى الليلة بصحبة حاكمها ابن المعتمد واسمه « الفتح » الذى أعجب ببراعة أحاديثه وحدة ذكائه ، اذ جاء أحد الصبيان الى ابن عمار ينهى اليه أن الفجر كاد أن يتنفس ، فزجره الوزير وارتجل هذا البيت :

اليك عنى فليلي كله صبح وكيف لا وسميرى الحاجب الفتح

تابع ابن عمار زحفه حتى قارب حصناً كان لا يزال يسمى حتى ذلك الوقت بـ« حصن » بلج » زعيم عرب الشام فى القرن الثامن ، وكان الحصن فى يد رجل من قبيلة « بلج » ينعت بقشير (٤) فخف هذا العربي المدعو بابن رشيق لمقابلته ، وعرض عليه النزول بـ« حصنه » حتى يستجم ، فلبى ابن عمار دعوته وتلطف صاحب الحصن به حتى وثق به ابن عمار ، ولم يخطئ فى ثقته بهذا الصديق الجديد الذى صحبه ، وزحفا على مرسية وحاصراها ، ولم تلبث « مولة » ان استسلمت لابن عمار وكان فى هذا الاستسلام ايدان بشر مستطير لأهل « مرسية » اذ كانت مؤنثتهم تصلهم من هذه الناحية ، ولم يخامر ابن عمار الشك فى أن المدينة ذاتها لن تلبث هى الأخرى. أن تدعن له ، وعهد الى ابن رشيق بحراسة « مولة » وان لم يترك بها من فرسانه الا نفراً قليلاً ، ثم انكفأ هو الى « أشبيلية » ببقية عسكره ، فلما بلغها وصلته رسائل قائده ينهى فيها اليه أن المجاعة أهلكت « مرسية » ، وأن جماعة من وجوه أهلها الموعودين بأرفع المناصب قد ملوا يد المعونة للمحاصرين بها ، واذا ذاك قال ابن عمار : « كأنكم بفتح مرسية من غد الى بعد غد ٩ » ، وتحققت نبوءته فقد فتح جماعة من

الخونة أبواب المدينة لابن رشيق ، وزج بابن طاهر في الحبس ، وقام جميع السكان فباعوا المعتمد (٥) .

لم يكد ابن عمار يتلقى هذا الأنباء حتى تملكته الفرحة وازدهاه الفرح ، وطلب من المعتمد أن يأذن له بالإقامة في البلد المفتوح فأجابه المعتمد لما أراد ، وحينذاك رأى الوزير أن يحسن مكافأة أهل « مرسية » المكافأة الطيبة ، فأهداهم كثيرا من الخيول والبغال التي ساقها من قصر مولاه ، وحمل غيرها إلى أصحابه ، وحملها بالثياب الغالية ، ثم أخذ في الرحيل بين دق الطبول وخفق البنود ، وكان كلما مر ببلد ترك به بعض المال ، ثم دخل « مرسية » دخول الظافر ، فلما كان اليوم التالى جمع أهلها وخرج اليهم بمظهر الملك عاصبا رأسه بقلنسوة طويلة لم يكن من عادة المعتمد لبسها الا فى الأعياد الكبرى ، ولما شرع الناس يرفعون إليه حاجاتهم راح يمهرها بعبارة « ينفذ هذا ان شاء الله » مسقطا اسم المعتمد .

لم يكن هذا المسلك من ابن عمار الدال على اعجابه بنفسه الا دليلا على تمرده ، أو لعل هذا ما رآه المعتمد الذى لم يسلم نفسه للغضب ولكن استولى عليه الأسى والقنوط ، ورأى بعينه حلم خمسة وعشرين عاما يتبدد فى لحظة ، وأدرك أنه كان مخدوعا فيما أوحاه إليه قلبه ، وأيقن أن مودة ابن عمار له وتظاهره بالنزاهة وشدة الاخلاص لم تكن الا افكا وتضليلا ، ولربما كان ابن عمار فى الحقيقة على الصورة التى ظنه عليها مولاه ، الا أنه لم يكن يفكر أبدا ولم يكن يدور بخلده أن يتمرد على ولى نعمته ، ولما كان ابن عمار مفسطا قليل الانفعال فانه لم يشعر نحو المعتمد بالصدقة العنيفة الفائرة التى كان المعتمد يظهرها له ، ومع ذلك فقد كان ابن عمار يضمر الحب الصادق لمولاه ، تشهد بذلك الأبيات التى وجهها إليه ردا على لومه إياه :

ولا أنا ممن غيرته الحوادث
لينأتى بحظى منك ثان وثالث
ولا نفحت تلك السجايا الدماث
حلاوته عنى الرجال الأخابث
لدى ، ولا أنى لعهدك ناكث
كما ساعدت صوته المنانى المالث
تجافت لنا عنها الخطوب الكوارث
ولا تليت عنى مساع خباثث
نهايا ، وللايام أيد عواثث
إذا مت عنها قام بعدى وارث

لك المشل الأعلى وما أنا حارث
ولا ششاركته الشمس فيثا وانه
فديتك : ما للبشر لم يسر برقه
أظن الذى بينى وبينك أذهبت
تنكرت ؟ لا انى لفضلك ذاكر
ولكن ظنون ساعدتها حمائم
أبعد انقضا خمس وعشرين حجة
مضت ، لم ترب منى أمور شوائب
حللت يدا ، بى هكذا وتركتنى
وهل أنا الا عبد طاعتك التى

أعد نظرا ، لا توهن الراى انه قديما كبا هاف وأدرك رائت
ستذكرنى ان بان حبلى، وأصبحت نبيد بكفيك الجبال الرثائل
وتطلبنى ان غاب للرأى حاضر وقد غاب منى للخواطر باعت
ومن يدرى لعل لحظة من اللقاء تجمع بينهما كانت كافية لنبيد
سوء ظن المعتمد بوزيره وتعيد هذين الصديقين الى سابق عهدهما الذى
كانا عليه !! *

لكن وأسفاه !!

لقد كان كل من الأمير والوزير بعيدا عن الآخر كل البعد ، وكان
لابن عمار فى أشبيلية رهط من الحساد والأعداء الذين لم يكفوا عن افتراء
الأكاذيب عليه ، ويصورونه فى صورة تقذى لها عين الأمير ، وقد تمكن
هؤلاء « الوشاة » كما سماهم ابن عمار فى إحدى قصائده تمكنا عجيبا من
الأمير فسيطروا عليه كل السيطرة ، ومن هؤلاء « الوشاة » (٦) الوزير
أبو بكر بن زيدون (٧) ، أوسع رجال ذلك العصر نفوذا فى القصر ، فقد
استطاع أن يشكك المعتمد فى صدق محبة ابن عمار له منذ أن طلب
الوزير الاذن له بالشخص الى « مرسية » . أضف الى ذلك أن ابن عمار
وجد عدوا لا يقل عن سابقه خطورة فى شخص ابن عبد العزيز أمير
« بلنسية » وحليف ابن طاهر وصديقه *

حين بلغ ابن عمار « مرسية » عنى باظهار أحسن المعاملة تجاه
ابن طاهر فلم يقصر فى البحث اليه بكثير من الثياب الغالية ليختار منها
ما يعجبه ، غير أن ابن طاهر كان مطبوعا على السخرية المريرة ، وزاد من
حدة غضبه ضياع ولايته من يده ، فرد رسول ابن عمار قائلا له (٨) :
« قل لمولوك الأمير اننى ما أريد سوى هذه الجبة والعمامة » .
فلما وقف ابن عمار على رده قال : « والله لقد عنانى يوم كنت
فقيرا وجئت أنشدته شعري » *

لم ينفر عرق لابن طاهر من هذه الصفعة القاسية التى جرحت
كبرياه ، وقد زج به فى حصن « منت أقوط » (٩) .
استجاب المعتمد لتوسلات ابن عبد العزيز فبعث الى وزيره يأمره
باطلاق سراح ابن طاهر ، فتغافل ابن عمار عن أمره (١٠) ، لكن ابن طاهر
تمكن من التخلص من حبسه بفضل المعونة التى قدمها اليه ابن عبد العزيز
ومضى فأقام ببلنسية فاستشاط ابن عمار غضبا ، واذا ذاك نظم
ومضى فأقام ببلنسية فاستشاط ابن عمار غضبا ، واذا ذاك نظم قصيدة
يحث فيها أهل بلنسية على التمرد والثورة على أميرهم ، وكان مما جاء
فيها قوله (١١) :

يا أهلها من غائب أو حاضر
جاروا بنى عبد العزيز ، فانهم
ثوروا بهم متأولين وقلدوا
هذا محمد أو فهذا أحمد
جاء الوزير بها يكشف ذيلها
نكت اليمين وجار عن سنن التقى
بر اليمين ولم يعرض نفسه
هيهات تطمع فى النجاة لطالب
كيف التفلت بالخديعة من يدى

وقطينها من راسخ أو طارى
جروا اليكم أسوأ الأقدار
ملكا يقوم على العدو بنسار
وكلاهما أهل لتلك الدار
عن سواة سوأى ، وعار عارى
وقضى على الاقبال بالادبار
ونفوسكم لمصارع الفجار
ساع - اذا دنت الكواكب - سارى
رجل الحقيقة من بنى عمار ؟

فلما تناهى خبر هذه القصيدة الى سمع المعتمد رعب أنفه غضبا
وتسعر حنقا على ابن عمار ، ونظم أبياتا سخر فيها منه ، فقال :

كيف التفلت بالخديعة من يدى
الأكرين مسودا ومملكا
والمؤثرين على العيال بزادهم
الناهضين من المهود الى الصلا

رجل الحقيقة من بنى عمار
ومتوجا فى سالف الأعصار
والضاربين لهامة الجبار
والمنهضين الغار بعد الغار

ما أن سمع عبد العزيز هذه الأبيات حنى أفرحته وان أغضبت
ابن عمار الذى نظم قصيدة أولغ بها فى هجاء المعتمد والنيل من الرميكية
ومن بنى عباد أجمعين ، وقد تجرأ ذلك المغامر المولود فى المهانة والذى
رفعته مودة المعتمد الى مكانة سامية فتطاول على بنى عباد وقذفهم بأنهم
لم يكونوا سوى مزارعين مغمورين فى نواحي « يومين » أو « أم القرى » ،
كما قال فى إحدى قصائده ساخرا ، وتابع كلامه قائلا :

تخيرتها من بنات الهجين « رميكية » ما تساوى عقلا
فجاءت بكل قصير الصذار لثيم النجارين : عما وخالا
قصار القدور ، ولكنهم أقاموا عليهم قرونا طوالا

غير أن - بقية من خجل منعت ابن عمار من الجهر بتلك الأبيات
التي نظمها فى لحظة لم يستطيع التحكم فيها فى زمام غضبه ، فلم يعلم
بها سوى أقرب خواصه اليه ومن بينهم رجل يهودى واقد من الشرق وثق
به ابن عمار ثقة صار معها عنده غير ظنين أو متهم فى ولائه له ، ولم يدر
بخلد ابن عمار أنه عين من عيون ابن عبد العزيز . وتيسر الأمر لهذا
اليهودى فحصل على نسخة من هذا الهجاء بخط ابن عمار نفسه فانفذها
الى أمير « بلنسية » الذى بادر بكتابتها الى المعتمد ، وطيرها بإحدى الحمام
الزاجل ، مدرجة طى كتاب منه اليه .

واستحال الوفاق بين الأمير والوزير ، ولم يستسن للمعتمد
ولا للميكية ولا لأبنائهما أن يغفروا لابن عمار هجوه المقذع ولا نيله البدئ .
منهم الا أن ملك أشبيلية لم تكن حاجته مثل حاجة وزيره ، فقد تكفل غيره .
بهذه المهمة .

انصرف ابن عمار انصرافا تاما الى صبواته ، ولم يدر يخلده أن
ابن رشيق سوف يغدر به بمعونة أمير بلنسية ، ولم يدرك حقيقة الأمر
الا وقد تم الأمر ، فقد حرك ابن رشيق الجند على ابن عمار فالحوا في
مطالبهم اياه بما تأخر من رواتبهم ، فلما عجز ابن عمار عن مرضاتهم
هددوه بتسليمه الى المعتمد فارتعدت أوصاله جزعا ، ورأى السلامة في
الفرار السريع .

والتمس ابن عمار النجاة عند الأذقونش ، مؤملا أن يعاونه في
استرداد «بلنسية» لكن خاب فآله اذ تمكن ابن رشيق بهداياه السنية من
استمالة الأذقونش اليه ، فقال لابن عمار : « انما مثلك مثل السارق (١٢) »
سرق السرقة فضييعها حتى سرقته منه ، فسرقها غيره (١٣) فضييعها ،
فسرقها غيرهما « (١٤) » .

فانبت حينئذ كل أمل لابن عمار من ناحية مملكة ليون ، ومن ثم
شخص الى سرقسطة حيث خدم المقتدر ، غير أن بلاطه كان دون بلاط
أشبيلية روعة وفخامة ، فلم يطلب له المقام به فغادره الى « لاردة » التي كانت
تحت حكم « المظفر » أحد أخوة المقتدر الذي رحب به أجمل ترحيم ، الا أن
ابن عمار رأى أن « لاردة » أقل أنسا من «سرقسطة» فعاد إليها حيث كان
« المؤتمن » قد خلف أباه المقتدر (١٥) .

استولى الضجر على نفس ابن عمار ، والضجر خطر مخيف ، وامتد
كالسحابة السوداء على يومه وغده ، وعلى حاضره ومستقبله ، ومن ثم
اعتبر نفسه سعيدا ان هو أتاحت له الفرصة للخروج من سكونه حيث
ثار أحد أصحاب الحصون ، وكانت لابن عمار معرفة سابقة بهذا الثائر ،
فتعهد للمؤتمن باخضاعه له وزحف عليه في نفر قليل ، حتى اذا بلغ
سفح الجبل الذي يقوم على قمته الحصن طلب ابن عمار من الثائر أن
بأذن له في زيارته غير مستصحب معه سوى رجلين فقط ، فلم يسيء
صاحب الحصن الظن بابن عمار وبادر قلبى طلبه ، واذا ذاك قال ابن عمار
لخادميه : جابر وهادي : « صبا سيفيكما عليه اذا رأيتماني أماشيء ويدي
في يده » .

وقضى صاحب الحصن نجه مقتولا فالقى جنده بأيديهم الى ابن عمار
مستشفعين به فأمנם ، وحفظ المؤتمن لابن عمار يده هذه عليه ، ثم لم يلبث

أن أخذ يترقب فرصة جديدة ينفس فيها عن نشاطه الجم ، فأراد أن يحصل
للمؤمن على « شقورة » التي كانت تقوم على قمة جبل صعب المرتقى
صان لها استقلالها ، تم استولى عليها « سراج الدولة » بن علي أمير
« دانية » وبقيت « شقورة » خاضعة له مدة من الزمن ، فلما مات « سراج
الدولة » طمع الفائمون بالوصاية على - أولاده - وهم بنو سهيل - في
بيع « شقورة » الى أحد الأمراء المجاورين لها ، غير أن ابن عمار كان قد
وعده المؤمن أن يستخلصها له كما استخلص له من قبل الحصن الذي
أشرنا اليه . ومن ثم سار على رأس جماعة من الجند وطلب من بنى سهيل
أن يأذنوا له بلقائهم ، فاستجابوا له ، ولكن بدلا من أن يوقعهم ابن عمار
في شرك حباله وقع هو فيما نصبوه هم له ، اذ كادوا له نارا لاساءة
سبقت منه اليهم أيام ولايته « مرسية » .

كانت أطراف هذا الحصن شديدة المنعة بفضل وجود هوة شديدة
الانحدار ، فاذا أراد أحد دخول الحصن كان لابد له من الاستعانة في
الضعود اليه بساعديه ، فلما بلغ ابن عمار هذه الناحية بصحبة خادميه
جابر وهادي أحس بمن يجذبه الى فوق ، ولم تكده قدماء تسمان الأرض
حتى أهدق به جند الحامية ونهبوا رفيقيه . أن يهربا بأنفسهما ان كانا
يطمئنان في الحياة ويكرهان الموت بحد السيف ، فانطلقا على وجهيهما
حاملين لجند سرقسطة نبأ وقوع ابن عمار في الاسر ، فحاول الجند انقاذه
فلم يفلحوا فيما حاولوا ولم يحققوا ما ارتجوه ، فعادوا من حيث أتوا .

زوج بنو سهيل بابن عمار في السجن ، ثم عزموا على بيعه لمن يغلى
لهم الثمن ، فقدر للمعتمد أن يشتريه وأن يشتري أيضا حصن « قشورة » ،
وكلف ابنه الراضي بأخذ الأسير الى مدينة قرطبة التي دخلها ذلك الأمير
المنكود وهو يرسف في أغلاله ، وقد أركبوه بغلا ووضعوه بين عدلى تبس ،
وانهال المعتمد عليه تقريرا ، وأطلعه على الهجاء المقذع سائلا اياه عما اذا
كان يعرف صاحبه .

أما الأمير الذي كان غير قادر على الوقوف لثقل الأغلال التي يرسف
فيها فقد أنصت صامتا لا يستطيع النطق ببنت شفة ، وعيناه الى الأرض ،
حتى اذا فرغ الأمير من تقريره اياه قال له ابن عمار : « ما أنكر شيئا
مما يذكر مولانا أبقاه الله ، ولو أنكرت لشهدت به على الجمادات فضلا
عمن ينطق ، ولكنني عثرت فأقل عثرتي ، وزللت فاصفح » ، فرد عليه المعتمد
قائلا : « هيهات ، هيهات ، انها عثرة لا تقال » .



أما نساء القصر اللاتي عرض بهن ابن عمار في هجائه فقد انتقم من
بأن أسرفن في السخرية اللاذعة به ، كما سلقته عامة أشبيلية بشتائمها

وطال بقاؤه فى الأسر بالمدينة مما أحيى فى نفسه ميت الامل ، وكان ابن عمار يعرف كثيرين من ذوى المكانة الرفيعة ومن بينهم « الرشيد » فتحدثوا فى شأنه الى المعتمد ، وكتب اليه بعضهم فى استصلاح أمره ، أضاف الى هذا أن ابن عمار لم يكف عن استعطافهم بما يبعثه اليهم من شعره ، بيد أن المعتمد ضجر من كثرة توسلات القوم اليه من أجله ، ومن ثم أمر أن تمنع عنه كل ادوات الكتابة ، حتى كان يوم التمس فيه ابن عمار أن يسمح له بالورق والقلم والدواة فجأؤوه بما طلب فأنفذ الى المعتمد قصبدة طويلة حملها بعضهم ذات مساء اليه وهو على شرايه ، فلما انفض السامر شرع يتلوها فحركت عاطفته ، فاستقدم اليه فى حجرته ابن عمار وعاد يؤنبه من جديد لجحوده منته عليه وكفرانه بجيميله اليه ، فغص ابن عمار بالدموع وشرق بالقول ، وعجز عن الرد ، حتى اذا هدأت نفسه انطلق لسانه بأعذب بيان يشيد بذكر السعادة التى رضعها أفوايقها معا من قبل ، فسكنت نائرة المعتمد قليلا ، وكاد أن يغلب على عزمه وخاطبه خطابا سكن من روعه ولكنه لم يجزم له بالعفو عنه .



لعل أشد ضروب نكد الطالع هو أن نفجع فى الآمال التى نرجوها ، ومما يؤسف له ان ابن عمار تنكب الصواب فى تقدير مشاعر المعتمد نحوه ، فقد تأتى له أن يشاهده ساخطا عليه أشد السخط ، ثم أبصر سكونه فقد مرأى لم يجز بحسبان مولاه .

كانت نفس المعتمد لا تزال تنطوى على شئ من العطف على ابن عمار ، لكن هذا العطف كان أبعد من أن يصل الى العفو عنه ، وقد أخطأ ابن عمار التقدير فما كاد يعود الى مطبقه حتى اعتقد أنه عائد عن قريب الى سالف منزلته ، فلم يستطع كتمان فرحته التى هزت فؤاده هذا ، فكتب الى الرشيد كتابا يفضى فيه اليه بالخاتمة السعيدة التى تمخض عنها لقاءه بالمعتمد .

وتلقى الرشيد الكتاب وهو فى جماعة من الناس ، وبينما هو يطالعه اذا بوزير عيسى يلقي نظرة خاطفة سريعة على الكتاب ولكنها كانت كافية لايقافه على مضمونه ، فأذاع عيسى الخبر ، وقد يكون فعل ذلك بسبب ثرثرته أو كراهيته لابن عمار ، وتناهى النبأ الى سمع أبى بكر ابن زيدون على صورة فيها أشد المبالغة ، وزاد القوم فى رسالة ابن عمار زبادات قبيحة حتى ليقول أحد المؤرخين انه « ينزه كتابه عن ذكرها ، ويمسك عن إيرادها » .

وبات ابن زيدون على جمر الغضا ، اذ عرف أن فى رجوع ابن عمار الى سالف مكانته اقضاء له هو نفسه عما هو فيه بل وبما أدى ذلك الى القبض عليه وقتله .

وجاء الصباح ، فلم يدر ابن زيدون ما يصنع .

وبقى ملازما داره لم يغادره حتى حانت الساعة التي جرت العادة أن يكون فيها بالقصر فغاب عنها ، فالتمسه المعتمد فلم يجده ففتش عنه فلم يقف له على أثر ، فبعث في طلبه حتى جاءوه به فأدنا المعتمد مجلسه منه كدأبه في كل يوم ، فأفرخ روع ابن زيدون ، وتأكد أن موضعه عنده غير مضموز ولا مهدد كما كان يظن ، فلما سأله الأمير عما حجب به عنه هذا الوقت الطويل أجاب بأنه اعتقد أن مكانته عنده قد تراجعت ، ثم أفضى إليه في الوقت ذاته عما يتحدث به الناس في مجالسهم بكل مكان عن خبر لقائه بوزيره السابق « ابن عمار » ، وأنهم يرجفون بعودته الى سابق سطوته ، وكان « ابن سلام » - صديق ابن عمار وابن بلده وعامل شرطة المدينة - قد قام فيها في داره جناحا كأحسن ما يكون الجناح لنزول ابن عمار ، ثم خرج ابن زيدون ، دون أن تكون ثمت حاجة لمزيد من القول وذكر الأراجيف التي يرجف بها الناس .

فلما سمع المعتمد ما سمع طفق كيل الغضب في نفسه ، ولم تكن الكراهية والحقد على أسيره مبعث هذا الغضب بقدر ما كان من غضبه من زهو ابن عمار وإن يكن زهوا باطلا ، إذ سمع بضع الفاظ رقيقة فقد منعه منها إطلاق حريته وعودته الى سالف مكانته وبأسه . لذلك أحضر المعتمد أحد الخصيان الصقالبة وقال له : « اذهب الى ابن عمار وقل له كيف وجد السبيل - مع الترتيب - الى اقشاء ما أخذت معه البارحة » .

وسرعان ما عاد الخصي اليه وهو يقول : « ان ابن عمار يقول انه لم يفعل ولم يقل شيئا ما » ، فقال المعتمد : « ولكنه يستطيع الكتابة ألا قل له : « الورقتان اللتان استدعيتهما ، كتبت في أحديهما القصيدة ، فما فعلت بالأخرى ؟ » .

فمضى الخصي اليه وعاد يقول : « يدعى ابن عمار أنه بيض فيها القصيدة » .

فقال المعتمد : « قل له : هلم المسودة » .

وحينذاك لم يستطع ابن عمار انكار الحقيقة فقال : « كتبت فيها الى الرشيد أفضى اليه بما مناني به الأمير » .

فلما سمع المعتمد قوله هذا ثار في عروقه دم أبيه الطاغية الذي كان كالنسر اذا ما وقع على فريسته مزقها اربا وأطفا ثورته بتمزيق أحشائها .

ثم استبد الحنق بالمعتمد الذى تناول أول سلاح صادفه وهو طبرزين.
رائع كان ألفونس قد أهدها اليه ، وأخذ يثب الدرج المؤدى الى الحجرة
التي أغلقت على ابن عمار الذى ما كاد يرى نظرات المعتمد الغاضبة حتى
صعق ، فقد رأى الموت واضحا فى قسما ت وجهه ، فزحف فى قيوده وانكب
باكيا مقبلا قدمى المعتمد الذى لم يشفق عليه بل علاه بالطبرزين ولم يزل
يضر به فى مواضع مختلفة من جسده حتى أسلم الروح وسكنت جثته
وبردت أطرافه (١٦) .

على هذه الصورة كانت خاتمة حياة ابن عمار وهى خاتمة دامية ،
وقد أثار ت فى أسبانيا العربية عاطفة قوية وان لم تدم طويلا ، اذ جدت
بطليلة أحداث جد خطيرة ، واتجهت الافكار اتجاها آخر من جراء تقدم
الجنود القشتاليين .

الفصل الثاني عشر

اذلال الفونس لملوك الطوائف

أطماع الفونس السادس في الأندلس واستنزافه أموال المسلمين ..
القادر يلجأ الى الفونس ليحميه من غضبة شعبه . الفونس يبالح في قدر
الجزية على المعتمد على لسان سفيره اليهودي الذي لا يحتمل المعتمد
عجرفته فيطلبه . تخريب الفونس لشذونه ودخوله طليطلة فيأخذ منها
مالا كبيرا ويتسلم بعض الحصون . دخوله طليطلة منتصرا وعلان الأمراء
طاعتهم له ولكنه يزدريهم . تطلعه الى غيرها من الولايات . قائده غرسية
جينز يكثر من الاغارة على المرية وغرناطة . اختلاف الأراء حول فكرة
الاستعانة بالمرابطين . اجابات يوسف بن تاشفين الغامضة واستفتاء
الفقهاء في هذا الموضوع . حملته على الجزيرة الخضراء ثم زحفه على أشبيلية
وصف لقائه مع المعتمد . اصطدام الفونس بالمرابطين في زلاقة وانتصار
المرابطين . انهيار الثقة بين الجيوش الاسلامية بعضها وبعض .

اذلال الفونس لملوك الطوائف

وجه الامبراطور ألفونس السادس ملك ليون وقشتالة وغاليسيا ونفارة كل اهتمامه للاستيلاء على جميع أرجاء شبه الجزيرة (١) ، وكان ألفونس من القوة بالدرجة التي تمكنه من انجاز مشروعه ، الا أنه رأى أن يثريث بعض الوقت ، ورغب ألا يتعجل الأحداث حتى يستعد للأمر فيجمع أكبر قدر مستطاع من المال اذ هو عصب الحرب وأضمن السبل للوصول الى الغاية التي يصبو اليها والهدف الذي ينشده ، ومن ثم وضع الأمراء المسلمين بين شقي الرحى ، واذا كانت المعصرة تعصر التفاح فتخرجه خمرا فانه راح يعتصر الذهب من هؤلاء الأمراء .

وربما كان أضعف الأمراء حولا وقوة هو « القادر » ملك طليطلة الذي درج في بلهنية القصور ونعيمها ، وكان العوبة في أيدي خصيانه ، وسخرية في أعين جيرانه الذين راحوا يتنافسون فيما بينهم على تجريده مما بيده ، ولم يكن له من حام يذب عنه سوى « أذفونش » الذي توجه اليه القادر حين عجز عن استرضاء قومه الذين سثموا طغيانه وكرهوا منه استبداده ، فوعده « ألفونس » بأن يرسل اليه قواته من عنده ، ولكنه طلب لقاء هذا الصنيع مبلغا ضخما من المال ، فدعى القادر اليه وجوه أهل بلده . وسألهم اسعافه بالمال الذي يفرضه « الفونس » ، فأنكروا عليه طلبه ورفضوا سؤاله فصاح بهم : « أقسم لئن لم تحضروا هذا المال الذي طلب في لحظتي هذه لأجعلن عند الفونس رهينة جميع من عندكم من العيال والبنين ! » ، فأجابوه : « لقد خلعت نفسك بما قلت وبما أزمعت عليه وعولت » .

والواقع أن الطليطليين أسلموا الأمور الى « المتوكل » صاحب بطليوس ، مما اضطر القادر الى التسلل لواذا تحت جنح الظلام الى الفونس يلتمس من جديده معونته ، فقال له الامبراطور : « نحن ماضون لحصار طليطلة على أن تجعل أموالها في يدي ، وأعطني حصن سرية وحصن قنورية رهنا على ذلك » ، فاستجاب القادر لكل مطالب الفونس ، وابتدأت الحرب (٢) ضد طليطلة سنة ١٠٨٠ م [= ٤٧٣ هـ] .

استمر النضال مدة عامين ثم أرسل الامبراطور - كما هو دأبه - سفارة الى المعتمد يطلب منه الجزية السنوية ، وكانت هذه السفارة تتألف

من فريق كبير من الفرسان ووكل باستلام المال رجلا يهوديا اسمه ابن شاليب (٣) ، اذ كانت العادة قد جرت في تلك الايام أن يقوم اليهود بالوساطة بين المسلمين والمسيحيين .

عسكر السفراء خارج المدينة وأمر المعتمد جماعة من رجاله على رأسهم حاجبه « أبو بكر بن زيدون » بحمل المال الى أولئك السفراء ، ولكن المال الذي حملوه كان دون ما ينبغي على المعتمد تاديته لأنه لم يكن في حال تمكنه من جمع هذا المبلغ الكبير على الرغم من فحش الضرائب التي فرضها على رعيته ، فلما رأى ابن شاليب اليهودي ما رأى من المال صاح : « لا أخذت منه هذا العيار ولا أخذت منه الا ذهباً مسجراً ، ولا يؤخذ منه في هذا العام الا أجفان البلاد » .

فلما سمع المعتمد ما قاله اليهودي استبد به السخط وصاح في جنده : « اتئوني باليهودي دون أصحابه واقطعوا حبال الخباء » فعمل أصحابه بما أمرهم به ، فلما جاء الرسل الى القصر قال المعتمد : « اسجنوا النصارى واصلبوا هذا اليهودي » .

فصاح اليهودي وقد خارقه كبرياؤه وارتجفت أوصاله رعباً : « لا تفعل وأنا أفتدى نفسي منك بزنتي مالا » .

فقال له المعتمد : « لو أعطيتني العدو والأندلس ما قبلتهما منك » - وتم صلب اليهودي (٤) .

ما كاد خبر هذا الحادث يتناهى الى سمع ألفونس حتى أفسم بالثالث المقدس وبجميع الرسل ليكون انتقامه فظيماً حاسماً ، وقال : « لا أرفع يدي عنه ، وسأحشد من الروم عدد شعر رأسى ، وأصل بهم الزقاق ! » . غير أنه لم يكن قادراً على ترك فرسانه القشتاليين يكابدون الضيق ويعانون الموت في غياهب سجون اشبيلية ، ومن ثم سأل المعتمد أن يوافيه بالشروط التي يطلبها لقاء اطلاق سراحهم ، فطلب المعتمد منه أن يرد عليه حصن (٥) « المدور » فلما صار في يده أفرج عن الفرسان (٦) الذين ما كادوا يصلون الى موطنهم حتى قام ألفونس فنفذ وعيده بأن خرب قرى « الغرب » وأحرقها ، وأعمل في الناس القتل والأسر ، وفتك بالمسلمين الذين لم يسعفهم الوقت بالاعتصام بأحد الأماكن الحصينة ، وظل مقيماً على حصار اشبيلية ثلاثة أيام ، خرب فيها كورة « شنونة » وبلغ الساحل الرمل على مقربة من « طريف » ، ثم دفع جواده فخاض ضحضاح الماء وقال : « الآن وطأت شط الزقاق ! » .

واذ بر يمينه وأرضى كبرياه زحف على رأس جيشه الى مملكة طليطلة (٧) .

وقدر لجيش الفونس أن ينتصر في طليطلة أيضا مما دفع المتوكل الى اخلاء البلد له ، وفتح سكان العاصمة أبوابها للقائد الذي نهب منهم أموالا جساما قدمها لالفونس الذي قال له في برود عجيب : « هذا غير كاف ! » ، فقدم اليه القادر مرة أخرى ثروة أبيه وجده ، فقال له الفونس : « وهذا ما يكفني ! » ، فقال له القادر : « أمهلني أحمل اليك غيره » فقال الملك : « لك ما طلبت ، لكن أسلمني بعض القلاع هنا » .

فنزل القادر على أمره ، وهكذا تمزق ميراث القادر ، واستنزف كل ما لديه من الثروة لكن ترى ما الذي كان مستطعبا عمله ؟ .

لقد كان يعرف أن سيف الفونس البتار مصلت على عنقه يحزه ان بدرت منه أدنى بادرة من العصيان ، لذلك راح « القادر » يعطي الامبراطور الذهب بعد الذهب ، ويسلمه الحصون تلو الحصون ، الا أن ذلك كله لم يقنع الفونس فاضطر القادر أن يسرف في الضغط على رعيته حتى خلت المملكة من سكانها ، وذلك أنهم أدركوا أن لا قبل لهم باحتماله فهاجروا زرافات الى بلاد ملك « سرقسطة » ، غير أن ذلك كله لم يتسفع للقادر عند الفونس بل كان يزداد في اللاحاح عليه بما يطلب منه ، حتى اذا أقسم القادر له أن قد خوى وطابه عاث الامبراطور فسادا في أرباض طليطلة وظل القادر فترة من الزمن وهو شديد التمسك بعرشه المنخوب ، الا أنه تخلى في النهاية عن تمسكه الذي لا جدوى منه ، ومن ثم ذهب الى حيث كان الفونس في انتظاره فانبأه بتخليه عن طليطلة له ، ولكنه اشترط عليه شروطا كان أهمها ما يلي (٨) :

« أن يؤمن من فيها من المسلمين على أنفسهم وأموالهم وذويهم وبنبيهم . ومن أحب منهم التنقل لم يمنع منه ، ومن أحب المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية على عدد من عنده من الأشخاص ، وان رجع بعد رحيله نزل عما كان بيده من عقار دون تعرض عليه في كثير » .

« وأن يترك لهم المسجد الجامع » .

« وأن يتكفل بارجاع القادر الى بلنسية » .

وقبل الامبراطور [الفونس السادس] هذه الشروط ، حتى اذا كان يوم ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ م [= ٤٧٨ هـ] دخل الفونس عاصمة المملكة القوطية القديمة (٩) .

واذ ذاك لم يعد ثم شيء يعادل كبريائه الا خمول شأن الأمراء المسلمين وضالة قدرهم وتفاهة شأنهم . فقد بادروا جميعا تقريبا الى بحث رسلهم لتهنئته على ما أصاب من الفتح العظيم ، وبعثوا اليه بهداياهم ، وأنهبوا

اليه رغبتهم في أن يشاركونهم في بلادهم ، وأن يكونوا عمالا له بها ، وجبأه
يجبون اليه أموالها •

على أن الفونس « حاكم أهل الملتين » كما لقب نفسه في رسائله
لم يمن مطلقا بكنتم احتقاره الذي دفعوه للشعور به نحوهم ، من ذلك أن
حسام الدولة [بن رزين] صاحب « السهلة » نهض اليه بنفسه حاملا
هدية عظيمة القدر سعى بها للتقرب اليه ، وكان الامبراطور [الفونس]
حين دخوله عليه يتلهى بمشاهدة قرد يطفر أمامه ، فقال الفونس لحسام
الدولة ساخرا به : « جزيتك على هديتك بهذا القرد ! » فلم يشعر الأمير
المسلم بآدنى غشاضة ، ورأى في هذه الهدية دليل الود ، وأصبح يراها
جنته مما كان يحذر من الفونس من خلعه من ولايته التي بيده (١٠) •

بعد أن فرغ الفونس من طليطلة جاء دور « بلنسية » •

كان يتنازع السلطة في بلنسية ولدا عبد العزيز ، ثم ظهر حزب
ثالث أراد أن يسوقها الى ملك سرقسطة ، كما قام فريق رابع كان يعمل
لنقلها الى المقتدر ، وكانت الغلبة لهذا الفريق الأخير ، والواقع أن القادر
كان له كل ما يساعده على أن تكون بلنسية له ، إذ كان يشد أزره من
الخلف جيش قشتالي بقيادة القائد الكبير « الفار فاينز » وهو يكلف أهل
بلنسية ستمائة دينار يوميا ، وقد زعم أهلها للقادر ألا حاجة له الى هذا
الجيش طالما هم مخلصون له ، باقون على خيمته ، الا أن القادر لم يكن
من البلاهة بالدرجة التي تحمله على الوثوق بهم والركون الى أقوالهم
لعله بمدى مقتهم له ، وأن الأحزاب القديمة لم تزل تطمح في الوثوب
عليه ، ومن ثم استبقى القشتاليين ، كما عمد الى فرض ضريبة باهظة
اثقلت كاهل المدينة وما حولها ، وكان قصده من هذا دفع أعطيات الجند ،
كذلك استلب مبالغ ضخمة من الأشراف ، غير أن أعمال الاضطهاد المروع
لم تكن كافية في نظر « الفار فاينز » إذ أخذ يلح على القادر بدفع رواتب
الجند المتأخرة الحاحا أفضى بملك بلنسية الى أن يجد نفسه ذات يوم
وقد أصبح على شفا الافلاس ، وحينذاك لم ير بدا من أن يعرض على
القشتاليين الإقامة في مملكته نظير اقطاعهم أراضى شاسعة ، فقبلوا عرضه
وجلبوا العبيد للفلاحة وزرع تلك المساحات الشاسعة من الأرض ، كما
آثروا الثراء الفاحش من وراء الغزوات التي دأبوا على شنها على البلدان
المجاورة سلبا ونهباً ، كما ازداد عددهم بمن انضم اليهم من أوشساب
العرب ؛ الى جانب من انخرط تحت لوائهم من العبيد وسفلة القوم وطريدي
العدالة ممن نبذ الكثيرون منهم الاسلام ، وكان هؤلاء وهؤلاء جموعا وفيرة
العدد ، واشتهرت هذه العصابات بارتكاب الشرور لما طبعت عليه من
الفظاظة والاسراف في قتل الرجال وهتك أعراض النساء ، وطالما باعوا

الأمير المسلم لقاء رغيف من الخبز أو كأس من الخمر أو رطل من السمك ، وكان الأمير إذا عجز عن افتداء نفسه أو امتنع عن ذلك وثبوا عليه فقطعوا لسانه وسملوا عينيه وتركوه للكلاب تنهشه (١١) .

على أن واقع الأمر أن بلنسية كانت إذ ذاك في قبضة الفونس لوجود الجزء الأكبر من أرضها في حوزة القشتاليين ، وكان ضم هذه المدينة إلى أملاك الفونس مرهونا بكلمة تخرج من فمه رغم أن القادر كان لا يزال يلعب بملكها .

وكان يبدو أيضا أن مدينة « سرقسطة » كانت هي الأخرى على وشك الضياع ، إذ قام الامبراطور [الفونس] بمحاصرتها وأقسم لتدين له (١٢) .

كان هناك في الطرف الآخر من إسبانيا أحد قواد الفونس واسمه « غرسية جينز » وقد أقام مع قوة من الفرسان في حصن « الليط » على مقربة من « لورقة » ، واتخذ الاغارة على مملكة « المرية » (١٣) عملا موصولا ظل يدأب عليه ، ولم يهمل شأن غرناطة فقد حدث في ربيع ١٠٨٥ م [٤٧٨ هـ] أن تقدم القشتاليون حتى بلغوا قرية « نبرة » التي تقع على مسيرة فرسخ شرقي غرناطة وقاتلوا مسلميها (١٤) .

كان الخطر محدقا بالمسلمين في كل مكان ، واستحكم الضيق فلم يعد أحد يجسر على المقارنة بين المسلمين والمسيحيين ، فكان خمسة من الأولين دون واحد من النصاري ، وقد حدث قبل ذلك بقليل أن خرجت نخبة منتقاة من الجند قوامها أربعمئة رجل من أهل « المرية » فلم تلبث أن ولت الأدبار أمام ثمانين من القشتاليين (١٥) ، وأصبح من الواضح أنه إذا ترك عرب إسبانيا وشأنهم لما كان أمامهم إلا أن يسلكوا أحد طريقتين : أما الاستسلام للامبراطور [الفونس السادس] أو الهجرة جميعا .

والواقع أن الكثيرين منهم مالوا للأخذ بعكرة مغادرة البلاد ، وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

يا أهل أندلس حثوا مطيكمو فما المقام بها إلا من الغلط (١٦)

ومع ذلك فقد كانت الهجرة أمرا مستصعبا على نفوسهم . شديد الايلام لها ، ولم يقدموا عليها إلا في كثير من الألم والمشقة ، غير أنهم لم يكونوا قد فقدوا كل شيء إذ لا زال في استطاعتهم تلقي الامدادات من أفريقية التي أمل البعض أن يكون خلاص الأندلسيين مما هم فيه على يد أهلها ، ومن ثم اتفق الرأي على مكاتبة بدوها . ولكن ظهر من يعارض هذا

الرأى ويسفهمه ، ذاهبا الى أن فطاطة هؤلاء البدو أعظم من شجاعتهم ،
وخاف الأهاون أن يمضى الافريقيون - حين تطأ أقدامهم أرض الأندلس -
فينهبون المسلمين ويسلبونهم ما بقى فى أيديهم بدلا من محاربتهم -
النصارى (١٧) .

لذلك فكروا فى الاستغاثة بالمرايطين وهم بربر الصحراء الذين قاموا
اذ ذاك بتمثيل أول دور لهم على مسرح الدنيا ، وكانت هدايتهم الى الاسلام
على يد مبشر من « سجلماسة » ، واتسمت فتوحاتهم بالسرعة الفائقة ،
وامتدت امبراطوريتهم - ابان العصر الذى نتكلم عنه - حتى شملت جميع
الأراضى الواقعة فيما بين بلاد السنغال والجزائر .

كان الفقهاء أعظم الناس ترحيبا بفكرة استدعاء المرايطين الى الأندلس ،
أما الأمراء فقد طال ترددهم تجاه هذه المسألة ، وكان فريق منهم - كالمعتمد
والمتوكل - تربطه بيوسف بن تاشفين - ملك المرايطين - روابط الود ،
حتى طلب منه هذان الاثنان فى مناسبات عدة أن يساعدهما فى نضالهما
ضسد المسيحيين ، غير أن الأمراء على وجه العموم دون استثناء المعتمد
والمتوكل كانوا لا يميلون كثيرا الى زعيم هؤلاء المحاربين الغلاظ المتعصبين
من أهل الصحراء ، ورأوا فى يوسف بن تاشفين منافسا خطيرا أكثر مما
رأوا فيه نصيرا لهم ، على أنه لم تعد هناك أمامهم مندوحة عن طرق سبيل
النجاة الذى بقى أمامهم حين أخذ الخطر يتفاقم شدة يوما بعد يوم ، ولم
يغب ذلك الأمر عن بال المعتمد فقد حدث أن نبهه ابنه الرشيد الى الخطر
الجسيم الذى يعرض نفسه باستدعائه أولئك المرايطين لوطء اسبانيا ،
فقال له المعتمد : « والله ٠٠٠ انه لأحب الى أن ألقى الله هكذا من أن ألقاه
وقد حالت الأندلس دار كفر ، وانه لأولى بى أن أكون راعى الجمال من أن
أكون راعى الخنازير » (١٨) .

ولما استقر رأى المعتمد على هذه الخطة أفضى بها الى جارية
« المتوكل » صاحب « بطليوس » و « عبد الله » ملك غرناطة (١٩) ،
وسألها أن يشاركاه فى هذا الأمر وأن يرسلأ قاضيهما الى أشبيلية ،
ففعلا ما طلبه منهما ، اذ أرسل المتوكل الى أشبيلية أبا اسحق بن مقانا
« قاضى بطليوس ، وبعث عبيد الله اليها أبا جعفر القلعى » قاضى الجماعة
بغرناطة ، وانضم اليهما [أبو بكر عبيد الله] بن أدهم قاضى الجماعة
بقرطبة والوزير أبو بكر بن زيدون ، فأبحر هؤلاء الأربعة الى الجزيرة
الخضراء ، وأدركوا يوسف بن تاشفين ودعوه باسم ملوكهم للنهوض
بجيشه الى الأندلس (٢٠) ، وكان الواجب يقتضيهم ذكر الشروط التى
لا ندرى شيئا ما عنها ، بل ان كل ما نعرفه هو أنه كان على يوسف أن
يقسم ألا يحاول الاستيلاء على أملاك الأمراء الأندلسيين وأن يقيم على هذه
اليمين (٢١) .

وبعد أن فرغ الرسل من ذلك راحوا يختارون ليوسف البقعة التي يرسو فيها ، فاقترح ابن زيدون أن تكون جبل طارق ، إلا أن ابن تاشفين آثر الجزيرة الخضراء ، واقترح أن يتخلى له أصحابها عنها ، فأجابته وزير المعتمد أن اجابة هذا الطلب خارجة عن سلطته ، ومن ثم فترت همة ابن تاشفين في معاملة السفراء واتسمت اجاباته لهم بالغموض والابهام ، فعادوا الى بلادهم وهم يجهلون الناحية التي استقر رأيه على النزول فيها ، ومع أنه لم يعدهم وعدا باتا بالحضور الا أنه لم يذكر لهم أنه محجم عنه . وترتب على هذا أن احتك الشك في صدر الأمراء الأندلسيين ، واشتد بهم الكرب شدة دلت على مدى شكوكهم في نواياه .

أما يوسف بن تاشفين فقد جمع فقهاء الذين جرت العادة ألا يبرم أمرا دون مشورتهم ، وسألهم أن يحضوه النصيح فيما ينبغي عليه عمله ، فأجمعوا على أن واجبه يحتم عليه - قبل كل شيء - أن ينهض لمقاتلة القساليين ، ثم يحق له بعد ذلك الاستيلاء على الجزيرة الخضراء ان كان لا يزال في حاجة اليها ، ورفض القوم التخلي له عنها ، فلما تزود يوسف بهذه الفتوى أصدر أمره الى كثير من قواته بركوب البحر من « سبتة » فملأوا مائة سفينة وأقلعوا شطر الجزيرة الخضراء التي وجدت نفسها - على حين فجأة - محاطة بجيش كثيف يجاوز كل ما يمكن أن تسعه أرضها أو توفر له المؤونة ، وأوقع في يد حاكمها « الراضي » اذ لم يكن يدور بخله أن يرى ما هو جار أمامه ، ولم يرفض تقديم الطعام للمرابطين ، لكنه كان في الوقت ذاته مستعدا لدفع القوة بالقوة ان دعت الحال لاستعمال القوة . أضف الى ذلك أنه كتب الى أبيه يسأله الرأي ، وأرسل كتابه مدرجا طي ذيل حمامة يمت شطر أشبيلية ، ولم يطل انتظاره للرد فقد وافاه رد المعتمد على جناح السرعة ، ذلك انه على الرغم مما ينطوي عليه مسلك يوسف من الازعاج والاثارة الا أنه رأى استحالة التراجع ، ورأى أيضا أن الواجب يقتضيه ألا يقابل السوء بالسوء بل بالاحسان ، ومن ثم أشار على ولده باخلاء الجزيرة الخضراء والارتداد (٢٢) الى « رندة » واذا ذاك أبحرت الى الجزيرة الخضراء قوات جديدة ، ثم جاء يوسف بنفسه في النهاية .

كان أول ما اهتم به يوسف وشغل نفسه به هو العمل على تقوية حصون المدينة وامدادها بالميرة والذخائر الحربية واقامة حامية كبيرة بها ، فلما فرغ من ذلك كله رحل الى أشبيلية على رأس معظم عسكره ، فخف للقاء المعتمد وهو بين كبار وأعيان موطفي دولته ، فلما صار في حضرته حاول تقبيل يده فأبى عليه يوسف ذلك وعانقه عناقا دل على الود المكين ، ولم ينس المعتمد الهدايا التي جرت العادة باهدائها في مثل هذا الموقف ، فقدم عددا وافرا منها الى ابن تاشفين الم رابط ليصل جنده ببعضها ، غير

ان الهدايا برهنت لئوسف برهانا صادقا على عظم ثراء بلاد الأندلس .

وأقام القوم على مفربة من أشبيلية حيث انضم الى المرابطين حفيدا « باديس » وهما عبد الله أمير غرناطة وتميم صاحب « مالقة » ، وكان الأول في ثلاثمائة فارس ، والناني في مائتين ، كما بعث المعتصم صاحب « المرية » فريقا من الفرسان بقيادة أحد أبنائه معتذرا عن عدم القدوم بنفسه لخوفه من مجاورة بدو « الليط » ، ثم سار الجيش بعد ذلك بثمانية أيام في طريق « بطايوس » حيث انضم اليه المتوكل بجنده ، ونابح الجميع الزحف الى طليطلة (٢٣) ، الا أنهم ما كادوا يشروعون في السبر حتى صادفوا العدو .

كان ألفونس لا يزال محاصرا « سرقسطة » حين مناهى اليه الخبر بان المرابطين قد أرسوا باسبانيا ، وقد ظن ألفونس أن ملك « سرقسطة » يجهل خبر وصول الأفريقين ، ومن ثم بعث الى « المستعين » يخبره باستعداده لرفع الحصار عن المدينة ان دفع اليه مبلغا كبيرا من المال ، غير أن الأمير كان قد علم هو الآخر مثله بالنبا العظيم ، فرد عليه بأنه لن يعطيه شيئا حتى ولو كان درهما واحدا ، واذ ذاك عاد ألفونس الى « طليطلة » بعد أن بعث الى « القار فاينز » وقواده الآخرين ينهى اليهم أمره بالحضور والانضمام اليه بمن معهم من العسكر .

فلما التأم شمل جيشه - وفيه كثير من الفرنسيين - أخذ في الزحف ليقاثل في بلاد العدو ، والتقى بالمرابطين وحلفائهم عند قرية قريبة من « بلبوس » ، وعلى كنب من ناحية يسميها المسلمون « زلاقة » ويعرفها النصراني باسم Sacralias

لم يكن ألفونس قد فرغ بعد من ضرب معسكره حين جاءت رسالة من يوسف بن تاشفين يدعوه فيها الى الاسلام أو دفع الجزية ، وينذره بالحرب ان هو أعرض عن عرضه ، فاستشاط ألفونس غيظا واحتد حدة عمياء من هذه الرسالة وأناط بأحد عماله العرب الرد عليها معلنا أنه لم يكن يتوقع مثل هذه العروض الجارحة المهينة من المسلمين الذين دأبوا على دفع الجزية له منذ عدة سنوات . أضف الى هذا أنه كان تحت يده جيش قوى من المحاربين يستطيع معاقبه العدو وردعه .

لم يكن هذا الجواب يصل الى ديوان الرسائل الاسلامي حتى بادر أحد الأندلسيين الى الرد عليه ، فلما وقف يوسف على الرد رأى أن الكاتب قد أطل في الجواب ، فاكتفى هو بأن كتب على هامش كتاب الامبراطور هذه العبارة الموجزة : « ستري ما سيكون » ثم رده اليه (٢٤) .

وشرع يوسف بن تاشفين يعد ذلك في تحديد يوم الوقعة حسبما

كانت العادة تجرى اiban ذلك الوقت ، واتفق الرأي على أن تكون يوم الخميس الثاني والعشرين من أكتوبر ١٠٨٦ م [= ٤٧٩ هـ] وفي ذلك اليوم بعث ألفونس برسالة الى المسلمين يقول لهم فيها : « الجمعة لكم والأحد لنا ، فليكن الزحف يوم السبت » (٢٥) فلم يعارض ابن تاشفين .

لكن المعتمد رأى المكيدة فى خطة المرابطين . وأدرك أنه اذا بدأ الهجوم تلقى هو هجمة العدو الأولى لوجود جند الأندلس فى المقدمة ، بينما يكون المرابطون فى الخلف مختفين وراء الجبال ، ومن ثم احتاط للأمر حتى لا يباغت بالهجوم على غرة ، وراحت طلائعه ترصد حركات العدو ، ولم يستكن المعتمد بل ظل يعمل ويرقب ، ودأب على استطلاع الخبر من منجميه ، ولما دنت اللحظة الحاسمة الرهيبة أصبح مصير اسبانيا متوقفا على نتيجة المعركة المشوكة على الوقوع .

كان القشتاليون يتفوقون على عدوهم من الناحية العددية ، اذ ذهب المسلمون للقول بأنهم فى خمسين أو ستين ألف مقابل (٢٦) ، على حين أن خصومهم كانوا لا يجاوزون عشرين ألفا (٢٧) .

لم يكد الفجر يشرق حتى رأى المعتمد أن مخاوفه أخذت فى التحقق ، فقد أنبأه عيونه أن الجيش النصراني أخذ فى الاقتراب منه ، فخرج موقفه واستحكم الخطر عليه مخافة أن تدور الدائرة عليه قبل أن يتمكن المرابطون من موافاته فى ساحة القتال ، فبعث الى يوسف بن تاشفين يطلب اليه أن يسرع فى القدوم عليه بجميع جنده ، والا فليرسل اليه نجدة كبيرة ، فلم يبادر يوسف الى اجابة سؤاله لأنه كان قد دبر خطته وما كان له أن ينخلع عنها ، ولم يكن يوسف يهجم كثيرا مصير الأندلسيين حتى لقد قال : « اتركوهم قليلا للفناء ، فكل من الأعداء » .

هرب الأندلسيون حين لم يجدوا فى الميدان أحدا سواهم ، ولم يبق غير الأشبيليين الذين اشتدت حماستهم حين أبصروا أميرهم وقد جرح فى وجهه ويده ، فلم يمنعه ذلك من اقامة البرهان على أنه رجل صدق فى اللقاء ، وفارس لا يشق له غبار ، فاستبسلوا هم أيضا فى مقاومة العدو حتى جاءت لنجدتهم كتيبة من المرابطين اعتبروها ترجحا لكفتهم .

اشتد عجب الأشبيليين حينما أبصروا العدو يقاتل ثم يرتد فجأة الى الوراء ، وكان عجبهم هذا ناجما من أن النجدة التى وصلتهم لم تكن كبيرة بالدرجة التى تمكنهم من كسب الموقعة ، بيد أن حقيقة ما جرى هو أن ابن تاشفين أبصر التحام الجيش القشتالى بالأشبيليين ، فرأى أن يعمد الى مهاجمة القشتال من الخلف ، وحمل بمعظم قواته على معسكر ألفونس ،

وجرت حينذاك مذبحة مروعة في الجند القائمين بحراسة المعسكر فأضرم يوسف النار فيه وكر على القشتاليين من الخلف وأخذ يدفع أمامه جمهورا غفيرا من جندهم الفارين ، ووجد ألفونس نفسه بين عدوين ، ولما أدرك أن الجيش الزاحف عليه من الخلف أكبر عددا من الجيش المواجه له فقد اضطر لتوجيه قواته الرئيسية ضد يوسف ، فاشتجرت الأسنة وأقبلت الأجال تفترس الرجال ، وأصبحت الحرب سجالا بين الفريقين ، هذا ويوسف يجري بين صفوف جنده ويصيح بهم « الشجاعة يا مسلمين الشجاعة ٠٠٠ من قتل خطب الجنة !! » .

أما الأندلسيون الذين انقلبوا على أعقابهم فقد عادوا يجمعون صفوفهم من جديد ، ونهضوا ثانية الى ساحة المعركة لمعاونة المعتمد ، كما قام يوسف من ناحيته فكر على القشتاليين بحرسه السوداني الذي أبقاه حتى هذه اللحظة بعيدا عن الحرب ، فجاء هذا الحرس بالأعاجيب ونجح أحدهم في الاقتراب من ألفونس وطعنه بخنجره في فخذه طعنة دامية .

وأرخصي الظلام سدوله ولا زال الفريقان يحارب الواحد منهما الآخر قتالا عنيفا كتب بعده النصر للمسلمين ، وامتألت ساحة المعركة بالنصارى ما بين قتيل وجريح ، ولاذ سواهم بالهرب ، وما كانت نجاة ألفونس ذاته مع خمسمائة من رجاله الا بعد جهد شديد ، وتم ذلك كله يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٠٨٦ م [= ٤٧٩ هـ] .

ومع ذلك فانه لم يقدر للقوم أن يجنوا من هذا النصر المؤزر ما كان مأمولا ، ذلك أن ابن تاشفين كان قد اعتزم التوغل في البلاد لكنه رجع عن عزمه حين بلغه نبأ موت ابنه البكر الذي تركه وراءه بسببة مريضا ، ومن ثم اكتفى بترك فريق من الجند يبلغ ثلاثة آلاف رجل تحت امرة المعتمد ، وانكأ هو عائدا الى أفريقية مع بقية قواته .

الفصل الثالث عشر

ابن تاشفين والبراء الأندلسي

الفونس السادس يتابع العدوان رغم هزيمته في زلاقة • المعتمد وابن رشيق • السيد القمبيطور • اختلاف وجهات النظر عند العامة والمنقذين الى ابن تاشفين • تمرد العامة على أمرائهم يخدم أهداف ابن تاشفين • القاضي القليعي ييسر لابن تاشفين سرا غزو الأندلس • وشاية المعتصم أمير المرية بالمعتمد وشاية المعتمد بابن رشيق عند ابن تاشفين • عبد الله أمير غرناطة يهيم بقتل القليعي فتمنعه أمه من ذلك فيفر القليعي الى غرناطة ويكاتب ابن تاشفين ضد عبد الله • رجال عبد الله يعلنون ولاءهم لابن تاشفين فيكاتب عبد الله الفونس للقدوم لمساعدته فيخذه الفونس • استعجال أهل غرناطة قدوم ابن تاشفين الذي يقترب من غرناطة فيهرع للقائه عبد الله بإيحاء من أمه • إسقاط ابن تاشفين الكثير من الضرائب واستيلاؤه على كل ما في القصر • تقرب المعتمد وغيره من الأمراء الى ابن تاشفين الذي يرجع الى بلاده بعد استصدار فتوى بفسق أمراء الأندلس •

ابن تاشفين وأمراء الأندلس

ترتب على وصول (١) المرابطين الى اسبانيا أن وجد أولو الامر والنهي في قشتالة أنفسهم مضطرين لاخلاء « بلنسية » ورفع الحصار عن « سرقسطة » ، وتمخضت هزيمة هؤلاء الآخرين في « زلاقة » عن حرمانهم من فريق من خيرة محاربيهم حتى ليقول المسلمون انه هلك في هذه الواقعة منهم عشرة آلاف رجل ، ويقول آخرون بل أربعة عشر ألف محارب (٢) . أضف الى هذا أن الأمراء الأندلسيين تخلصوا من القيد المخجل الذي كان يفرض عليهم دفع الجزية السنوية للامبراطور الفونس الذي تلاشى الخوف من هجومه على الغرب منذ أن قام الجند الذين تركهم يوسف بن تاشفين للمعتمد للدفاع عن حصون تلك النواحي ، ولا شك أن هذه نتائج طيبة يحق أن تغتبط بها نفوس أهل الأندلس ، فلا عجب ان عمت الفرحة جميع رحاب القطر ، وتردد اسم يوسف على كل الشفاه والألسن ، وراح الناس يمتدحون رحمته ويشنون على شقيقته ، ويعظمون مقدراته الحربية ، وحيوه باعتباره مخلص الأندلس ومنقذ الملة الاسلامة ، واعتبروه قائد عصره المجلى ، ولم يكف القوم - لاسيما رجال الدين عن البناء عليه فقد كان في نظرهم أكثر من رجل عظيم ، واعتبروه مرسلا من قبل الله ، ومؤمناً يجدى النبرك به (٣) .

لكن على الرغم من الانتصارات التي أحرزها المسلمون الا أنها لم تكن بالحاسمة ، أو لا أقل من أن ذلك هو ما رآه القشتاليون فلم يداخلهم اليأس من عودة أمورهم الى مجاريها رغم ما تكبدوه من الخسائر الفادحة ، وأيقنوا تمام اليقين أنهم يجلبون الخطر على أنفسهم ان هم حولوا هجماتهم عن ناحية (بطلييس) وأشبيلية ، لكنهم عرفوا الى جانب ذلك أيضا أن في شرقي الأندلس مجالا للفوز ليس من العسير عليهم أن ينزلوا عليه فيعيشون فيه خرابا ويلحقون به كثيرا من التدمير ويكون في قدرتهم الاستيلاء عليه ، ذلك أن ولايات الشرق الصغيرة وهي بلنسية ومرسية و « لورقة » و « المرية » كانت في الواقع أضعف ولايات شبه الجزيرة على الاطلاق ، وكان للقشتاليين في وسطها مركز بالغ القوة يجعل الاقليم تحت رحمتهم ، ونعني بهذا المركز حصن « الليط » الواقع بين مرسية ولورقة ، والذي لا تزال أطلاله شاخصة الى اليوم ، وهو رابض على جبل شامخ بلغت قمته عنان السماء ، ويضم حامية تقدر باثني عشر أو ثلاثة

عسرة الف رجل ، ناهيك بنسبة مناعته على من يرومه ، وقد اخذ
القستاليون مركزا يغيرون منه على الأقاليم المحيطة به ، فحاصروا (٤)
المرية و « لورقة » و « مرسية » ، فكان كل شيء يشير الى أن كل شيء
سبثول الى الوقوع في أيدي القسناليين ان لم يتدارك الله أمر هذه
النواحي .

ولقد أدرك « ابن اليسع » صاحب لورقة عجزه عن مقاومة
الناحية ، ومن ثم راح يقامر بما يملك وذلك لأن أكثر المدن تعرضا لهجمات
العدو - وهي مرسية لورقة - كانت تابعة له .

ولقد أدرك « ابن اليسع » صاحب لورقة عجزه عن مقاومة
قستالي « الليط » ، فبادر الى الاعتراف بسيادة المعتمد عليه مؤملا أن
يصير له بذلك عونا (٥) .

أما « مرسية » فكانت لا تزال تحت حكم الثائر « ابن رشيق » الذي
كان المعتمد يتحرق للقصاص منه تحرقا حمله على أن ينهض بحملة على
الأقاليم الشرقية ، راميا من وراء ذلك الى هدفين ، أولهما أن يضع حدا
لغزوات النصاري ، وأما ثانيهما فرغبته في أن يرد ابن رشيق الى
طاعته ، وحينذاك ضم قواته الى القوات التي استودعه اياها يوسف وسار
الى « لورقة » التي ما كاد يبلغها حتى تناهى اليه خبر وجود كتيبة بها
خوامها ثلاثمائة قستالي على مقربة منها ، ومن ثم أمر ابنه « الراضى »
الذى يؤثر الأدب على القتال أن ينهض على رأس ثلاثة آلاف فارس أشبيلي
لقتالها ، فاعتذر « الراضى » لأبيه متذعرا بموضه ، فاشتد غضب المعتمد ،
ومن ثم عهد بالقيادة الى ولد آخر له اسمه « المعتمد » . غير أن تفوق
القستاليين على الأندلسيين ظهر مرة أخرى ، فقد لحقت الأشبيليون هزيمة
تكراء على الرغم من أن عددهم كان عشرة أمثال عدد خصمهم (٦) .

هكذا تبين للمعتمد اخفاق محاولاته التي كان ينشد من ورائها
الخضاع « مرسية » ، وكانت علة اخفاقه تتمثل في أن « ابن رشيق » نجح
في أن يستميل اليه جماعة المرابطين الموجودين في الجيش الأشبيلي ، فلم
يجد المعتمد بدا حينذاك من الانصراف الى عاصمته فاشلا (٧) .

تجلى للعيان اذ ذاك أن الأندلسيين - قبل وقعة زلاقة وبعدها -
لا يستطيعون الدفاع بمفردهم عن أنفسهم ، وأن مآلهم للاستسلام ان
لم ينهض يوسف مرة أخرى لانقاذهم ، كما ازدحم بلاط ابن تاشفين
بالوالدين عليه من فقهاء وأشراف « بلنسية » ومرسية ولورقة وبازة ،
وشكى البلنسيون اليه من « رودريك القمبياطور » المعروف « بالسيد »
الذى ادعى أنه المدافع عن « القادر » بعد أن أجبره على دفع مرتب شهري
ثابت له قدره عشرة آلاف دينار ، ثم أخذ يعيث فسادا وتخريبا في
نواحي المملكة ، زاعما أنه يستهدف ارجاع العصاة الى طاعة الملك (٨) .

ولقد أسهب سكان النواحي الأخرى من أهل مرسية ولوزقة و « باز » في ذكر المظالم التي أنزلها بهم القشتاليون من أهل الليط ، وعلى هذا انعقد الإجماع على أنه لا محيص للأندلس من الوقوع في أيدي النصاري إن لم يهب يوسف إلى نجدتها (٩) . والظاهر أنه لم يكن لتوسلات هؤلاء القوم أثر كبير في نفس ابن تاشفين إذ وعدهم بعبور المجاز حين تسنح له الفرصة ، ولكنه لم يقم جديا بعمل الاستعدادات اللازمة لمثل هذا العبور ولعله كان ينتظر أن يفد عليه الأمراء ذاتهم وإن لم يقل ذلك جهرا .

حينذاك عزم المعتمد على الذهاب إليه بذاته .

ولقد أخذت شكوك المعتمد في نوايا يوسف الخفية في التلاشي بالتدريج ، أو على الأقل أخذت في الضعف ، ذلك أنه إذا استثنينا احتلال ابن تاشفين للجزيرة الخضراء لم نجد أنه قام بأى عمل من الأعمال التي يمكن أن تثير سخط الأمراء الأندلسيين عليه أو يؤكد مخاوفهم من ناحيته ، بل لطالما صرح قبل أن تطل قدماء أرض الأندلس أنه كان مبالغا في تصوره لثرائها وجمالها ، فلما جاءها وجدها - كما قال - دون ما أمل وأقل مما تخيل (١٠) . فكان هذا القول من جانبه باعنا للطمأنينة في نفس المعتمد الذي رأى الخطر المسيحي المحدث بوطنه وقد تفاقم وازداد شدة ، لذلك كان هذا الأمر حاملا له على أن يجمع العزم على أن يذهب بنفسه إلى يوسف ، فمضى إليه فتلقاه السلطان أشرف لقاها وأطيبه ، وقال له : « ما السبب الذي حملك على أن تقدم إلينا بنفسك ؟ وهلا كتبت بحاجتك ؟ » فقال له المعتمد : « جئتك احتسابا وجهادا وامتاعا للدين ، وقد أجرى الله الخير على يديك ، وحظك مما جئت به الأوفر ، وقد اشتد ضرر النصاري على حصن الليط وعظم أذاه بالمسلمين لتوسطه في بلادهم ، ولا جهاد أعظم منه أجرا ، ولا أثقل في الميزان وزرا » . فقال يوسف : « سأتحرك وأجوز المضيق » .

ما إن رجع المعتمد عبر المجاز مع جنده وأرسل بالجزيرة الخضراء في ربيع سنة ١٠٩٠ م حتى بادروا فاتصل المعتمد واستدعى الأمراء الأندلسيين للجهاد والانضمام إليه في محاصرة « الليط » ، فاستجاب لندائهم « تميم » صاحب مالقة ، وعبد الله ملك غرناطة ، والمعتمد أمير المرية ، وابن رشيق أمير مرسية ، وغير هؤلاء ممن هم دونهم أهمية ، وبدأ الحصار ، فصنع النجارون وبناء مرسية آلات الحرب ، إلا أنهم لم يتقدموا كثيرا ، وكانت عدة المدافعين عن حصن « الليط » ثلاثة عشر ألف رجل من بينهم ألف فارس ، استبسلا في صد الهجمات التي شنت عليهم ، كما كان الحصن شديد المنعة ، فراحت عبثا جهود المسلمين في الاستيلاء عليه عنوة ، ومن ثم اتفقوا على قطع القوت عنه (١١) .

لكن المحاصرين اسغدوا بمصالحهم الذاتية أكثر من انصرافهم الى الحصار ذاته ، فكان معسكر المسلمين مركزا للمكائد اذ أخذ الكثيرون منهم يحركون أطماع يوسف الذى لم يكن صادقا فيما زعمه من أن الأندلس لم توافق هواه ، بل الحقيقة هي أن هذا القطر وقع موقع الرضى من نفسه فطمع فى الاستيلاء عليه ، وكان مدفوعا الى ذلك بحب الفتح وبعوامل أخرى كريمة ، اذ كان قلبه عامرا بالايمان وبكل ما يعود بالنفع على الملة ، ولم يكن من العسير عليه تحقيق رغبته فى الفتح لميل الكثيرين من أهل الأندلس لاعتناق الرأى القائل باستحالة نجاة الأندلس من برائن العدو المسيحي ان لم ينضم الأندلسيون الى دولة المرابطين ، وهو رأى لم تكن الطبقات العليا فى المجتمع تميل للأخذ به ، وذلك لأن أرقى القوم ثقافة كانوا يرون أن يوسف - الذى لا يتقن العربية - لا يعدو أن يكون جلفا بربريا ، والواقع أنه كثيرا ما أقام الدليل على جهله وقلة ثقافته ، فقد حدث أن سألته المعتمد عما اذا كان قد فهم الأشعار التى امتدحه بها شعراء أشبيلية فقال له : « لا أعلم ، ولكنهم يطلبون الخبز » .

ولما عاد الى افريقية جاءت رسالته من المعتمد تضمنت بيتين من قصيدة معروفة دائمة لأبى الوليد بن زيدون (١٢) (تيبول الأندلس) وقد وجهها الى محبوبته ولادة ، وفيهما يقول :

بنتم وبننا ، فما ابتلت جوانحننا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكمو أيامنا ففدت
سودا ، وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما سمعها ابن تاشفين قال : « يطالب منا جوارى سودا وبيضا ، فقيل له : يا مولانا ، ما أراد الا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا ، لأن ليالى السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلا ، لأن ليالى الحزن ليالى سودا » ، فقال : « والله جيد » . اكتبوا له ان دموعنا تجرى عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بعده » (١٣) .

لم يكن فى الامكان التجاوز عن مثل هذه الأمور فى قطر كالأندلس عرف أهله بالكلف بالأدب وحب الشعر ، أضف الى هذا أن رجال القلم كانوا جد راضين بمكانتهم ولا يحبون أن يستبدلوا بها أبدا غيرها . كذلك كانت قصور الأمراء الصغار ندوات ثقافية وحلقات أدبية ، ونعم الأدباء بمعطف الأمراء الذين بالغوا فى حسن معاملتهم ، وانقطعت كل شكوى لدعاة الفكر الحر فاطمأنوا الى ما هم فيه ، كما استطاعوا لأول مرة - بفضل رعاية معظم الأمراء لهم - أن يجهروا قولا وكتابة بما يجول فى

أذهانهم دون أن يخافوا الحرق أو يخسوا الرجم (١٤) ، فلا عجب أن كانوا هم أشد الناس انصرافا عن الرغبة في حكم المرابطين لهم ، ذلك الحكم الذى لابد وأن يجعل السلطة فى يد رجال الدين .

لكن إذا لم يكن قد أتيح ليوسف كثير من الأنصار بين الطبقات العليا والمستنيرة فقد توفر له العدد الجم منهم بين العامة التى كانت على وجه العموم شديدة التذمر لما هى فيه وحق لها أن تتذمر ، فقد كان لكل بلده - مهما صغرت - بلاطها الخاص بها الذى يحفظ لها حقوقها وإن كلفها الكثير لدأب معظم الأمراء على الاشتطاط فى الاسراف اسرافا يقرب من الحماقة ، والذى ربما كان فى الامكان تبريره لو أنه كان مؤديا الى الطمأنينة والهدوء واستتباب الأمن ، الا أن واقع الأمور كان على غير هذه الصورة ، فقد كان الأمراء فى العادة أضعف من أن يتمكنوا من حماية رعيتهم من تعدى جيرانهم المسلمين باله المسيحيين ، وافتقد الناس الطمأنينة والراحة فلم يعودوا آمنين على أنفسهم ولا على ما يملكون ، ويجب أن نعرف بأن الحالة اذ ذاك كانت شديدة الوطأة صعبة الاحتمال ، ومن الطبيعى جدا أن تتطلع الطبقات العاملة للقضاء على هذا الوضع الذى لم يعرفوا السبيل الى الافلات منه ، وأخذت صدورهم تجيش بالثورة ، فكانوا ينصتون فى سرور الى أبيات الشاعر الغرناطى « السمسير » اذ يقول :

ناد الماسوك وقتل نهم	هاذا الذى أحدثتموا
اسلمتموا الاسلام فى	أسر العدا ، وقعدتموا
وجب القيام عليكمو	اذ بالنصارى قمتموا
لا تنكروا شق العصا	فعصا النبى شققتموا

غير أنه لما كانت الثورة لا تؤدي الا الى زيادة الموقف سوءا فقد كان من الواجب التريث والاعتصام بالصبر كما يقول الشاعر ذاته فى بيتيه السالين :

رجوناكم فما انصفتونا	وأملناكمو فخذلتونا
سنصبر والزمان له انقلاب	وانتم بالاشارة تفهمونا (١٥)

ثم آن للأمور أن تتبدل وأصبح فى القدرة القيام بالثورة على الأمراء الضعاف ، وشجع على ذلك استغلال البلاد فى الأندلس يظل حاكم عادل قوى عظيم تمكن من الظهور على المسيحيين ظهورا بينا [ذلك هو ابن تاشفين] فكان ظهوره على النصارى فوق كل ظهور ، وكان انتصاره عليهم فوق كل انتصار ، وكان العناية الالهية بعثته لرد الأندلس الى سابق مجدها ورخائها ، وأصبح الخير كل الخير يتمثل فى الخضوع لسلطانها ، وتخلص الناس فى الوقت ذاته من الضرائب الجائرة الباهظة التى كانت

تشغل كاهلهم ، فقد ألغى ابن تاشفين في بلاده كل ضريبة لم يقض بها القرآن ، واعتقد الجميع أنه لا بد صانع بالآندلس مثل هذا الصنيع أيضا .

هذا هو ما فطن له الشعب وتصوره .

وكان الشعب مصيبا في ما فطن له وتصوره من عدة وجوه . لكنه نسي أن الحكومة لا تستطيع التنازل عن الضرائب التي تقضى بها الضرورة ، وفانهم أن الآندلس - اذ تربط مصيرها ببلاد المغرب - انما تعرض نفسها الى التأثير بنتائج الثورات التي يمكن ان تشب في تلك المملكة ، وتناسوا أن احتلال المرابطين للآندلس انما هو احتلال أجنبي ، كما أنه سيطرة شعب علي شعب آخر ، ثم ان جند يوسف ينتمون الى جنس كان الأسباب ينظرون اليه على الدوام على أنه دونهم منزلة ويضعونه في مرتبة دنيا ، وليس من المستبعد أن يؤدي عدم معرفتهم النظام الى ايقاع البلد في كثير من المشكلات .

كانت ولايات الآندلس يختلف بعضها عن بعض في الميل الى هؤلاء الأجانب ، ذلك أن أهل غرناطة من العرب والآندلسيين كانوا يجمعون على مداومة لعن ظالمهم البربر ، كما كثر الناقمون عليهم في بلاد المعتمد (١٦) ، أما المرية فقد خلت من الكارهين لهم ، اذ توفر لها أمير محبوب قريب كل القرب من النفوس ، هذا الى جانب تقواه وعدله ورأفته ، فكان يعامل شعبه معاملة تنطوي على الحنان الأبوى . وجماع القول انه كان المثل الكامل لكثير من الفضائل المستحبة .

ومع ذلك فقد كان ليوسف في كل مكان أنصاره من العلماء والفقهاء والفضاة ورجال الدين وأهل الشرع الذين هم أخلص الناس له وأشدهم تأييدا لدعواه ، وأصدقهم وقفة الى جانبه ، اذ لم تكن خسارتهم تعدل أليه خسارة لو تسنى النصر للمسيحيين .

ثم انه - من ناحية أخرى - لم تكن لهم مكانة عند أولئك الأمراء الذين شغلوا أنفسهم بالدراسات البعيدة عن الدين ، والذين انغمسوا في شهوانهم فلم يكونوا يلقون السمع الى عظات الواعظين ، بل راحوا يمدون عطفهم ويبسطون حمايتهم جهرا على المشتغلين بالفلسفة . فأما يوسف فكان على التقيض من ذلك ، اذ كان مثالا للعبادة ثم انه لا يقضى أمرا من أمور الدولة دون أن يباحث فيه رجال الدين وينزل على مشورتهم ، فلا جرم ان هم عطفوا عليه غاية العطف ، وأحبوه غاية الحب ، وقد عرف هؤلاء الرجال - أو لعلهم تنبؤوا - أن ابن تاشفين راغب كل الرغبة في خلع الأمراء الآندلسيين من أجل صالحه هو ذاته ، ومنذئذ لم يعدوا يفكرون الا في تشجيع مطامعه والتأكيد له بمطابقتها للدين .

كان من أشد المتحمسين لهذه الفكرة قاضى الجماعة بغرناطة « أبو جعفر القلجى » العربى الأصل الذى كان شديد الكراهية للبربر المحتلين لبلده ، والواقع أنه لم ينجح فى كتم مشاعره نحوهم ، ولم يخف على باديس أن انقراض دولته سيكون على يدى هذا الرجل ، ولطالما دبر قتله « لكن حماه الله بالعلم ، وغل يد باديس عنه ، وأغمد سيفه ليقضى الله أمرا كان مفعولا » كما يقول أحد المؤرخين العرب .

لقد ساهم هذا القاضى مع الجند الذين حاصروا « الليط » ، وتعددت مقابلاته السرية مع يوسف الذى عرفه قبل هذه المرة ، اذ كان أحد السفراء الذين وكلت اليهم - منذ أربع سنوات - مهمة استنهاض همة هذا الم رابط لنجدة أهل الأندلس ، وبقي غرض هذه المقابلات سرا اذ كان ضمير يوسف يأبى عليه أن يحث فى يمين قطعها على نفسه ، ولكن القاضى كان يبذل جهده للتغلب على تلك الوسواس (١٧) ، فذكر له ان الفقهاء الأندلسيين قادرون على ان يحلوه من يمينه ، وأنه من اليسير عليه أن يستصدر منهم فتوى يعددون فيها الخطايا والكبائر التى ارتكبتها الأمراء ، ثم يخلصون من ذلك كله الى أن هؤلاء الملوك قد فقدوا كل حق لهم فى العروش التى يجلسون عليها .

كان الناس يعرفون فى هذا القاضى عالما تقيا ، كما تركت حجبها أثرا بارزا فى نفس يوسف بن تاشفين . أضف الى ذلك أن دسائس « المعتصم » ملك المرية عنده ضد « المعتمد » - الذى هو أقوى أمراء الأندلس - أدت الى شدة كراهيته لابن عباد .

أشرنا آنفا الى أن « المعتصم » [محمد بن محمد بن محمد بن صمادح] كان أميرا عظيما ، لكن على الرغم من فطنته وما أثر عنه من طيب المنشر الا أنه كان شديد المودة على « المعتمد » ولعل غيرته الدنيئة وحدها هى التى كانت تحمله على كراهيته اياه كراهية هيمنت على نفسه . وعلى الرغم مما تدل عليه الظواهر من الوفاق بين « المعتصم » وبين ملك أشبيلية الا أن « ابن صمادح » عكف على افساد ما بين المعتمد وابن تاشفين الذى قربته اليه وسائله الدنيئة فى اغتيال غيره ، رغم ان المعتمد لم يساوره السك فيه أبدا . وحدث فى ذات يوم أن أظهر له ملك « المرية » خوفه من طول اقامة يوسف فى الأندلس فأجابه المعتمد فى لهجة تنطوى على الزرابة بأهل الجنوب وقال : « لو عوجت له باصبعى ما أقام بهما ليلة واحدة هو ولا أصحابه ، وكأنك تخاف غائلته ؟ ، وأى شيء هذا المسكين وأصحابه ؟ انما هم قوم كانوا فى بلادهم فى جهد من العيش ، وغلاء من السعر ، جئنا بهم الى هذه البلاد نطعمهم حسبة واثتجارا ، فاذا سبغوا أخرجناهم الى بلادهم » .

كانت هذه الأقوال وأمتالها سلاحا بتارا في يد « المنعصم » الذي أنهارها الى يوسف بن تاشفين فاستبد به الغضب ، ومن ثم أصبح المشروع الغامض تصميميا لا رجعة فيه ، وهكذا نجح المنعصم فيما حاوله ، ولكنه لم يقدر ما قد يترب على هذا النجاح من العواقب الوخيمة ، ولم « يدر أنه ساقط في البئر التي حفر ، وقتل بالسلاح الذي شهر » (١٨) .

كان عدم التبصر أمرا شائعا بين جميع الأمراء الأندلسيين ، فقد جرحوا أنفسهم كلهم عند يوسف الذي جعلوا منه فيصلا يقضى بما يراه في المنازعات الساجرة فيما بينهم ، وبينما كان ملك « المارية » يسعى في تغيير قلب ابن تاشفين على ملك أسبيلية كان المعتمد نفسه يعمل على اسقاط « ابن رشيق » أمير مرسية ، ولكن يدرك مآربه فانه لم يكن يكف عن الايعاز الى يوسف بأن ابن رشيق حليف ألفونس وأنه أدى خدمات جليلة لنصارى « الليط » ، وأراد المعتمد أن يبين له حقه في امتلاك مرسية فأوضح له وجوب تسليمه الخائن الذي سلب منه هذه المدينة ، فعهد يوسف الى الفقهاء في التثبت من هذا الأمر وبيان الحقيقة ، فذهبوا الى تأييد المعتمد فما قال عن ابن رشيق ، واذ ذاك ألقى يوسف القبض عليه وأسلمه الى ماك أسبيلية على ألا يقتله ، وقد أدى هذا القبض الى عواقب وخيمة فقد غضب أهل « مرسية » وغادروا المعسكر ورفضوا منذ ذلك الحين أن يمدوا الجيش بما يحتاجه من العمال والمثونة . مما أدى الى وقوع المحاصرين في أشد الضيق اذ لم يعودوا يجدون ما يطلبونه ، وبينما هم في انتظار الشتاء اذا بهم يسمعون بوصول « ألفونس » على رأس جيش مؤلف من ثمانية عشر ألف مقاتل لنجدة المكان ، فرأى يوسف في بادئ الأمر أن يترصده في جبال « تيريزا » غربى « توناتو » ثم يلتحم به في القتال ، الا أنه سرعان ما رجع عن هذه الخطة وارتد الى « لورقة » مخافة أن يركن الأندلسيون الى الفرار مثلما فعلوا من قبل في وقعة « زلاقة » . ثم انه كان يعتقد أن « الليط » لم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها مما لابد وأن يحمل القشتاليين على الجلاء عنها وإخلائها ، وقد برهنت الأحداث على صدق هذا الرأي ، اذ لم يكد « ألفونس » يرى أن تحصينات الحصن تكاد تكون مهدمة وأن الدفاع عنه موكول الى حامية قوامها مائة رجل حتى أضرم النار فيه وحمل المحصورين بها الى قشتالة (١٩) .

وحققت الحملة هدف القوم وان كان تحقيقا منقوصا غير كامل تعوزه الروعة ، فقد أقام يوسف على حصار « الليط » أربعة أشهر دون أن يتمكن من الاستيلاء عليه ، كما أن ارتداده عنه — حين سماعه باقتراب ألفونس — كان أشبه ما يكون بالفرار ، ومع ذلك فلم ير الفقهاء في ما حدث ما يقلل من العطف عليه والتعلق به ، وقالوا ان عدم توفيق الأمير المربط في الحصول هذه المرة على نتائج طيبة مثل التي حصل عليها منذ أربع سنوات

إنما يرجع الى موقف الأمراء الأندلسيين الذين كانت مكائدهم وغيرتهم من بعضهم وشقاقهم الدائم فيما بينهم حجر عثرة في سبيل الحاكم العظيم ومنعه من كل ما قد يستطيع عمله لتحقيق مهمته على الوجه الأكمل لو أنه انفرد وحده بالأمر من دونهم ، ومجمل القول ان الفقهاء كانوا أشد حماسة من كل وقت سبق ، وكان لابد لهم أن يكونوا كذلك لأن الأمراء أخذوا في مضايقتهم منذ أن وقفوا على خبر مكائدهم ، وقد دلهم على ذلك أبو جعفر القليعي « قاضي الجماعة بغرناطة » .

كثر اتصال القاضي أبو جعفر بابن تاشفين حين كان في معسكر مولاه المنصوب على كتب من فسطاط يوسف ، وكاشفه « القليعي » بغلبة الأمور ، غير أن خوف عبد الله [بن باديس] من مجيء يوسف أقعده عن اتخاذ التدابير الحازمة ضد المتآمر ، لكنه ما كاد يتكفى الى غرناطة حتى استقدم اليه أبا جعفر وأنبه على خيائنه ، وعيره بتآمره عليه ، واشتد غضبه حتى انه أمر حرسه بقتله ، الا أن حسن طالع أبي جعفر القليعي دفع أم عبد الله [بن باديس] للانكباب على قدمي ولدها واستحلافه للابقاء على حياة هذا الرجل التقى ، وكان عبد الله شديد الطاعة لأمه فرجع عما قضاه ، واكتفى بسجن القاضي في إحدى غرف القصر .

وقد أدرك القاضي أنه في هذه الحجرة محاط بأشخاص شديدي الايمان بالخرافات ، ومن ثم دأب على الصلاة وتلاوة القرآن حتى رددت أرجاء القصر كلها رجع صدى صوته الجهوري ، وأصغى الجعيح الى ابتهالانه الدينية فالتزموا الصمت حتى لا يصدر منهم ما يزعجه ، كما أنهم في الوقت ذاته لم يكفوا عن أخبار الأمير أن نعمة الله سوف تحل به سريعا ان لم يجعل باطلاق سراح هذا الرجل الذي يعد مثلا حيا للثقوى والعبادة ، وكانت أم عبد الله أكثر من غيرها حماسة له واستطاعت بتوسلاتها لابنها وتخويفها إياه أن تنجح في حمله على اطلاق سراح أسيره .

لزم القاضي الهدوء في غرناطة بعد أن تلقى هذا الدرس القاسي ، ولكنه اغتنم فرصة الظلام في إحدى الليالي وخرج تحت جنح الظلام قاصدا « القلعة » Alcala ثم سار منها الى قرطبة حيث لا يخفى أحدا ما بها ، ولكنه كان يتحرق للثأر ، لذلك كتب الى يوسف ابن تاشفين كتابا يصور له فيه ما لقيه على يد عبد الله [بن باديس] من المعاملة السيئة ، وألح عليه ألا يتهاون أكثر من ذلك في تنفيذ المشروع الذي طالما تباحثا فيه معا (٢٠) ، كما بعث الى غيره من القضاة والفقهاء الأندلسيين يسألهم اصدار فتوى ضد الأمراء عامة وضد حفيدي باديس خاصة .

لم يتوان القضاة والفقهاء عن الفتوى بأن أميرى غرناطة ومالقة قد فقدوا كل ما قد يكون لهما من الحقوق بما ارتكبا من الكبائر ، لا سيما

للاسلوب الحسن الذى عبد اليه اكبرهما فى معاملته القاسية ، ولكنهم لم يجرؤوا على الافتاء بأن بقية الأمراء قد فقدوا حقوقهم هم أيضا ، ومن ثم اکتفوا بأن رفعوا ملتصقا الى يوسف تاشفين أفهموه فيه أن واجبه يقتضيه دعوة جميع مآراء الأندلس للرجوع الى الشرع ، وألا يجمعوا من الضرائب الا ما يقضى به القرآن (٢١) .

قام ابن تاشفين - بناء على هاتين الفتوتين - - فأوصى الأمراء بوضع الضرائب ومنع السخرة ورفع جميع ما فرضوه على رعایاهم (٢٢) ، ثم زحف على غرناطة على رأس فريق من جيشه بعد أن أمر ثلاث كتائب أخرى باللحاق به هناك ، ومع ذلك فإنه لم يعلن الحرب على عبد الله الذى لم يعرف مقاصد يوسف يقينا بل رجما وظنا ، ولكن استبد به الخوف اذ لم يكن على شاكلة جده باديس الذى كان نشيطا رغم جهله .

وكان عبد الله على جانب من الالمام بالآداب ، قادرا على أن يترجم بالعربية عما يريد ، حتى انه كان يقرض الشعر .

وكان الى جانب ذلك حسن الخط ، وقد بقيت نسخة من خط يده محفوظة بغرناطة زمنا طويلا ، لكنه كان فى الوقت ذاته رعيديا مترفا متهاونا عاجزا عن تصريف أموره ، وكان من أولئك الرجال الذين لا تحبهم النساء أبدا ، اذ يضطرب لرأى السيف ، ولا يعرف العزم ولا الحزم ، بل يهرع الى استشارة كل من حوله كلما حزبه أمر من الأمور .

لذلك جمع عبد الله [بن باديس] مجلس مشورته وبدأ فطلب الوقوف على رأى « المؤمل » العجوز الذى أدى كثيرا من الخدمات الجليلة لجده ، وحاول المؤمل « من جهته أن يشبته ويدخل الطمأنينة الى نفسه ، فنفى ما يقال عن مرامى يوسف العدوانية ، وأشار عليه أن يبرهن هو من جانبه لابن تاشفين على ثقته به واطمئنانه اليه وذلك بالنهوض الى لقائه ، لكن « المؤمل » رأى عزوف عبد الله عن الأخذ بهذا رأى ، ومن ثم اضطر لأن يبرهن له على أنه من المستحيل عليه مقاومة المرابطين .

والحق أنه لم يعد جادة الصواب فيما قال نظرا لقلة عدد جند عبد الله ، الى جانب ارتيابه فى أحسن قواده - وهو « مقاتل البربرى الأحمر » المعروف بالـ El-Royo حتى أدى به الى اقصائه عما بيده (٢٣) .

وقد أيد جميع شبوخ المجلس رأى « المؤمل » غير أن عبد الله كان يشك فى ولائه له ، ويرى أنه ليس دون أبى جعفر القاضى خيانة له ، وأخذ يلومه على أنه تركه وفر هو بنفسه لينجو ، والواقع أن مخاوفه كانت تقوم على أساس من الصحة . ونحن وان كنا لا ندرك شيئا عما اذا كان اهتمامه بمصالح يوسف صادرا عن صدق أم كان رياء الا ان الثامت المؤكد

هو أن هذا الحاكم الذى اكتسب عطف الأمة واستمالها اليه بفضل مواهبه انما كان يعتمد على مساعدته له .

لم ير عبد الله فيما أشار به عليه « المؤمل » الا شركا ينصب لاصطياده ، ولما كان واثقا من سوء القصد وراء مشاريع ابن تاشفين وتأكد عنده ما فى صدره من النوايا الضارة به فقد جاهر بعزمه على مقابلة القوة بالقوة ، ثم انفجر فى « المؤمل » ورفاقه سبا وتهديدا ، فدل بعمله هذا على قلة تبصره اذ لابد أن تؤدى هذه الحركة من جانبه الى نفور القوم منه وانصرافهم عن تأييده والتعصب ليوסף . وهذا هو الذى وقع فعلا ، فقد غادروا غرناطة ليلا ويمموا شطر مدينة « اللج » التى ما كادوا يبلغونها حتى أعلنوا ولاءهم للملك المرابطين .

غير أن القوات التى بعثها عبد الله ضدهم أرغمتهم على الرجوع الى غرناطة فطيف بهم فى شوارعها كما يطاف بالمجرمين الأوغاد ، الا أنهم استردوا حريتهم بفضل تدخل يوسف ، فقد أرغم هذا الحاكم الافريقى أمير غرناطة على اطلاق سراحهم ، ولم يجزؤ عبد الله على عصيانه ، لأنه كان لا يزال يتوجس خيفة من مقاصد يوسف نحوه ، وبينما كان يحاول تجنب العداء الساقر معه الا أنه كان مثابرا على الاستعداد للحرب ، فأخذ ينفذ الرسل واحدا تلو الآخر الى الفونس يلتمس منه المجيء لمعاونته ، وراح يصدق الأموال على الجميع ، واستطاع أن يجند جمعا كبيرا من التجار والحكاكة والعمال وشتى صنوف الناس ، لكن ذلك كله لم ينفعه قيد أنملة ، ولم يستجيب الفونس لدعوته ، وكره الغرناطيون ولايته ، وأخذوا يترقبون وصول المرابطين بفارغ الصبر ، كما كان يخرج فريق منهم كل يوم قاصدين الانضمام الى جند يوسف .

شعر عبد الله باستحالة المقاومة فى مثل هذه الظروف ، فلما كان يوم الأحد العاشر من نوفمبر سنة ١٠٩٠ م [= ٤٨٣ هـ] جاء يوسف حتى صبار على مسيرة مرحلتين من غرناطة فجمع عبد الله من جديد مجلس مشورته يسألهم أن يرشدوه الى ما يفعل ، فصارحوه بوجوب التخلي عن فكرة المقاومة ، كما أن أم عبد الله ذاتها - وكانت تشير عليه كثيرا ويؤكدون أنها كانت تبني آمالا ولكنها واهية على أن يتزوجها يوسف - قالت لولدها: « امض فسلم على ابن عمك وترضه » (٢٤) ، فاستصحبها معه وخرجا فى موكب فخم ، وسار الصقالبة أمامه يفسحون له الطريق « وولدان الروم حول ركابه ، وهؤلاء الجند جميعا بعمائم الشرب ويركبون أحسن الخيل الفارهة المزينة بالحلى » .

حين وصل عبد الله الى حضرة يوسف ترجل ملتصقا منه أن يتناسى ما قد يكون فى نفسه من الغضب عليه ، فهش له يوسف وبش ، وأكد

له أنه نسي ما قد يكون فى صدره من النعمة عليه ، وسأله أن يذهب الى فسطاط دله عليه حيث يلقي كل ما يليق به من الاجلال ، فنزل عبد الله على أمره ، لكنه ما كاد يطأ الأرض حتى كبلوه بالسلاسل .

لم يلبث زعماء غرناطة أن وفدوا على معسكر ابن تاشفين الذى تلقاهم أجمل لقاء ، وأكد لهم ألا يخافوا شيئا قط من جهته ، وأنه ليس عليهم الا قبول الأسيرة التى سوف تحل محل أسيرة عبد الله ولم يكذب يأخذ عليهم الايمان بالطاعة له حتى أذاع مرسوما أسقط به جميع الضرائب التى لم ينص عليها القرآن ، ثم دخل المدينة وسط هتافات الناس ، ونزل القصر ليأخذ ما به من الأموال التى جمعها « باديس » أكاداسا ، فكانت مبالغ ضخمة يحار الطرف فيها ولا يحصوها العد ، كما ازدادت الحجرات بالحصر والطنافس والستائر النفيسة الغالية ، وأينما قلب المرء ناظريه بهره مرأى الزمرد والياقوت والماس واللؤلؤ والأوانى الخزفية والفضية والذهبية ، وأخص ما عثروا عليه مسبحة من أربعائة لؤلؤة ، زنة كل واحدة منها مائة منقال ، فنهل الم رابط من كل هذه الكنوز الضخمة ، وكان قبل دخوله غرناطة أعلن أن كل ما بها ملك له ، غير أن ما طبعت عليه نفسه من الترفع غطى على طمعه ، فأظهر غاية الود ومنتهى الكرم فقسم كل ما وقع فى يده بين جنده ، غير مستبق من كل ذلك شيئا لنفسه . ومع ذلك فقد كان القوم يعرفون أن ما عرض على الأنظار لم يكن كل شيء ، وعرفوا أن أم عبد الله تخفى أشياء نفيسة ، فعمدوا الى الشدة فى حملها كى تدلهم على النواحي التى خبأتها فيها ، فدلتهم الا أنهم كانوا لا يزالون يشكون فى صدق اعترافاتها ومن ثم أصدر يوسف أمره الى « المؤمل » الذى عينه حارسا على القصر وعلى أموال عبد الله أن يحفر الأساس ومجارى البناء (٢٥) .

ربما كان للأمراء الأندلسيين عذرهم اذا ما تقطعت أسباب الصلة بينهم وبين يوسف بعد أن رأوا ما أنزله بعبد الله ، الا أنهم لم يفعلوا شيئا ، بل لقد خف المعتمد والمتوكل الى غرناطة لتهنئة ابن تاشفين ، كما بعث اليه المعتصم ولده عبيد الله بدلا منه .

فواعجبا ٠٠٠ !!

أبلغت الغفلة بالمعتمد حدا طمع معه أن يتنازل يوسف عن غرناطة لولده « الراضى » عوضا عن الجزيرة الخضراء التى سلبها منه ؟

ان كان الأمر على هذا النسق فما أضعف معرفته بالأمير الأفريقى وتنبيهه لمعاريض كلامه ! فقد حسبته قادرا على التنازل عن مملكة غرناطة ، لكن سرعان ما أيقظ ابن تاشفين الأمراء من غفلتهم وأوضح لهم ما صعب

عليهم فهمه فقاتهم ادراكه اذ تلقاهم بفتور ، ولم يجب بشيء ما عن تلميح المعتمد الى غرناطة ، كما أنه عمد الى « عبيد الله بن المعتصم » فزج به فى السجن ، وكان لابد لمنزل هذا المسلك من ازالة القساوة عن عيون الأمراء ، وأحس المعتمد بالخطر الشديد فقال للمتوكل : « والله لابد له أن يسقينا من الكأس التى سقى بها عبد الله بن بلقين » . ولم يلبث الأميران أن استأذناه فى الرحيل ، متذرعين بأنه قد تناهى اليهما أن القشتاليين عاودوا الكرة من جديد على بلادهما ، فلما أذن لهما بالرحيل انكفأ على عجل الى مملكتيهما حيث أشارا على غيرهما من الأمراء من حكام أسبانيا بالنهوض جميعا واتخاذ ما يتحتم عليهم اتخاذه لمقاومة الأمير المرابطى الذى لم تعد نواياه بخافية على أحد ما ، أو سرا مكتوما ، وقد نجحت هذه الخطة اذ اتفق الأمراء فيما بينهم على ألا يمددوا المرابطين بالجند ولا المثونة ، وتعاهدوا فيما بينهم على التحالف مع ألفونس (٢٦) .

وعاد يوسف الى الجزيرة الخضراء بقصد الابحار ، وترك لقواده مهمة شاقة غير هينة ، تلك هى اسقاط الأمراء الأندلسيين عن عروشهم ، واستولى أثناء زحفه على كورة مالقة الصغيرة التى انتزعها من يد تميم أخى عبد الله ، وكان تميم أميرا ضعيفا لا يخشى شره ، ثم نبه يوسف على الفقهاء - وقد دنت الساعة الفاصلة - أنه ينتظر منهم فتوى صريحة ، فبادروا الى اجابته الى ما رغب ، ومن ثم أعلنوا أن الأمراء الأندلسيين « فسقة ، ودعار كفر » ، وانهم بهذا النهج قد أفسدوا الأمة « وجعلوها لا تعباً بكل ما هو مقدس » ، يشهد على صحة ذلك قلة المترددين على المساجد للصلاة ، أضف الى هذا أن الأمراء فرضوا ضرائب غير مشروعة ولا زالوا متمسكين بجبايتها رغم أن ابن تاشفين أمر برفعها وإزالتها ، وأنهم قد ارتكبوا الكبيرة التى ليس بعدها كبيرة حين حالفوا ملك قشتالة : الذى هو ألد أعداء المسلمين ، مما ترتب على ذلك كله سقوط شرعية استمرارهم فى حكم المسلمين ، وأعلن الفقهاء أيضا أن يوسف بن تاشفين أصبح فى حل من جميع أيمانه وعهوده والتزاماته نحو هؤلاء الحكام ، ولم يعد خلعه عن عروشهم من حقه فحسب بل صار واجبا عليه ، وختموا فتواهم بما يلى :

« ان هم الا قوم لا تحل طاعتهم ، ولا تجوز امامتهم ، لأنهم فساق فجرة ، فاخلعهم عنا ، فان كانوا عاهدوك فهاهم قد ناهضوك ، وأرسلوا الى اذ فونش أن يكونوا معه عليك حتى يوقعوك بين يديه ، ويعود أمرهم اليه ، فبادر بخلعهم ، ونحن بين يدي الله المحاسبون ، فان أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون ، فانك ان تركتهم - وأنت قادر عليهم - أعادوا بلاد الاسلام الى الروم ، وكنت - انت المحاسب بين يدي الله تعالى » .

هذه هي روح تلك الفتوى الخالدة التي تضمنت - الى جانب هذا - عددا كبيرا من الاتهامات ضد جماعة معينة من الأمراء ، ولم يستثنوا من ذلك الرميكية فاتهموها بأنها أغرقت زوجها في بحار من اللذة لا انتهاء لها ، وأنها هي السبب الرئيسي في انصراف الناس عن التعبد ونهج الطريق القويم .

واهتم يوسف غاية الاهتمام بهذه الفتوى ، وأراد توكيد أهميتها فعمد الى التصديق عليها من فقهاء الأندلسيين ، كما بعث بها الى أشهر علماء مصر وآسيا ليؤكدوا رأى علماء المغرب .

الفصل الرابع عشر

اليهود والنصارى زمن المرابطين

صعوبة موقف المعتمد بعد مقتل ولده الفتح واستيلاء ابن تاشفين على قرطبة وتهديده لأشبيلية . قسوات الفونس السادس التي أرسلها نجدة للمعتمد . دخول المرابطين لأشبيلية باتفاق مع الكارهين للمعتمد . تصدى المعتمد لوحشية الغزاة ومصرع ولده مالك أمام عينيه . الفاتح يابى يابى الا أن يستسلم المعتمد من غير قيد ولا شرط ، ويطالبه أن يسلمه ولديه الراضى والمعتد ثم قتله الراضى . استسلام المرية وبقية مدن الأندلس باستثناء سرقسطة . والسهلة . صرف النصارى من جيش سرقسطة ودخول المرابطين . على بن يوسف يخلف أباه يوسف ابن تاشفين . الفقهاء فى عهده . الغزالي . دوافع المطالبة باسلام اليهود . تأقلم المرابطين للحياة الأندلسية . ظهور الموحدين . زحف الفونس ملك أراجون على الأندلس . استيلاء الفونس السابع على بعض الأماكن الإسلامية . فساد أمور الأندلس وكراهية الناس لحكم المرابطين . تكاتف الأهالى مع الفونس السابع .

اليهود والنصارى زمن المرابطين

من اليسير على المرء أن يرجع بطبيعة الحرب التي كانت على وشك الشبوب ، فهي حرب ترمى الى المحاصرة ولا تعتمد الى الاشتباك في المعارك ، وقد استعد لها الفريقان فأخذ أحدهما في الهجوم على الأماكن الحصينة وقام الآخر بصدده عنها ، أما جيش المرابطين الذي كان بقيادة « سيرين ابن أبي بكر » - أحد أقارب يوسف فقد انقسم الى عدة أقسام مضى أحدها لمحاصرة « المرية » ، بينما حملت بقية الأقسام على حصون « المعتمد » التي استسلم منها في شهر ديسمبر سنة ١٠٩٠ م [= ٤٨٣ هـ] حصن طريف (١) ، ثم شرع بعد فترة وجيزة عسكر يوسف - الذين واتاهم النصر سريعا - في محاصرة قرطبة وكان يحكمها « الفتح بن المعتمد » الملقب بالمامون ، ولم تقو عاصمة الخلافة القديمة على الاستمرار طويلا في المقاومة ، إذ سرعان ما أسلمها سكانها الى المرابطين ، وحاول الفتح ذا ذاك أن يشق له طريقا بحد السيف بين جموع العدو والخونة ، لكنه غلب على أمره لكثرة هؤلاء فتكالبوا عليه وحزوا رأسه ووضعوها على سنان حربية وساروا بها يوم (٢) [السادس والعشرين من مارس ١٠٩٠ م] [= ٤٨٣ هـ] وقد ازدهاهم النصر ، ثم سقطت (٣) « قرمونة » يوم العاشر من مايو سنة ١٠٩١ م [= ٤٨٤ هـ] وحينئذ أصبح في الاستطاعة الشروع في محاصرة مدينة أشبيلية التي وجدت نفسها وقد زحف عابها جيشان في آن واحد أحدهما من النرق والآخر من الغرب ، وكان نهر الوادي الكبير يفصل الجيش الثاني عن المدينة التي كانت منيعة من هذا الجانب على من يرومها بفضل وجود الأسطول .

أصبح موقف المعتمد إذ ذاك شديد الخطورة لكن بقي له أمل واحد ذلك هو اعتماده على مساعدة ألفونس السادس له ، فقد قطع المعتمد له على نفسه أشهى الوعود ان هو خف لنجدته ، واستعد ألفونس لمعاونته وبر بكلمته له ، فأرسل « ألفار فاينز » الى الأندلس على رأس جيش كبير ، غير أن سوء طالع المعتمد شاء أن يلقي « الفارو » الهزيمة على كتب من « المدور » على يد القوات التي أرسلها « سير » لصدده ، فوقع هذا النبا على ملك أشبيلية وقوع الصاعقة ، الا أن اليأس لم يداخله أيضا هذه المرة ، فقد أعانته نبوءات عرافيه وتكهاناتهم وأمدته بالقوة ، وكانوا إذا بشروه استبشروا وطن أنه ناج ، ولست أدري بأي معجزة تكون نجاته .

ولما أشاروا الى الحاتمة وقالوا ان هناك أسدا يقبض على فريسته قد انحل
باسد فعهد بالدفاع الى ولده الرشيد (٤) .

الا ان الكارهين له الناقمين عليه الراغبين فى تسليم المدينة للعدو
تباحثوا فى هذه المسألة وتآمروا عليه فيما بينهم ، وأظهروا التمرد
والعصيان ، فعرفهم المعتمد وكان فى استطاعته الفتك بهم كما أشار عليه
بذلك الكثيرون ، الا أنه كره أن يختم عهده بعمل ينطوى على الفظاظة
واكتفى بمراقبتهم ، لكن تبين له أن مراقبته اياهم لم تؤد الى الحد من
نشاطهم ، اذا لم يعدموا الوسيلة التى مكنتهم من الاتصال بالقائمين
بالحصار فساعدوهم فى نقب السور ، واستطاعت جماعة من المرابطين
دخول المدينة من هذه الثغرة يوم الثلاثاء الثانى من ديسمبر [١٠٩١ م
قلم يكده هذا الخبر يتناهى الى سماع « المعتمد » حتى
استل سيفه وبادر الى امتطاء جواده دون أن يلبس درعه أو يحمل مجنه ،
وكر على البادئين بالبعي وهو فى نفر من المخلصين له ، فرماه فارس
مرابطى بسهم مرق من تحت ابطه ومس قميصه ، واذا ذاك أخذ سيفه
بكلما يديه وضرب الفارس ضربة قطته نصفين ، ودفع بقية الأعداء الذين
اضطروا الى التماس النجاة فى التجهيل بالهرب ، وسرعان ما سدت الثغرة
فى الحال ، لكن اذا كان الخطر قد بعد مؤقتا فانه لم يلبث أن عاد من
جديد حين نجح المرابطون - بعد الظهر - فى حرق الأسطول مما أوقع
الذعر فى قلوب المحصورين ، وكان ذعرهم بليغا اذ أدركوا استحالة
الاستقرار فى المدينة بعد تدمير السفن ، ولم يعودوا يجهلون أنه لم يمنع
عدوهم من الهجوم عليهم الا انتظاره لمقدم « سير » على رأس امداداته ،
كذلك دب الجزع بين السكان الذين لم يعد لهم شاغل سوى العمل على
ما فيه انقاذ حياتهم ، فوثب البعض منهم فى النهر محاولين عبوره سباحة ،
وقذف غيرهم بأنفسهم من فوق الأسوار حتى لقد دخل بعضهم الميازيب .

وجاء « سير » فى هذه الأثناء وشرع فى الهجوم يوم الأحد ٧ سبتمبر
[١٠٩١ م] وقد استبسل الجند القائمون بحراسة المتاريس أعظم
استبسال ، غير أن العدو تكاثف عليهم ، وتمكن المرابطون من دخول
المدينة وأخذوا فى نهبها واقتراف شتى ضروب الجور والموبقات بها ،
وبلغت شراحتهم حدا عظيما حتى لقد جردوا الأشبيليين من آخر ما عليهم
من الثياب ، ولم يتركوا لهم سبدا ولا ليدا .

كان المعتمد لا يزال فى القصر وقد أخذت نسوته فى العويل
والصياح ، وتوسل اليه أصحابه أن يستسلم لكنه لم يكن يميل أبدا
الى الاستسلام ، لأن بدنه كان يقشعر كلما فكر فيما يلقاه من التجريس
والتشهير ان هو استسلم ، فهو لا يهرب الموت الذى طالما تحداه .

واستولت عليه هذه الفكرة فى هذه اللحظة فترجم عنها فى شعر له
يقول فيه :

لما تماسكت الدموع	وتنهه القلب الصديع
قالوا : الخضوع سياسة	فليبد منك لهم خضوع
والذ من طعم الخضوع	على فمى السسم النقيع
ان تستلب عنى الدنيا	ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم	الا تحصننى السدوع
وبرزت ليس سوى القميص	عن الحشا ، شىء دفوع
وبذلت نفسى كى تسيل	اذا يسيل بها النجيس
أجلى تأخر ، لم تكن	بهواى ذلى والخشوع

عاد المعتمد مرة أخرى يتحدى الموت الذى ظهر كالما كان يتجنبه ،
فجمع عسكره ثم كر كرة اليأس المستميت على احدى كئائب المرابطين
التي اقتحمت القصر ، وأخذ فى مطاردتها حتى كبها فى النهر ، ولقى
فى هذه الوقعة ابنه « مالك » مصرعه ، أما هو فلم يصبه شىء بل انه
لم يجرح ، ولما عاد الى قصره مر بخاطره أن يقتل نفسه ، لكنه كره أن
يفضب الله بهذا الاثم المنكر فرجع عما بدى له ، ثم جمع عزمه فى النهاية
على الاستسلام .

حين لف الظلام الكون بسرياله بعث المعتمد بابنه الرشيد الى
« سير » ليتفقا على الشروط فراح أمله هباء منثورا ، اذ لم يفلح الرشيد
فى ما ارتجاه من التحدث اليه ، بل أنباء القوم أن الواجب يقتضى أباه
التسليم بلا قيد أو شرط .

لم يعد أمام المعتمد من سبيل غير ما فرض عليه ، ومن ثم عزم على
نهج ما لا بد له من نهجه ، فودع عائلته ورفاقه فى السلاح الذين اشتد
عويلهم عليهم وبكاؤهم من أجله ، وأسلم هو وولده الرشيد نفسيهما
للمرابطين الذين أخذوا فى نهب القصر كما نهبوا المدينة من قبل ، وأفضوا
الى « المعتمد » أن دمه ودماء أسرته رهونة بأن يبعث الى ولديه « الراضى
بالله » القائم بحراسة حصن « رندة » والمعتمد بالله « القائم بحراسة
حصن « مرتلة » يأمرهما بالمبادرة الى الاستسلام لقوات المرابطين التى
تحاصرهما ، فأذعن المعتمد لما أمله عليه ، ولما كان يعرف أن ولديه على
غرازه : أنفة وحمية ، فقد أقسم عليهما بوجوب النزول على مشيئته ،
وأفهمهما أنهما بذلك يشتريان حياة أمهما وأخواتهما . وضمت
الأميكية توسلاتها اليه وخشيت أن يرفض ولداها الاستسلام وكانت
محقة فى ذلك لأن الراضى - على الخصوص - كان كارها أشد الكره

للتسليم رغم معرفته بمصير عائلته المحتوم من جراء اصراره على المقاومة التي أراد الاستمسك بها لأنه كان لا يزال قادرا على الامتناع « برندة » التي عهد الى القائد « جرور » بمحاصرتها فظل على بعد منها دون أن يجرؤ على الدنو من هذا المعقل الأشب القائم على قنة جبل شامخ شديد الانحدار ، كما أنه لم يكن يأمل أبدا أن يتغلب عليها بالسلاح .

الا أن عاطفة البنية تغلبت في النهاية على قلب « الراضى » فقبل النزول من الحصن واتفق اتفاقا مشرقا له ، ثم فتح أبواب معقله للمرابطين ، غير أن « جرورا » لم يكن يقيم وزنا للعهد الذي قطعه على نفسه ، فقد اغتال « الراضى » بالله عقابا له على احجائه الطويل ورفضه الاستسلام . أما المعتد بالله الذي بادر الى الاذعان فقد كان مصيره دون مصير أخيه سواء وان تكن شروط استنزاله من حصنه قد تجوهرت تماما فاستأصل الفاتح جميع أمواله وكل ما يملكه (٥) .

عجل سقوط أشبيلية باستسلام « المري » ، فقد أشار المعتصم وهو على فراش الموت على ولده البكر « عز الدولة » بالذهاب الى بلاط أصحاب « بوجة » التماسا للنجاة حالما يصله خبر استسلام أشبيلية التي لم تكن تستسلم حتى استجاب « عز الدولة » لرغبة أبيه الأخيرة ، ومن ثم دخل المرابطون « المري » تخفق فوقهم الأعلام ، وتدفق بين أيديهم الطبول (٦) ، وما لبثوا غير قليل من الزمن حتى استولوا على مرسية و « دانية » وشاطبة (٧) .

بعد أن فرغ المرابطون من ذلك كله وجهوا قواتهم ضد مملكة « بطليوس » التي رأى صاحبها « المتوكل » منذ حصار أشبيلية أن يحالف المرابطين دفعا لخطرهم ، بل ان البعض ليذهب للقول بأنه عاونهم في الاستيلاء على عاصمة « المعتمد » (٨) ، غير أن حلفاء المزعومين شرعوا أخيرا يعيثون فسادا في أراضيه ، مما حمله على الارتقاء بين ذراعى (ألفونس) واشترى حماية هذا الملك بالتخلل له عن لشبونة و « سنترا » (٩) فأدى هذا العمل من جانبه الى تدمير رعيته منه وحملهم على دعوة المرابطين للمجيء اليهم .

حينذاك قام « سير » - وكان قد أصبح حاكما على أشبيلية - فأنفذ في مستهل سنة ١٠٩٤ م [= ٤٨٧ هـ] جيشا لمحاربة المتوكل استطاع به غزو الاقليم بما فيه العاصمة ، وامتاز هذا الفتح باليسر والسرعة اللتين لم تدعيا لألفونس مهلة من الزمن يستطيع فيها النهوض لمساعدة حليفه « المتوكل » الذى وقع فى أيدي العدو ، كما وقعت فى قبضته قلعة « بطليوس » التي كان المتوكل قد اعتصم بها هو وأسرته .

حين أصبح « المتوكل » فى قبضة « سير » لم يتورع الأخير عن اللجوء إلى ضروب القسوة كى يدفعه للكشف عن التواحي التى خبا فيها أمواله ، فلما تم له ذلك أخبره أنه سائر به وبولديه « الفضل » و « العباس » إلى أشبيلية .

لم يصدر ذلك الاستنزال إلى أشبيلية عن نية حسنة من جانب « سير » بل حمله عليه تصميمه على التخلص من هؤلاء الأمراء ، لكنه كان يخشى أن يؤدى قتلها - أن تم بالمدينة - إلى عواقب وخيمة بها ، ومن ثم أمر القائد الناهض بالكتيبة بقتلهم حين يصبحون ظاهر البلد ، فلما بعد القوم عن « بطليوس » أمر القائد كلا من المتوكل وولديه بالاستعداد للموت قتلا ، ولم يحاول الأمير المنكود الحظ استرحام قاتله إدراكا منه لعدم جدوى هذه المحاولة ، بل كان كل ما سأل إياه هو أن يبدأ بقتل ولديه حتى تكون آلامه وهو يشاهد مصرعهما قادرة على محو آثامه ، فأجاب القائد إلى طلبه ، فلما رأى المتوكل رأسى ولديه تتدحرجان بين يديه ركع مصليا صلاته الأخيرة ، لكن الجند لم يدعوه يتم صلاته فخرّبوه ضربة فصلت رأسه عن جسده (١٠) .

ولما كانت سنة ١١٠٢ م استولى المرابطون على بلنسية وهى المدينة التى دانت منذ ثمانى سنوات للسيد ، وقد أخفق المرابطون فى محاولتهم انتزاعها منه ، بل استمرت فى يد أسرته فقد بقيت أرملة « شيمين » Chimène مقيمة بها سنتين بعد موته عام ١٠٩٩ م حتى استدعت ألفونس لمساعدتها ، فرأى أن بلنسية بعيدة كل البعد عن أراضيهم ، وألا جدوى له من نزاعه مع المسلمين من أجلها وأن الخير له فى التخلي عن هذه الفكرة ، وقد تم له ما أراد ، إلا أنه لم يشأ أن يترك للمرابطين منها غير أطلال دارسة ، فعمد رجاله القشتاليون إلى اضرار النار بها وهم يغادرونها (١١) .

لم يبق فى اسبانيا الإسلامية بعد ذلك غير امارتين لم تضما بعد إلى المرابطين هما « سرقسطة » التى كان يحكمها « المستعين » من بنى هود ، و « السهلة » التى هى من أملاك « بنى رزين » الذين اعترفوا بسلطان يوسف عليهم ، لكنهم ما لبثوا أن عزلوا عنها (١٢) .

لقد كان المستعين أسعد طالعا من بنى رزين اذ عرف السبيل إلى اكتساب عطف المرابطين عليه وتأيينهم إياه بفضل ما كان يصلهم به من الهدايا النفيسة ، ومن ثم أتيح له الاحتفاظ بعرشه ، إلا أن الأمور تبدلت بعد موته فى ٢٤ يناير سنة ١١١٠ م فقد خلفه ابنه « عماد الدولة » الذى أنكر سكان « سرقسطة » الاعتراف به إلا اذا صرف الجند المسيحيين العاملين فى جيشه ، ولكن كان هذا الشرط الذى اشترطه

سكان سرقسطة أمرا يصعب تحقيقه ، وسببه أن النصاري كانوا يؤلفون منذ قرن من الزمان خيرة قوات جيش « سرقسطة » ، كما كانوا أقوى الدعائم التي يرتكز عليها العرش ، فإذا سرحهم « عماد الدولة » لم يأمن أن تنتب عليه رعيته ، ولا يأمن أن لا تتواني عن المبادرة الى تمليك البلد للمرابطين .

ومهما تكن الأمور فقد رضى الأمير بالعهد الذى قطعه القوم له على أنفسهم ، لكنه لم يكد يصرف الجند النصارى حتى خفت رعيته الى الاتصال بعلى بن يوسف بن تاشفين الذى كان يحكم اذ ذاك بعد أبيه الذى كان قد مات قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات وأنبأته بتسريح النصارى من الجيش ، وذلت له أمر الاستيلاء على المملكة ، فلما علم « عماد الدولة » بمسلكهم وبما بيتوه له عاد من جديد الى استعمال المسيحيين مما أترع كأس غضب رعيته منه حتى الثمالة ، فأخبروا عليا بما جرى والتمسوا منه المعونة .

حينذاك سأل على فقهاء مراكش ان كان يحق له اجابة هذا الملتمس فاكذوا له أن ذلك حق واجب عليه أدائه ، ومن ثم بعث الى والى « بلنسية » يأمره بالزحف على « سرقسطة » فصعد صاحب بلنسية لأمره ، وكان « عماد الدولة » رأى أنه لن يصبح آمنا فى عاصمته فغادرها الى قلعة رويطة ، الا أنه قبل رحيله عنها كتب الى على بن يوسف بن تاشفين كتابا مؤثرا يستحلفه فيه - بحق الصداقة التي كانت تربط بين أبيهما - أن يتركه فى بلده طالما هو لم يفعل شيئا اذا يدفع عليا للزحف لقتاله .

وكان لهذا الكتاب أثره فى نفس على فقد تذكر ما كان أبوه قد أوصاه به وهو على فراش موته بأن يترفق مع بنى « هود » ، ولذلك بعث على [بن يوسف] الى حاكم بلنسية يأمره بالرجوع عن « سرقسطة » ، الا أن هذا الأمر وصل متأخرا بعد أن كان المرابطون قد دخلوها (١١٣) .

بذلك دخلت جميع ولايات الأندلس الاسلامية تحت لواء سلطان مراكش ، وبهذا تحقق ما كان يتطلع اليه الشعب والفقهاء الذين لم يندموا على قيامهم بالمعاونة الجدية فى سبيل نجاح الثورة ، ولو أننا أردنا أن نجد منيلا لما كان يتمتع به رجال الدين من السلطان فى ظل حكم المرابطين لتحتم علينا الرجوع الى الوراء الى زمن القوط ، ذلك أن الأمراء المرابطين الثلاثة الذين ولوا الحكم فى الأندلس واحدا بعد الآخر ، وأعنى بهم يوسف وعلي - [١١٠٦ - ١١٤٣] وتاشفين [١١٤٣ - ١١٤٥] كانوا شديدى التدين فأحاطوا الفقهاء بمظاهر الاجلال ، وأسبقوا عليهم وارف ظلهم ، وكانوا لا يقدمون على عمل من الأعمال من غير رضائهم ،

وان كان « على أشد الجميع ميلا للفقهاء ، وكان الفدر خطأ اذ جعل هذا الرجل يولد في مهاد الملوكية على حين أن طبيعته هيأته لحياة السكينة والتأمل الروحي ، وأعدته للرهبانية والاعتكاف في الصحراء ، فلم يعرف عنه في حياته الا الصوم والصلاة . ومن الطبيعي ألا يجد هذا الحاكم غير النساء عليه من الفقهاء الذين أخذوا يسرونه وفق ما يشتهون ، وأصبحت مقالات الحكم في أيديهم وراحوا يتصرفون في جميع وظائف الدولة ، وكانت لهم كل الحظوة عنده ، فامتلكوا الثروات الطائلة (١٤) . وقصارى القول أنهم جنوا الثمرات التي كانوا يأملونها من وراء فتح الأندلس على يد المرابطين ، بل انه ليس من الاسراف في شيء ان قلنا ان ما جنوه كان فوق ما كانوا يطمعون فيه .

لكن اذا كانت الحوادث قد حققت آمالهم فقد حققت أيضا مخاوف الجماعة التي كانت كارهة لحكم الطبقة الدينية وجند الصحراء ومراكش المتبريرين . كما كان هناك ما يدفع الأدباء والشعراء والفلاسفة الى الشكوى المريرة .

لا مساحة في أن كثيرا من الأدباء الذين كانوا يعملون في دواوين الأمراء الأندلسيين قد شغلوا بعض الوظائف في ديوان رسائل السلطان الجديد ، الا أنهم لم يجدوا أنفسهم يتبوؤن المكانة الجديرة بهم ، ووجدوا أنهم غير مطمئنين الى وجودهم وسط الفقهاء المتعصبين والجند الغلاظ ، وأدركوا أن حاشية الأمراء الأندلسيين كانوا شيئا يخالف كل المخالفة ما أصبحوا يعيشون معهم اليوم .

أجل . . ان المرء ليرى أن هؤلاء القوم اضطرتهم الحاجة لكسب قوتهم الى مداينة الأمراء المرابطين ، وإلى اهدائهم مؤلفاتهم وكانوا ينظرون بشيء من الأسى والاعجاب العظيم الى الأمراء المتأدبين الذين حكموا الأندلس من قبل ، كما وجد في القوم من لم يستطع أن يكتب سخطه الشديد على هؤلاء الحكام الجند ومثال ذلك الكاتب الذي ما كاد يتسلم الأمر بأن يكتب على لسان السلطان كتاب تأنيب لجيش بلنسية بسبب هزيمته أمام ملك « أرغونة » حتى استسلم هذا الكاتب لما تضطرم به نفسه من الكراهية ، فجاء في كتابه بأمثال هذه العبارات « أي بني اللئيمة ، وأعيار الهزيمة ، الى متى يزيقكم الناقد ، ويردكم الفارس الواحد ، فليت لكم بارتباط الخيول ضانا لها حالب قاعد . لقد آن أن نوسعكم عقابا ، والا تلوثوا على وجه نقابا ، وأن نعيدكم الى صحرائكم ، ونظهر الجزيرة من رخصائكم » .

وما بنا من حاجة للقول بأن هذا الأسلوب قد أحقق السلطان فيجازي الكاتب بأن صرفه عما بيده (١٥) .

أما الشعراء فلم يعودوا يجدون من يدنى مكانتهم الى السلطان
المرباط ، فأخذوا يندبون ضياع الذوق ، وينددون بالهمجية التي اكتسحت
بلادهم (١٦) . ومع ذلك فقد ظهرت بينهم جماعة لاقت الأمرين ، اذ راحوا
يمتدحون بشعرهم الفقهاء الذين لم يكونوا يخلون من الزهو رغم ما هم
عليه من الورع ، وكان أبرزهم في ذلك كبيرهم « ابن حمدين » قاضى
الجماعة بقرطبة ، فقد ادعى أنه عربى الأصل شريف النبعة حتى ليقول
فيه القائل (١٧) :

اليك ابن حمدين انتحلقت قصائد
بها رقصت فى القضب ورق الحمام
أنا العبد ، لكن بالمودة يشتري
اذا كان غيرى يشتري بالدراهم

غير أن الفقهاء - ولا نستثنى منهم ابن حمدين الذى كان أثرى أهل
قرطبة (١٨) - كانوا لا يبسطون أيديهم بالعطاء (١٩) ، ومن ثم انصرف
عن مدحهم الشعراء ممن يحترمون أنفسهم ويكرمون فنههم ويربأون به عن
مواضع الزلفى والتهمة ، وان عانوا سُظف العيش ، ومنهم الشاعر الغزل
« ابن بقى » الذى يعد من أحسن من أنجبتهم الأندلس ، فراح ينتقل من
بلد الى بلد وقد أعوزه الرغيف (٢٠) ، فقال فى إحدى قصائده :

أقمت فيكم على الاقتار والعدم
لو كنت حراً أبى النفس لم أقم
فلا حديقتم يحنى لها ثمر
ولاسماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بى أرض أندلس
جئت العراق فقامت لى على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت
وحرفة وكلت بالقعد البرم (٢١)

غير أن العزاء الوحيد الذى بقى للشعراء هو أنه كان فى قدرتهم
السخرية من أصحاب السلطان ابان ذلك العصر ، وكتابة الهجاء المقذع
الذى يفيض بالسخائم ضد الفقهاء ، حتى ليقول بعضهم فيهم :
أهل الرياء لبسستموا ناموسكم
كالذئب يدلج فى الظلام العاتم (٢٢)

غير ان ابداء ما فى النفوس من السخائم وما تنطوى عليه من الحنق على الفقهاء بهذه الصورة لم يكن مأمون العاقبة لأن هذه الطائفة من الناس كانت تعرف كيف تقتص ممن يجروون على التعرض لها ، ولسنا فى حاجة لأن نقول ان الفلسفة أصبحت علما محرما ، وقد أخطأ « مالك بن وهيب الأشبيلي » حين أخذ نفسه بالنظر فيها ، الا أنه أدرك ما ينطوى عليه هذا الميل من تعريض حياته للخطر فانصرف عنها وانكب على دراسة الفقه والشرعية ، ولم يندم على مسلكه الجديد الذى قر به من السلطان حتى صار صديقه وموضع سره وثقتة ، وان لم يغفر القوم له أبدا خطيئته التى ارتكبها أيام شبابه ، فقد نظم أحد خصومه أبياتا نال فيها منه اذ يقول :

دولة لابن تاشفين على طهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس اليها من حناياه : مالك بن وهيب (٢٣)

ولقد جاوز تعصب الفقهاء كل حد ، وكان أفق تفكيرهم شديد الضيق ، هذا الى قلة المامهم بالقرآن والأحاديث النبوية ، فلم يأخذوا أنفسهم بالتعمق الا فى دراسة ما كتبه تلاميذ « مالك بن أنس » الذين عدوهم أئمة معصومين ، ولا يجوز لأحد ما أن يخرج عما وضعوه ، وكان المامهم - والحق يقال - بالشرعية الماما دقيقا ، ولم تجد نفعا تلك المحاولات التى قام بها جماعة من مستنيرى الفقهاء للحد من أفكارهم ، فكان ردهم عليهم أن أخذوا فى اضطهادهم واعتبرهم الناس زنادقة وكفرة ومرتدين (٢٤) .

أما الكتاب الذى ألفه الغزالي فى الشرق وهو المعروف باحياء علوم الدين فقد أحدث فى الأندلس دويا عظيما وضجة كبرى .

لم يجد الغزالي فى مذهب ما من مذاهب علم الكلام ما يرضى نفسه ، فنشكك فى قيمة تلك المذاهب وتمادى فأصبح الد أعداء الفلسفة ، وهو يؤكد فى كتابه « احياء علوم الدين » ان علم ما وراء الطبيعة لا ينبغى أن يستعمل الا للدفاع عن الدين الموحى به ، ويقول ان دراسة علم الطبيعة ينبغى اهمالها ان رأى فيها المرء ما يجرح الدين ، غير أن الغزالي بشر بمذهب عاطفى باطنى قوى ، يكاد أن يكون عقيدة يوحى بها القلب ، كما أسرف فى لوم رجال الدين من أهل عصره الذين اكتفوا بالقشور دون اللباب ، ولم يشغلوا أنفسهم بغير المسائل الجدلية التى لا تفيد البتة الا فى المنازعات التافهة التى تنشعب بين الرعاع (٢٥) ، وبهذا هاجم فقهاء الأندلس فى أضعف نواحيهم فاستبد الغيظ بهم منه ، حتى لقد أفتى ابن حمدين - قاضى قرطبة بتكفير كل من ينظر فى كتابات الغزالي وحكم عليه بالهلاك ، وأصدر فتوى قال فيها بوجوب حرق هذا الكتاب وكل ما يأنس به من الكتب ، وأمضى كل فقهاء قرطبة هذه الفتوى ورفعوها الى

السلطان على الذى أجاز ما بها ، ومن ثم جعلوا كتاب الغزالي طعمة للنيران فى قرطبة وفى شتى مدن الامبراطورية ، وحرم على الناس امتلاك أشباهه والا قتلوا وصودرت أملاكهم وأموالهم (٢٦) .

من هذا يفهم أنه لم ينعم بالتسامح فى ظل هذا الحكم من كانوا على غير الملة الاسلامية ، وهذا ما حدث مثلا لليهود فقد ابتدع أحد فقهاء قرطبة طريقة رآها خير وسيلة لحملهم على اعتناق الاسلام فزعم أنه عثر بين أوراق ابن مسرة على حديث نبوى يقول ان اليهود كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهدا للرسول بأن يسلموا فى ختام القرن الخامس للهجرة ان لم يظهر « المسيح » المنتظر حتى ذلك الحين ، وجاء أن هذا الفقيه لم يكن على شئ من الالام بالتاريخ الأدبى والا كان أحرص وأبعد عن أن يقول انه وجد ذلك الحديث بين أوراق ابن مسرة ، لأن الناس كانوا يعرفون فى ابن مسرة تهاونه فى شئون الدين تهاونا لا يشك أحد فيه أبدا (٢٧) .

غير أن القوم حينذاك لم يعجبوا بتلك المسألة ، وكان الداعى لهم الى ذلك هو أن السلطان يوسف [بن تاشفين] الذى كان موجودا حينئذ فى الأندلس ذهب الى مدينة لاشانة Lucena (وهى مدينة يهودية خالصة لا يستطيع أحد من المسلمين السكن بها) وكان غرض ابن تاشفين من ذلك الذهاب هو دعوة اليهود لتنفيذ العهد الذى قطعه أسلافهم على أنفسهم ، فدب الذعر الشديد بين يهود « لوسينا » ، لكن بقي أمامهم لحسن حفظهم سبيل واحد للنجاة هو ان هذا العمل لم يكن صادرا عن وجدان صادق وإيمان خالص بقدر ما هو صادر عن التطلع الى ما يملكه اليهود من المال ، لأنهم كانوا أرى الناس فى العالم الاسلامى وكانت الحكومة تعتمد عليهم فى سد النقص فى الناحية المالية فان ظهر هذا النقص عمدت الى فرض الضرائب غير الشرعية ، ولم يجهل اليهود هذا الأمر فبعثوا الى ابن حمدين قاضى قرطبة يلتمسون منه الدفاع عنهم لدى السلطان ، فلم يخيب القاضى ابن حمدين رجاءهم ووعدهم بتحقيق أملهم فيه ، وفى لهم بعده ، ولا ندرى عما اذا كان ابن حمدين قد قام بهذا العمل غير مأجور عليه ، ولكن مهما يكن الأمر فانه حث السلطان على أن يكتفى بقبول قدر من المال منهم ، وكان فى الواقع مبلغا جسيما ، غير أن الظروف المحيطة باليهود جعلتهم يرون أن التضحية بالمال - وان جلت - ليست بالكثيرة ازاء تركهم أحرارا وبقائهم على ملتهم (٢٨) .

أما المسيحيون ، أو « المستعربون » كما يسمون فقد لاقوا عنتا شديدا لما كانت تنطوى عليه صدور الفقهاء والجمهور ضدهم من الكراهية الصنيفة المتأججة ، وكانوا فى كثير من الجهات لا يزيدون عن فئات صغيرة لكنهم كانوا يؤلفون جمهرة كبيرة من سكان ولاية غرناطة ، وكانت لهم قرب العاصمة كنيسة فخمة شيدها سنة ٦٠٠ م أحد الأشراف القرطبيين

واسمه « جدبلا » ، وقد أثارت هذه الكنيسة حقد الفقهاء الذين اعتمدوا بطبيعة الحال على عمل قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز اذ كره أن تبقى أية كنيسة أو مذبح للنصارى ، قديما كان هذا البناء أو مستحدثا (٢٩) ، ومن ثم أصدر الفقهاء فتوى نصوا فيها على هدم كنيسة « جدبلا » ، ولقيت هذه الفتوى رضا يوسف ، ومن ثم تمت ازالتها وسويت بالأرض عام ١٠٩٩ م .

والظاهر أنهم فعلوا نفس هذا الفعل ازاء الكنائس الأخرى وان يكن النائب - على الأقل - أن الفقهاء كبدوا المستعربين المشاق البالغة مما دفع الآخرين فى النهاية للتوسل الى ملك « أرغونة » بالمجيء لتخليصهم من نير التعصب الذى يواجهونه ، فاستجاب الفونس لتوسلاتهم ، ومن ثم أخذ فى سبتمبر ١١٢٥ م فى الزحف بأربعة آلاف فارس يتبعهم رجالهم المهجئون بالسلاح ، والذين أقسموا على الانجيل ألا يترك بعضهم بعضا ، ومع ذلك فلم تحقق حملته العهد الذى قطعت على نفسها .

حقيقة أن هذه الحملة ظلت تعيث فسادا ونخربا فى الأندلس اكثر من عام ، وأنها تقدمت حتى طرقت أبواب قرطبة ، وانها انتصرت فى « أرزول » القريبة من « لوثينا » انتصارا رائعا ، لكنهم مع ذلك كله لم تحقق الهدف المنشور الذى جاءت من أجله ، ونعنى به الاستيلاء على غرناطة ، لذلك ما كاد الجيش الأرغونى يرحل حتى أنزل المسلمون بالمستعربين أفظع الأحوال مما ترتب عليه هروب عشرة آلاف منهم فرارا من غضبهم الجنونى ، ولما كانوا يعرفون المصير الذى ينتظرهم فقد طلبوا من الفونس أن يأذن لهم بالاقامة فى رحاب مملكته فاستجاب لهم . ومع ذلك فقد بقى منهم فى غرناطة جمهور أكثر ممن هاجروا فصورت املاكهم ولاقوا أصوأ ظروف المعاملة ، فزج بالبعض منهم فى السجون ولقى الآخرون مصيرهم قتلا ، غير أن الغالبية العظمى منهم نقلت الى افريقية حيث تكبدوا أفظع الآلام ونزلوا فى ضواحي ومكناسة ، وكان ذلك سنة ١١٢٦ م وقد تم ذلك كله بمرسوم من السلطان « على بن يوسف » حملته على اصداره ابن رشد جد الفيلسوف المعروف (٣٠) ، وبعد ذلك الحادث باحدى عشر سنة نفى المستعربون مرة أخرى (٣١) ، حتى انه لم يبق منهم بالأندلس سوى طائفة قليلة .

كانت حكومة المرابطين شديدة الوطأة على فريق خاص من الناس ، مسرفة فى اضطهادهم ، لكن المسيحيين واليهود وأصحاب الفكر الحر من علماء المسلمين والفلاسفة والشعراء والأدباء كانوا لا يزيدون عن فئة قليلة ، وان كانت بلا ريب فئة هامة جدا لا يمكن اغفالها ، اذ تضم بين

أفرادها جميع أرباب المواهب والكفاءات ، ولكنها لم تكن من الشعب الذى كان يبنى الآمال العراض على الحكومة الجديدة ، والذى كان يطمح أن تقرر النظام فى الداخل وتحمى الشعب من الأعداء الذين يهددونه من الخارج ، كما كان هذا الشعب يتطلع اليها بعين الرجاء فى أن تخفف عبء الضرائب وتعمل على زيادة الرخاء العام .

فهل تحققت الآمال ؟

ربما أمكن القول انها تحققت زمن يوسف وكذلك فى السنوات الأولى من ولاية خليفته الذى جاء بعده ، فلم يضطرب حبل النظام إبان هذه الفترة وأمنت الطرق (٣٢) ، واستولت الرهبة على القشتاليين فكفوا عن العدوان، ولم يعودوا يفكرون فى المجيء لنخريب بقاع الأندلس (٣٣) ، وألغت الحكومة فى البداية كل ضريبة غير شرعية . ولقد رأينا آنفا كيف ألزم اليهود بتمويل بيت المال نيابة عن المسلمين كلما أعوزت بيت المال الحاجة الى المال ، لكننا لا نستطيع أن نجزم كما جزم أحد المؤرخين (٣٤) بأنه لم تكن هناك أى ضريبة باهظة ، اذ الثابت أن يوسف حاول ذات مرة فرض ضريبة حربية - أو كما سماها معونة - فلم يكن من أهل المرية الذى لم يظهروا أبدا أى ميل للدرابطين الا أن رفضوا دفعها ، وقام أبو عبد الله بن الفراء قاضى الجماعة فى المرية فرد على يوسف بقوله :

« أما بعد ، فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخرى عن ذلك ، وأن جميع القضاة والفقهاء بالعدوة وبالأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه فى قبره ، ومن لا يشك فى عدله فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته فى العدل فالله سائلهم عن نقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فلتدخل المسجد الجامع وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ، حينئذ تستوجب ذلك والسلام » (٣٥) .

فهل أدت هذه العبارات النارية الى صرف يوسف عما أراد ؟ أم جعلته يصر على طابعه ؟ .

لسنا على بينة من الامر ، بيد أن هناك ما يحملنا على الظن بأن الضرائب غير الشرعية قد فرضت أيام على [بن يوسف بن تاشفين] اذ يقول أحد المؤرخين (٣٦) فى معرض كلامه عن الروم (ويعنى بهم

المسيحيين) الذين استعملهم على فى وظائف الدولة « انهم قد النزموا بالمفرم « ولا مشاحة فى أنه يندرج تحت هذه العبارة الضرائب التى لم ينص عليها القرآن .

أصف الى هذا ما يذكره أحد ثقات الجغرافيين (٣٧) من أن المرابطين قد فرضوا ضرائب كثيرة على جميع أنواع المتاجر ، ولا أقل من أنهم فرضوها فى عاصمتهم .

ومع ذلك فان الضرائب التى أصبح الشعب يدفعها كانت أقل من الضرائب التى كانت تجبى أيام الأمراء الأندلسيين ، ومن الطبيعى أن تزداد الرفاهية والرخاء بفضل هذا العمل وبفضل السكينة التى أصبحت البلاد تنعم بها وتعمها . والواقع أن الرخاء كان عظيما جدا ، والدليل على ذلك رخص القمح ، كما أصبح الناس قادرين على شراء اللحم بثمان لا يكاد يذكر لتفاهته (٣٨) .

ومجمل القول ان الشعب لم يداخله اليأس اذ ذاك ، لكن كل ما فى الأمر أن لابد وأن يكون قد أخطأ لو أنه اعتقد أن المرابطين قد حصلوا على انتصارات حاسمة على النصارى ، وأنهم أعادوا بلاد الأندلس الاسلامية الى سابق عظمتها وبأسها للذين كانت عليهما أيام عبد الرحمن الثالث والحكم الثانى والمنصور ، ومع ذلك فقد كانت الظروف جد مواتية ، فقد وقعت أسبانيا النصرانية عقب موت ألفونس السادس سنة ١١٠٩ م فريسة للفوضى التى ظلت تتناهبها ردحا طويلا من الزمن ، وغشيتها الحروب الأهلية ، الا ان المرابطين لم ينتفعوا بتلك الظروف المتاحة لهم ، فقد ضاعت سدى جميع محاولاتهم فى سبيل استرجاع طليطلة ، ومع أنهم استطاعوا الاستيلاء على بعض مدن كانت دون طليطلة أهمية الا أن النجاح الذى أصابوه لم يكن يعادله سوى ضياع سرقسطة من أيديهم سنة ١١١٨ م .

أما الأمة فلم تطل فرحتها بانتهاء الثورة اذ دب الفساد فى الحكومة . ثم سرى واستشرى بين القادة والجند سريان النار فى الهشيم ، ذلك ان قادة يوسف - حين وصولهم الى أسبانيا - كانوا قادة أميين لكنهم شعبان متدينون مخلصون لمهمتهم ، يزاولون الحياة على نمط بسيط من العيش ويتبعون أسلوبا ساذجا يوائم الصحراء ، لكن لم تكف تندفق بين أيديهم أموال الأمراء التى صادرها يوسف حتى فقدوا ميزاتهم السالفة ، ولم يعودوا يفكرون الا فى التمتع بما أصابوه (٣٩) .

كانت الحضارة الأندلسية عندهم شيئا جديدا لم يألوه ، وأصبحوا يخجلون من همجيتهم فطلبوا التعليم والتهذيب ، واتخذوا الأمراء الذين

خلعهم عن عروشهم مثالا يحتذونه ، وما يؤسف له أنهم كانوا أبعد من أن يتأثروا برقة الأندلسيين وحسن ذوقهم ولطف معشرهم ، بل كان كل كل ما فيهم مطبوعا بطابع التقليد الأعمى المعوج .

لقد بسطوا حمايتهم على الأدباء وأسبغوا عليهم وارف ظلهم وعطفهم ، وتدرّبوا على نظم الشعر والتأليف ، الا أنهم فعلوا ذلك كله جهالة واعتباطا وبأسلوب تنقصه الكياسة والذوق ، ومهما يكن ما فعلوه فانهم لم يهضموا الحضارة هضمًا تامًا ، ومن ثم ظلوا على شيء من البداءة ولم يأخذوا من الحضارة الأندلسية سوى جانبها الهش ، ويقال ان أبا بكر بن ابراهيم - صهر على - الذي بقى مدة من الزمن عاملا على غرناطة ثم سرقسطة - يعد مثالا لهؤلاء القواد الذين حاولوا أن يصبحوا أندلسيين فأخفقوا ولم يفلحوا .

لقد ولد أبو بكر بن ابراهيم في الصحراء وشب على مبادئ بنى جنسه الجافة الصارمة ، فلما صار في سرقسطة نسى تلك المبادئ وراح ينسج على منوال « بنى هود » ملوك سرقسطة السابقين ويقتفى نهجهم حذوك النمل بالنعل ، ولما كان « بنو هود » يعيشون عيشة الترف فقد طمع أبو بكر في هذه الحياة ذاتها ، ومن ثم أحاط نفسه بالندامى ، وكان اذا جلس للشراب معهم لبس تاجا وعباءة ملوكية ، ولما كانت الفلسفة قد نعمت بعطف بنى هود - لاسيما المقتدر والمؤتمن اللذين عالجا الكتابة والتأليف فيها - فقد أراد أن يفعل مثل الذى فعلوا دون يعبا بما قد يقوله صهره والفقيه في شأن ممارسته اياها ، فاولى صداقته وثقته وساق وزارته الى رجل لا يجرى اسمه على السنة الاتقياء الا استعاذوا بالله منه ، وهو رجل لا يؤمن بالقرآن بل ينكر كل وحى ذلك هو الفيلسوف الشهير 'ابن باجة (٤٠) مما أدى الى سحق الكثيرين من جنده عليه وانفضاضهم من حوله (٤١) .

وعلى الرغم من أن الجند كانوا أكثر اعتدالا من زعمائهم الا أنهم كانوا مثلهم خلقا ، فقد عرفوا بجراتهم وسفهمهم على الأندلسيين وجبنهم أمام العدو ، والواقع أن جبنهم هذا كان كبيرا حتى لقد اضطر الملك أن يتناسى كراهيته للنصارى فضمهم الى جيشه واستقدم قائده ابن ميمون « صياد الآجال » من عند شواطئ غاليسية و « قطالونيا » وإيطاليا والامبراطورية البيزنطية (٤٢) .

بلغت وقاحة جند المرابطين مبلغا لا حد له فنظروا الى بلاد الأندلس نظرتهم الى بلد مفتوح مغلوب على أمره ، فراحوا يتمتعون فيها بكل ما يرضى شهواتهم من المال والمتاع والنساء ، وتركبهم الحكومة يفعلون ما يشاؤون ولم تستطع ردهم عن شيء ما ، واتضح ضعفها جليا للعيان ،

وتخلى الفقهاء عن سلطانهم للنساء أو على الأقل أذنوا لهن بمشاركتهم فيها ، وأصبح الملك يآتمر بأمر زوجته « قمر » ، كما أن هناك غيرها من النساء صرن يتصرفن فى الوظائف العليا ويستعملن فيها من أردن ، فان استطاع المرء أن يرضى أهواءهن تجاسر فانطلق يفعل ما يشاء ، حتى صار فى قدرة اللصوص أن يأمنوا أن تمتد اليهم يد المدالة اذا استطاعوا بوسيلة أو أخرى شراء حماية أولئك النسوة لهن ، اذ كان بيدهن خلع الوظائف على من أردن ، وقد جرت عادتهن أن يسقن هذه الوظائف الى رجال ضعاف أشد الضعف • ومجمل القول ان الفساد كان قد دب فى الحكومة التى غدت محتقرة مرذولة يسخر منها الجيش والشعب على السواء لأنها كانت تنسخ اليوم الأوامر التى قضت بها بالأمس ، كما تطلع كبار السادة الى الاستحواذ على العرش ، وكثيرا ما سمعهم الناس يقولون انه لو ألقيت اليهم مقاليد الحكم لحكموا خيرا من الأمير على الضعيف الذى لا يعرف غير الصلاة والصوم (٤٣) •

ومما زاد الطين بلة قيام ثورة بافريقية سنة ١١٢١ م وهى التى أضرمها سكان جبال أطللس المراكشية الذين اتسموا بالهمجية وعرفوا بالموحدين فقد هبوا لحمل السلاح ضد المرابطين ، وحرضهم على ذلك التمرد رجل يمدعى الإصلاح ، ويزعم أنه المهدي الذى بشر به النبى [عليه الصلاة والسلام] • وكان لابد لمثل هذه الثورة من القضاء على دولة نخرها الضعف حتى وهى أساسها فاضطربت أحوالها، واختلت أمورها، وكان الجند الذين تستعملهم هذه الدولة - باستثناء النصارى - أسوأ جند ، حتى لقد كان يكفى منظر العدو وحده لحملهم على الفرار والهزيمة •

تأزمت الأحوال أمام الحكومة فأوقع فى يدها فلم تدر ما تفعل ، غير أنها أرادت أن تمتد قليلا فى حياتها التعميسة فأرجعت للأندلس الجند والسلاح والذخيرة والأقوات (٤٤) ، ولم يفت ذلك العمل انتباه المسيحيين الذين بادروا الى الاستفادة مما هو واقع فعلا ، فقام ألفونس المحارب ملك « أرجون » سنة ١١٢٥ م أعنى بعد أربع سنوات من بدء ثورة الموحدين - بالزحف على الأندلس ، وظل أكثر من عام يعيش فيها فسادا •

كذلك حدث فى سنة ١١١٣ م أن أقام ألفونس السابع ملك قشتالة والملقب بالامبراطور لقب جده ألفونس السادس وأعمل السيف فى نواحي قرطبة وأشبيلية وقرمونة ، وأجرى على أديمها الدم وترك النيران ترعى بها ، كما استولى على « شريش » فخر بها هى الأخرى وأحرقها ، وتقدم فى زحفه حتى وصل الى موضع كان يسمى ببرج قادش

أو أعمدة هرقل (٤٥) . وأفسد فيه كما أفسد جده من قبل زمن المعتمد فقد عاود بعد خمس سنوات تخريب ضواحي « جيان » و « بايزة » و « أونية » و « أندوسر Andujar » . ثم رجع مرة ثانية سنة ١١٤٣ م . الى قادش وأشبيلية و « قرمونة » ، كما نهب في العام التالي واحرق جميع بلدان الأندلس الواقعة بين قلعة رباح و « المرية » (٤٦) .

طل الشعب الأندلسي ينعم بالرخاء مدة سنوات قلائل وذلك بفضل الثورة التي تحمس في الترحيب بها ، ثم ابتلى بعدئذ بحكومة ضعيفة منحلة ، وزمرة من الجند الضعاف السفاكين الذين لا يخضعون للنظام . كما ابتلى بشرطة فاسدة ، يدل على ذلك كثرة اللصوص بالقرى ، كما تعددت غارات قطاع الطرق على الريف ، فشلت الحركة التجارية ، وركدت الصناعة ، وارتفعت أسعار الأقوات حتى لقد أدت الحال الى ما ينسبه المجاعة ، ونكبت البلاد بكثير من الغزوات التي لم ير لها منيل من قبل والتي أخذت تزداد للأسف يوما بعد يوم (٤٧) ، فتلاشت الآمال ، وراح الناس يصبون اللعنات على أولئك المرابطين بعد أن كانوا يعدونهم المنقذين لبلادهم وللمتهم ، وأخذ أهل قرطبة منذ سنة ١١٢١ م في التمرد على الجند الموكول اليهم حماية المدينة لارتكابهم شتى ضروب المظالم دون أن تتدخل الحكومة فتضرب على أيديهم حتى يكفوا عما هم بسبيله ، وطردهم القرطبيون هؤلاء المتبربرين ونهبوا مساكنهم ، واذ ذاك جاء الملك « علي » الى الأندلس بحشد كثيف من أهل أفريقية ، وكان من الضخامة بالصورة التي لم يسبق لسواطي أسبانيا أن رأت لها قط منيلا من قبل ، غير أن كيل الفضب كان قد طفق عند القرطبيين فأجمعوا العزم على الاستبسال في الدفاع عن أنفسهم استبسالاً دفعهم اليه اليأس ، فأغلقوا أبواب المدينة وأقاموا المتاريس بالشوارع . الا أن الجانبين لم يكونا متكافئين مما دعا الفقهاء للتدخل لحقن الدماء والحيلولة دون اهلاكهم وعلى الرغم مما طبع عليه الفقهاء من أمور كانت تستنكر منهم الا أنهم انضموا هذه المرة الى جانب مواطنيهم ووقفوا في وجه أصحاب لباس والسلطان ، وأفتوا بأن ثورة أهل قرطبة إنما هي ثورة عادلة يقرها الشرع ، وبرروا عمل أهلها بأنهم لم يمتشقوا السلاح الا دفاعا عما يملكون ، وذبا عن حرماهم وحياتهم . وقد أقر على كما هي العادة وجهة نظر الفقهاء ، وجرت مفاوضات طويلة انتهت برضاء القرطبيين بدفع دية عما نهبوه وحطموه (٤٨) .

أما في المدن الأخرى فقد أخذ التدمير في الازدياد ، وراح الناس يحنون الى الماضي الدابر ، ويتمنون رجوعه رغم أنه لم يكن بالماضي الزاهي ، ولكنهم أصبحوا يفضلونه على وضعهم الحال ويؤثرونه على ما هم فيه من

النكد والمشقة التي ضجروا منها ، وثبت ذلك عندهم حين قرءوا الرسالة التي بعث بها الاشبيليون في سنة ١١٣٣ م الى سسييف الدولة آخر ملوك سرقسطة الذي كان موجودا حينذاك في جيش ألفونس السابع المرابط أمام أبواب مدينتهم وقالوا له فيها « خاطب عنا ملك النصارى ، وأكد له تأكيدا لا نقض فيه أننا سوف نتخلص من نير المرابطين ، واننا لن نكاد نتحرر منهم حتى ندفع للملك قشتالة جزية أضخم بكثير مما كان آباؤنا يدفعونها لأسلافه ، وأما أنت فسيكون لك الحكم علينا ثم لأولادك من بعدك » (٤٩) .

وبعد احدى عشرة سنة من هذا الحادث كان الناس يقولون في التسوارع والمساجد « لقد استغلنا المرابطون غاية الاستغلال ، فسلبونا أملكنا ، واحتجونا أموالنا ، وسبوا نساءنا ، واسترقوا أبناءنا ... فلننهض ضدهم ، ولنطاردهم ، ولنعمل على الفتك بهم » .

وقال آخرون : « ينبغي علينا قبل كل شيء أن نتحالف مع امبراطور « ليون » وندفع له الجزية كما دفعها له آباؤنا من قبل » . فيجيبهم آخرون : « أجل . ان كل ما تقولون هو الصواب على شرط أن نتخلص من المرابطين ! » .

هكذا راح الناس يتمنون على الله نجاح الخطط التي دبوها ، وقامت جميع بلاد الأندلس قومة رجل واحد للوثوب على مضطهديها والتخلص منهم ، وكان القضاة والفقهاء (٥٠) على رأسهم جميعا .

اننا لم نذكر تاريخ هذه الثورة ولا تاريخ فتح الأندلس على يد الموحدين الذين حلوا محل المرابطين في بلاد مراكش ، وذلك لأن المحاولة التي وضعناها نصب أعيننا هي دراسة تاريخ الأندلس المحتلة ، ولو أننا تناولنا الحقبة التي كان فيها هذا القطر ولاية من ولايات دولة أخرى فأننا بذلك نكون قد جاوزنا الحدود المرسومة لموضوعنا ، ونحن نفعل ذلك لأننا نعتقد أن واجبنا يتلخص في أنه ينبغي علينا أن نبين في جلاء كيف أن الأندلس لم تكن ناعمة البال حين احتلها المرابطون ، وأنها راحت تندب أمراءها الذين افترت عليهم أشد الافتراء وتخلت عنهم وقت الخطر تخليا كان هو الخيانة ..

وقبل أن نختم هذا الموضوع نرى أنه بقي أمامنا واجب واحد لا زال يقتضي أن نبينه ، ذلك هو عرض سيرة المعتمد أثناء أسره .

الفصل الخامس عشر

سيرة المعتمد ونهايته

نفى المعتمد الى طنجة ولقاؤه بالشاعر الحصرى • كرم المعتمد
لا ييارحه حتى فى متربته • نفىه بعدئذ الى مكتاسة • ثم سجنه فى اغمات •
تدهور حال زوجته وبناته والتماسهن العيش بصناعة الغزل • شعر المعتمد
فى وصف حاله ومآل أهل بيته • حزنه الشديد على مرض الرميكية
وسؤاله الطبيب ابن زهر لعلاجها • المعتمد يجد عزاءه فى ما يبعثه اليه
الشعراء من قصائدهم وزيارة بعضهم له • عبد الجبار بن المعتمد يقف
ضد المرابطين • ابن حمديس الشاعر يتوقع عودة المعتمد لمملكته وتسمره فى
ذلك • وفاة المعتمد ودفنه • خلاصة القول فى المعتمد وحب الناس له •
افتخار المخمينين به • شعر ابن الخطيب فى ملحه بعد زمن طويل •

سيرة المعتمد ونهايته

رغم الفضائل الجمّة التي يشهد بها الفقهاء ليوسف [بن تاشفين] إلا أن حقه على المغلوبين لم يكن يبارحه ، فقله اتبع مع الأمراء الأندلسيين القدين وقمعوا في أسره أسلوبا شديداً للفظاظة ممزوجاً بالملت لهم ، وإن يكن قد أحسن معاملة حفيدي باديس إذ رد عليهما حريتهما على ألا يبرحا بلاد المغرب ، وأجرى عليهما معاشاً ضخمًا ، حتى لقد خلف عبد الله لأولاده من بعده ثروة طائلة ، لكن يوسف كان مدفوعاً إلى هذه المعاملة بحبه لحفيدي باديس - وهما من نفس جنسه - ثم انهما كانا رجلين رخوي المغمز ، هشى المكسر لا يخشى شهما ، بل كانا يعملان على التلطف إليه (١) . أما غيرهما من الأمراء - أمثال الراضي والمتوكل وفضل وعباس - فقد رأينا ما حل بهم على يده ، كما لاقى المعتمد أسوأ المصير وإن لم يقدم يوسف على قتله بل أبقاه حياً .

ما كادت أشبيلية تسقط في يد ابن تاشفين حتى أمر باستئصال « المعتمد » إلى طنجة ، وكان في وداعه وقت ركوبه البحر هو وأهل بيته حشده كثيف من الأهالي زخرت بهم ضفاف الوادي الكبير ، وقد وصف الشاعر « ابن اللبانة » هذا المنظر في إحدى مراثيه فقال (٢) :

نسييت - الا غداة النهر - كونهما
في المنشآت كاموات بالحصار
والناس قد ملأوا البرين واعتبروا
من لؤلؤ طافيات فوق ازباد
حط القناع فلم تستر مخدرة
ومزقت أوجه تمزيق أبراد
يا ضيف : أقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادي

ضلت سبيل الندى بابن السبيل فسر
لغير قصد ، فما يهديك من هادى

لبث المعتمد بضعة أيام بطنجه وكان بها اذ ذاك الشاعر الحصرى .
الذى سلفت له الإقامة ردحا من الزمن فى بلاط أنشيلية ، فرفع الى المعتمد
مجموعة من القصائد القديمة التى سبق أن امتدحه بها ، وان كان من
بينها واحدة مستحدثة يطلب فيها أن يصله بأية صلة رغم معرفته أن
المعتمد لم يعد فى حال تمكنه من وصله بأى عطية . والواقع أن ملك
أنشيلية السابق لم يكن قد تبقى فى يده من ثروته سوى ستة وثلاثين
منقلا كان قد أخفاها فى خفه ، وطبعتها قدماء بدمه ، غير أن ما جبل عليه
المعتمد من الكرم والجود دفعه للمبادرة الى التنازل عن هذا القدر من المال ،
فوضعه فى كاغد وكتب معه أبياتا يعتذر بها الى « الحصرى » من ضالة
الصلة ، غير أن ذلك الصعلوك الوضيع لم يشكر للمعتمد يده عليه بل
سكت عنه . فلما اتصل خبر هذه العطية يزعانة شعراء « طنجة »
وما حولها توافدوا على المعتمد زرافات ووجدانا يرفعون اليه قصائدهم
يلتمسون نداءه ، الا أنه كان للأسف خالى الوفاض ولم يعد يملك ما يستطيع
أن يرفدهم به فقال (٣) :

شعراء طنجة كلهم والمغرب
ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب

سألوا العسير من الأمير وانه
بسؤالهم لأحق ، فاعجب واعجب

لولا الحياء وعزة لخميلة
طى الحشا ، ساواهموا فى المطلب

قد كان ان سئل الندى يجزل ، وان
نادى الصريخ ببابه اركب : يركب

ثم سير به من « طنجة » الى « مكناسة » ، وبينما هو فى الطريق اذا
به يصادف جماعة خارجين للاستسقاء فقال (٤) :

خوجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعى ينوب لكم عن الانواء
فالوا : حقيقا فى دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء

ظل المعتمد بمكناسة بضعة أشهر (٥) حتى أمر يوسف باستنزاله
الى بلدة « أغمات » (٦) القريبة من مراكش ، وبينما القوم سائرون به .

خاطبه ابنه الرشيد بالآيات التالية ، وكان المعتمد قد رفض رؤية ولده
« بسبب لا ندرية » ، وكان ساخطا عليه :

يا حليف الندى ورب السماح وحبيب النفوس والأرواح
من تمام النعمى على التماحي لمحة من جبينك الوضاح
قد غنينا ببشره وسمناه عن ضياء الصباح والمصباح
فرد عليه المعتمد بقوله (٧) :

كنت حلف الندى ورب السماح وحبيب النفوس والأرواح
اذ يمينى للبذل يوم العطايا ولقبض الأرواح يوم الكفاح
وشمالى لقبض كل عنان يقحم الخيل فى مجال الرماح
وأنا اليوم رهن أسر وفقر مستباح الحمى ، مهيض الجناح
لا أجيب الصريح ان حضر الناس ولا المعتفين يوم السماح
عاد بشرى الذى عهدت عبوسا شغلتنى الأشجان عن أفراح
فالتماحي الى العيون كريبه ولقد كان ترفة الملاح

حين بلغ المعتمد « أغمات » أخذه الى السجن حيث عانى به أقصى
ضروب الحياة والأمها ، وشغلت الحكومة نفسها بأمره فكانت طورا تقيده
بالسلاسل ، وطوارا تطرحها عنه ، ولكنها لم تهتم أبدا بتدبير معاشه ،
ومن ثم فقد قاسى المعتمد هنا هو وأسرته شظف الحياة ، ودفعت الحاجة
زوجيه وبناته لاحتراف صناعة الغزل ليكتسبن من ورائها ما يمسك عليهن
أودهن ، أما هو فقد كان نظم القريض سلواه ، وقد حدث أن أطل من
كوّة مطبقه الضيق فأبصر سربا من القطا مسرعا فى طيرانه فقال (٨) :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى
سوادح لا سجن يوق ولا كبيل

ولم يك والله المعتمد حسارة
ولكن حيننا أن شكلى لها شكل
فأسرح ، لا شملى صديق ، ولا الحشما
وجيع ، ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها
ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
وأن لم تبت مثل تطير قلوبها
إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

لنفسى الى لقيما الحمام تشوف
سواى يحب العيش فى ساقه حجل
الأعصم الله القطا فى فراخها
فان فراخى خانها الماء والظل

كان المعتمد يصور فى قصائده ماضيه الأثيل وقصوره الرائعة التى
شهدت جوانبها سعادته ، وبكى فى هذه الأشعار أولاده الذين اغتالهم يد
القتل ، وقد نظم فى عيد الفطر الأبيات التالية (٩) :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فساءك العيد فى أغمت مأسورا

ترى بنائك فى الأطمار جائعة
يغزلن للناس ، ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطان فى الطين والأقدام عارية
كانها لم تطأ مسكا وكافورا

لا خذ الا تشكى الجذب ظاهره
وليس الآمع الأنفاس مطورا

أفطرت فى العيد لاعبات اساءته
فكان فطرك للأكباد تفتيرا

قد كان دهر - ان تأمره - ممتثلا
فردك الدهر منهيا ومأمورا

من بات بعدك فى ملك يسر به
فانمسا بات بالأحلام مغرورا

لم تكن رميكية التعيسة قد خلفت لمكابدة هذه الحياة القاسية الجافة
فاشدت بها العلة حتى خيف عليها ، وجزع المعتمد عليها جزعا بالغاً اذ
لم يكن بأغامت من يجرؤ على الاقدام على معالجتها ، غير أن حسن طالعه
قيض له أن يكون بمراكش فى ذلك الحين أبو العلاء بن زهر (١٠)
« الطبيب المعروف الذى كان المعتمد قد اتخذه فى أخريات سنيه - قبل
ثل عرشه - طبيبه الخاص ، وكان المعتمد قد نزع منه أملاك أسرته (١١)
فردها عليه المعتمد ، ومن ثم كتب اليه المعتمد يرجوه القيام بعلاج الرميكية

مما ألم بها فوعده ابن زهر بالمجئ ، ودعى فى كتابه اليه بطول البقاء
والأجل ، فكتب اليه المعتمد يشكره ويقول :

دعا لى بالبقاء ، وكيف يهوى اسير أن يطول به البقاء
أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقى بها الشقاء
أأرغب أن أعيش أرى بنانى عوارى قد أضر بها الحفاء ؟
حوادم بنت (١٢) من قد كان أعلى مراتبه - اذا أبدو (١٣) - النداء
وطرد الناس بين يلى ممرى وكفهمو ، اذا غص الفناء
وركض عن يمين أو شمال لنظم الجيش ان رفع اللواء
يعنييه أمام أو وراء اذا اختل الأمام أو السوراء
ولكن الضمير اذا دعاه ضمير خالص ، نفع الدعاء
جزيت أبا العلاء جزاء بر نوى برا ، وصاحبك العلاء (١٤)

ولعل المعتمد كان يجد بعض العزاء والسلوى لنفسه فيما يجيئه من
كتب الشعراء وفى زيارات من غمرهم احسانه من قبل وسخت عليهم
يداه ، وكان الكثيرون منهم قد رحلوا الى « أغمات » ، ومن بينهم « محمد
الحجارى » الذى كان قد قال فى المعتمد شعرا نفحه من أجله قدرا كبيرا من
المال استطاع به أن يفتح متجرا در عليه أخلاف النعم ، وتقيا بسببه ظل
الرفاهية ، وقد اعترف المعتمد له بخطئه الجسيم اذ استدعى يوسف الى
بلاد الأندلس ، وكان مما قاله له : « أنا الجانى على نفسى ، والحافر بيدى
رمى » .

ولما جاء هذا الشاعر الى وداعه وهو يتأهب للعودة الى « المرية »
حيث يقيم أكرر المعتمد على نفسه أن يدعه يرحل دون أن يصله بشئ ما وان
صغر ، غير أن رقة نفس الحجارى حملته على رد هديته وارتجل أمامه هذين
البيتين (١٥) :

آليت لا أقبل احسانكم والدهر فيما قد عراكم مسى
ففى الذى أسلفتموا غنية وان يكن عندكم قد نسى

غير أن ابن اللبانة (١٦) كان أشده أصدقاؤه اخلاصا له وتعلقا به .

فقد قدم ابن اللبانة ذات مرة الى « أغمات » يبشر المعتمد بثورة أهل
الأندلس وإتفاق الوطنيين منهم على القيام بمؤامرة لتقويض أركان حكم
يوسف الذى لم يحبوه أبدا ، وأقضى ابن اللبانة الى المعتمد بأن القوم يدبرون
احلال المعتمد مكان يوسف على العرش (١٧) . وكان حفا ما ذكره الشاعر
فقد اشتد تبرم الطبقات المستنيرة بالحكومة واشتد سخط الناس عليها ،
لكن الحكومة لم يخف عليها ما دبره الناس فأخذت حذرهما واحتاطت

لنفسها ، اذ ألقت القبض على رجيل كبير ممن يساورها الشك فيهم لاسيما في « مאלقة » - الا أن المتآمرين من أهلها - وعلى رأسهم ابن خلف الوطني الكبير - اغتنموا فرصة الظلام وفروا من السجن وانطلقوا الى حصن « منت ميور » (١٨) فاحتلوه وسرعان ما انضم اليهم عبد الجبار - أحد أولاد المعتمد - الذي بقى بالاندلس مع أمه ، وكان الناس يظنونونه الراضى قتيل « رندة » فسودوه عليهم ، وسارت الأمور وفق ما يشتهون ، فقد جنحت سفينة حربية مغربية الى جوار الحصن فاستولى أهل الحصن وأخذوا ما بها من الذخيرة والمثوبة والسلاح ، وانضمت اليهم فى تمردهم هذا : « الجزيرة الخضراء » و « أركش » التى ذهب اليها عبد الجبار سنة ١٠٩٥ م [= ٤٨٨ هـ] وسُن منها عدة غارات حتى بلغ أبواب عاصمة مملكة أسلافه القديمة (١٩) .

ما أن سمع المعتمد نبأ ثورة ابنه حتى اشتد به الحزن اذ أقلقه خطورة المشروع الذى هو مقدم عليه وخاف أن يلقي عبد الجبار من المصير المنكود ما لقيه معظم أولاده ، الا أن الأمل سرعان ما حل بفؤاده فاستشف من حجب الغيب امكان عودته الى بلده واستعادته عرشه (٢٠) ولم يكتف التصريح بهذا أمام أصدقائه ، من ذلك مثلا ما كتبه الى الشاعر ابن حمديس الذى كان قد عاد الى المهدية بعد زيارة قام بها الى المعتمد ، فقد بعث اليه بقصيدة استهلها بقوله (٢١) :

غريب بأرض المغربين أسير سيبكى عليه منبر وسرير
وفيها يقول :

مضى زمن والملك مستأنس به
وأصبح منه اليوم وهو نفور
فياليت شعرى هل أبين ليلة
أمامى وخلفى روضة وغدير ؟
بمنبتة الزيتون مورثة العلاء
تغنى حمام أو ترن طيور

وأحس ابن اللبانة ميت الآمال فى نفس المعتمد ، فلما كانت الليلة التى اعتزم فى غداتها العودة الى الأندلس جاءه منه عشرون مثقالا وثوبان ، فرد الشاعر اليه هديته وقال له (٢٢) :

رويدك سوف توسعنى سرورا اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلنى رتب المعالى غداة تحل فى تلك القصور

تزيد على ابن مروان عطفاً . بها ، وأنيب ثم على جرير
تأهب أن تعود الى طلوع فليس الخسف ملتزم البذور
وعاد المعتمد يرسف في الأغلال بأمر يوسف اذ :

رأوه ليتنا فخافوا منه عاديه عذرنهم ، فلعوى الليث عادات.
ومع ذلك فلم يزل المعتمد يعيش وفي قلبه الأمل الريان الذي كان
هناك من يعمل على إيراقه واذكائه ، وذلك لكثرة عديده أنصار عبد الجبار ،
أولئك الأنصار الذين أقلقوا بال الحكومة أشد القلق ، وقد استطاع هذا
الحزب أن يبقى أكثر من عامين ، بل ان هذا الحزب ذاته لم يسقط الا بعد
أن قبض الموت المعتمد بعد علة طويلة لازمته وأضعفت (٢٣) قواه سنة
١٠٩٥ م [= ربيع الأول سنة ٤٨٨] ، وكان اذ ذاك في الخمسين من
عمره (٢٤) .

دفن ملك أشبيلية الراحل في مقبرة « أغمات » ، وحدث فيما بعد
في أحد أعياد الفطر أن قدم الشاعر الأندلسي ابن عبد الصمد قطاف بقبوره
سبع مرات طواف الحجيج بمكة ، ثم ركع وقبل الأرض التي ثوى تحتها
جثمان المحسن اليه وأنشد مرثيته فيه ، فتأثر الناس بعمله وفعلوا فعله
وهم ييكون (٢٥) .

ويقول أحد مؤرخي (٢٦) القرن الثالث عشر : « رزق المعتمد من
الناس حبا ورحمة ، فهم ييكونه الى اليوم » . والواقع أن المعتمد كان
أذيع أمراء لأندلس صيتا وأنبهم ذكرا ، لأن كرمه وشجاعته وبطولته
كانت هذه كلها كفيلا برفعه في أعين المتحضرين الذين جاءوا بعد جيله ،
كما حزن لمصيره المنكود من رقت قلوبهم فعطفوا عليه وشجاهم خطبه .
أما العامة فقد أكبرت فيه مخاطراته المستعذبة .

واذ كان المعتمد شاعرا فحلا فقد أحبه البدو الذين يؤهلهم امتلاكهم
ناصية اللغة ومعرفتهم بجيد الشعر لأن يكونوا أصديق حكما من أهل
المدن وأولى منهم بالفصل في هذه الناحية . ودونك ما يروييه الناس
بصدد هذه المسألة ، ذلك أنه في إحدى السنوات الأولى من القرن الثاني
عشر كان أحد أهالي أشبيلية يضرب في الصحراء ووصل الى خيام بدو
من اللخيين فاقرب من إحدى خيامهم وطلب القرى من شيخهم الذي قرت
نفسه اذ يمارس إحدى الفضائل التي تقدرها أمته كل التقدير ، فجبا
الضيف بكرمه وعطفه ، ومضى على المسافر يومان أو ثلاثة وهو مقيم بين
اللخيين ، ثم كانت ليلة عز فيها النوم عليه فخرج من الخباء يسنروح
نسيم الليل .

كانت الليلة رائعة فاتنة ، وهبت الأنسام عليّة فهدأت من جيشان
نفسه ، وكان القمر في قبة السماء الصافية الزرقة ، المصعقة بالنجوم ،
وهو واني الحركة في كبرياء ويرسل أشعته فيضيء الصحراء الجليّة التي
أشرقت نواحيها كأنها المرأة المصقولة ٠٠٠ والصحراء أكمل ما تكون صورة
للصمت والهدوء ، فذكر هذا المنظر الطارق الأشبيلي بقصيدة كان قد
نظمها مولاه القديم فراح ينشدها وفيها يقول :

ولقد شربت الراح يسطع نورها والليل قد مده الظلام رواء
حتى تبدى البدر في جوزائه ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزهها في غربة جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه لالأواها فاستكمل اللآلء
وترى الكواكب كاللواكب حوله رفعت نريهاها عليه لواء
وحبيبة في الأرض بين مواكب وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر لم تال تلك على الزمان عناء (٢٧)

ثم راح الأشبيلي ينشده غيرها أطول منها كان المعتمد قد نظمها
لصرف ما في نفس أبيه من الغضب الشديد عليه لهزيمته هو وجيشه في
مأثرة بسبب إهماله .

ما كان الأشبيلي يفرغ من انشاده شعر المعتمد حتى رفع ستار الخيمة
التي يجلس أمامها ويرز إليه رجل ليس فيه الا ما يوحي بأنه شيخ قبيّله
وكذا منظره الوقور وقال له في لهجة فصيحة سليمة العبارة مما عرف
به البدو .

« يا حضري : حياك الله ، لمن هذا الكلام الذي اعذوب موره ،
واخضل منبته ، وتحلت بقلاده الحلوة بكره ، وهدر بشقشقة الجزالة
شعره ؟ » .

فأجابه : هو الملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عباد !!
فقال الشيخ : أظن أن هذا الملك لم يكن له من الملك الا حظ يسير
ونصيب حقير ، فمثل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشيء دونه !!

فقال الأشبيلي : لقد عظمت رياسته ، واتسعت رقعته .

فسأله الشيخ : ومن الملك أن كنت تعلم ؟ .

فرد عليه قائلا : هو في الصميم من لخم ، وفي الذؤابة من يعرب .

فسأله الشيخ : أتقول من لخم ٠٠٠ ويحك فلخم قبيل ؟ » .

واستبدت النشوة بالشيخ أن يجد لقبيلته مجدا جديدا يضفقه الى أمجادها القديمة ونادى بأعلى صوته نداء أيقظ الهاجع من هجعه ، ثم قال لقومه : « هلموا ... هلموا » *

وسرعان ما وثب الجميع على أقدامهم ، وتبادروا اليه ، فلما رآهم شيخهم قال لهم : « يامعشر قومي ، اسمعوا ما سمعته ، وعوا ما وعيته ... فانه لفخر لكم ، وشرف تلاصق بكم » *

تم التفت الى الأشبيلي وقال له : « يا حضري ... أنشد كلمة ابن عمنا » *

فاستجاب الأشبيلي لرغبة الشيخ وطرب جميع البدو من سماع هذا الشعر طرب شيخهم به ، ثم قص عليهم شيخهم ما سمعه من هذا الغريب عن أصل بنى عباد وحلفائهم وأقاربهم منذ أن نجحوا من القبيلة ، فكانوا أسرة لخمية تذرع الصحراء بقطعانها ، ثم ضربت خيامها فى البقعة الرملية التى تفصل مصر عن بلاد الشام ، ثم حدثهم بعدئذ عن المعتمد الشاعر المفلح والفارس البهمة ومملك أشبيلية القوى ، فلما فرغ الرجل من حديثه طفى عليهم السرور وداخلتهم العزة والكبرياء ، وركبوا من فرحتهم متون خيولهم وجعلوا يتلاعبون عليها بقية الليل حتى شف الصباح ، وحينذاك عمد الشيخ الى عشرين من أحسن ابله دفعها هدية للطارق الغريب ، وحذا الجميع حذوه ، كل حسب قدرته ، فما كان رآد الضحى الا وعند الأشبيلي مائة بعير ، وبعد أن بالغ القوم فى تعظيمه ومجاملته واكرائه كادوا أن يابوا عليه أن يفادهم حتى ينشد أشعار الملك السابق الذى سموه بابن عمهم وخطوه بأنفسهم (٢٨) *

وبعد ذلك بقرنين ونصف قرن من الزمان وقد استحال أسبانيا الشكاسة الى بلد متعصب حدث أن خرج أحد الحجاج حاملا عصاه ومسيحته ، وعبر مملكة مراكش للقاء نساكها وزيارة الأماكن المقدسة بها *

أما هذا الحاج فهو « ابن الخطيب » كبير وزراء غرناطة الذى ما كاد يصل الى بلدة « أغمات » الصغيرة حتى اتجه الى مقبرتها حيث يرقد المعتمد وزوجته تحت أكمة علاها شجر العناب ، فلما أبصر ابن الخطيب قبريهما وقد بانث عليهما هيئة التغرب ومعاينة الخمول لم يستطع أن يمسك دمه ، وارتجل هذه الأبيات :

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات
رأيت ذلك من أولى المهمات

لم لا أزورك يا أئدى الملوك يدا
ويا سراج الليالى المدلهيات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه
الى حياتى لجادت فيه أبياتى
أنساف قبرك فى هضب يميزه
فتحتنه كم حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا ، واشتهرت علا ،
فأنت سلطان أحياء وأموات
ما كان مثلك فى ماض ، ومعتقدى
أن لن يرى الدهر فى حال ولا آتى (٢٩)

★ ★ ★

حواشي الفصل الأول

(١) كانت الميرة حتى ذلك الوقت عاصمة هذه الولاية ، غير أن ما أصابها من جراء الحروب الأهلية دفع أهلها للهجرة منها والتماس سبل الحياة في غرناطة سنة ١٠١٠ م (= ٤٠٢/٤٠١ هـ) .

(٢) راجع ابن حيان في الذخيرة ، ج ١ ورقة ١٥٧ ، ب ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٦ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٢-٤٣ ، وترجمته ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ورقة ١٢٩ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٤-١٢٥ ، ١٩٦ .
Abbad., t. II, p. 32, 206.

Dozy : Abbad., t. I, p. 221. (٤)

(٥) راجع ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٥ ،
Abbad., t. I, p. 220; Cf. aussi Caussin de Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'istami me, t. II, p. 212, 422.

(٦) كان « عباد » هو الجد الرابع لاسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد .

(٧) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٩٢ ، ١٩٤ .
Abbad., t. I, pp. 220, 381 et suiv. et t. II, p. 173.

Cf. Abbad., t. I, p. 221. (٨)

(٩) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٦٥ ، وترجمته ص ٧٩ - ٨٠ .
Abbad., t. I, p. 22.

Abbad., t. I, p. 22. (١٠)

(١١) جرت عادة الأسبان والبرتغاليين علي إبدال حروف « الهاء » العربي بحرف «هـ» اللاتيني ، انظر في ذلك :
Dozy : Glossaire sur Ibn Idhari, p. 23.

وتحب أن نشير هنا إلى أنه يوجد على شفاة الراين اليمنى وعلى مقربة من « كروب »
حمضان هما حصن لينشتين Liebenstein وحصن شتين بيرنج Sternberg
ويسمان بالأخوين Die Brüder

(١٢) ورد خبر فتح « بازو » على يد مرمى بن نصير في المقري : نفح الطيب
ج ١ ، ص ١٧٤ .

(١٢) الطاهر أن « سيسناند » Sisenand الذى يشير إليه راهب « سيلوس » فى حواريته Chron du moine de Silos, c. 90. والذى أصبح حاكم « قنبرة » . بعد أن ترك العمل فى بلاط المعتضد الى بلاط « فريديناند » الاول أقول الطاهر أنه كان أحد نصارى حصنى الأخوين ..

(١٤) Abbad., t. I, p. 7. ويرى المؤرخ العربى هذه القصة فى معرض حديثه عن المعتضد بن القاضى ، وهذا وهم منه .

(١٥) انظر فى ذلك Dozy : Abbad., t. II, p. 216. أما المؤرخ المسلم ابن خلدون فيخطئ إذ يذكر فى هذا المجال المعتضد بدلا من أبيه القاضى .

(١٦) ذهب الزبيدي أولا الى القيروان ، ثم مضى منها الى المرية حيث أصبح قاضى

الجماعة بها ، انظر : Dozy : Abbad., t. I, p. 234, note 49.

(١٧) Dozy : op. cit., p. 223.

(١٨) راجع فى ذلك Dozy : Abbad., t. I, p. 223-225. ويورد ابن خلدون أيضا فى نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٦ ، بعضا من هذه الحوادث ، لكنه يخطئ فيضع اسم « المعتضد » بدلا من اسم أبيه القاضى .

(١٩) راجع ابن حيان فى الذخيرة ، ج ١ ، ورقة ١٨١ - ب ، ١٨٢ .

(٢٠) راجع عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، وترجمته ص ٤٥-٤٦ .

Dozy : Abbad., t. I, p. 222.

(٢١) Abbad., t. II, pp. 127, 128.

(٢٢) Ibid., t. II, p. 34.

(٢٣) Ibid., t. I, p. 222 ; t. II, p. 34.

(٢٤) Abbad., t. II, p. 34.

(٢٥) راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، وكذلك : Abbad t. I, p. 222.

(٢٦) راجع ابن حيان فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ١٨١ ، ب .

(٢٧) Abbad., t. II, p. 34.

(٢٨) Ibid., t. I, p. 222; t. II, p. 34. وهناك فريق من المؤرخين يزعمون أن

يحيى مات سنة ٤٢٧ هـ ، على حين يذهب غيرهم للقول بأنه مات عام ٤٢٩ هـ ، ويتضح لنا من رواية ابن حيان أن القول الأول أصح القولين ، ذلك أن هذا المؤرخ - وقد نقل ذلك عنه ابن عذارى فى البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩ ، 89-91- Abbad., t. II, pp.

يذكر العبارات الخاصة التى قالها جندي من جنود البربر هو أبو الفتوح (أو أبو الفتح) البرزاني الذى كان بين جماعة عادت الى اشبيلية فى عيد اضمح سنة ٤٢٦ هـ ، وقد خرج فى « الحرم من سنة سبع وعشرين وأربعمائة » واشترك فى الحرب التى شنها

جند أشبيلية ضد يحيى قرب أسوار « قرمونة » ، وقد انتهت هذه الواقعة بقتل يحيى ، وعلى هذا الأساس لا يوجد شك في السنة بل ولا في الشهر الذي مات فيه هذا الأمير ، ولكننا لسنا واثقين من اليوم الذي مات فيه . غير أن عبد الواحد المراكشي يقول « كان ذلك يوم الأحد لسبع مدرن من محرم أعنى في اليوم الثامن منه سنة ٤٢٧ هـ ، وهذا اليوم الثامن هو يوم الثلاثاء وليس يوم الأحد » أضف الى هذا أن رواية ابن حيان تذهب للقول بأن هشاماً الثاني يبيع خليفة من جديد بقرطبة « في شهر المحرم سنة ٤٢٩ هـ » أما ابن الأثير (كما هو وارد في 0. 34, t. II, p. 34) فيقول « كان ذلك في شهر المحرم ٤٢٧ هـ » وذلك لأن جهور رضى بهذا مخافة أن يهاجمه يحيى (انظر Abbad t. I, p. 222. ومن ثم كان من الضروري أن يكون قد قام بذلك قبل موت هذا الأمير . وقد أخطأ ابن خلدون خطأ كبيراً في كلامه عن الدور الذي لعبه محمد بن عبد الله أثناء هذه الحقبة » .

(٢٩) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ، ورقة ١٨١ ، ١٨٢ ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٨٨-١٨٩ ، وعبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٣٨ ، ٤٣ ، وترجمته ص ٤٦ ، ٥٣ ، وانظر أيضاً الحاشية السابقة وكذلك بـ : Dozy Abbad., t. II, p. 33.

(٣٠) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٣ ، ٤٥ ، وترجمته ص ٥٣ ، ٥٥ .

(٣١) راجع ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

(٣٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٤ ، وانظر الكتاب الذي بعثه « زهير » الى أهل قرطبة ، وهو من تأليف وزيره ابن عباس .

Abbad., t. II, p. 34.

(٣٣)



حواشي الفصل الثاني

Munk (Journ. Asiat., IV eme serie), t. XVI, pp. 203; 205 ; H. (١)

Graetz : Les Juifs d'Espagne, trad., G. Sterne, Paris 1872, p. 129 et : uiv.

Cronica de Moro Rasis, p. 98 ; Cf. Ency. of Islam, t. II, 187. (٢)

(٣) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ورقة ١١٢٢ .

Dozy : Introd. à la Chronique d'Ibn Adhari, p. 97. (٤)

Ibid., pp. 96, 97. (٥)

Cf. Journ. A iat, loc. cit., p. 209 dans la note. (٦)

وقد زاد الشاعر في مدحه زيادة أخرجه عن جادة الاسلام ، فشبّه كفيه - معاذ الله - بالركن ، ثم لج فقال بيتا يباعد بينه وبين الحنيفة ، وما تصب ما قاله هذا الشاعر في مدح صمويل الا مدسوسا عليه .

Journ. Asiat., loc. cit., pp. 222-224. (٧)

Ibid., p. 209. (٨)

Dozy : Introd. a la Chronique d'Ibn Adhari, pp. 96, 97. (٩)

Journ. Asiat., loc. cit., p. 212, note I. (١٠) ذكر موسى بن عزرا في

أن اسمه هو ابن أبي موسى ، وفي الواقع أن هذا هو الاسم الذي يخلعه الحميدى على ابن بقة .

Abbad., t. II, p. 34. (١١)

(١٢) كان من بين الأسرى ابن حزم وابن الباجي صاحب ديوان الرسائل وغيرهما ، راجع ابن بسام : الذخيرة ، طبعة جامعة القاهرة ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، ص ١٧٠ ، وحاشية رقم ١٤ - (المترجم) .

(١٣) فيما يتعلق بهذه الأحداث راجع ما ورد عن ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ١٧١ - ١٧٥ (وفي طبعة جامعة القاهرة ، ص ١٦٦ - ١٨٠) ، وابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٣٢٧-٣٢٩ مادة : « زهير » ، ص ١٢٩-١٣٢ ، مادة : « أبو جعفر أحمد بن عباس الانصاري » . وانظر ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٦٨ وما بعدها ، والمقرئ : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، Abbad., t. II, p. 34.

(١٤) انظر ما نقله موتك عن ابن عذاري في الجريدة الاسيرية ، ص ٢١٢ ، وفي هذه العبارة يجب أن نقرأ كلمة « أنشد » بضم الهمزة وكسر الشين ، أي مبنية للمجهول كما فعل موتك .

حواشي الفصل الثالث

(١) Dozy Recherches, 3eme ed., t. I, p. 241.

(٢) Abbad., t. I, p. 51.

(٣) فيما يتعلق بأبي الفتوح راجع مقالة ابن الخطيب في الاحاطة ، ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٧ ، وفيها ما ذكره السيوطي في بغية الوعاة والرحميدى . راجع ايضا ما كتبه الضبي في بغية المتعس (طبعة كودرا) عن مجاهد ، ص ٤٥٧-٤٥٩ ، رقم ١٢٧٩ .

(٤) راجع الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٥) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٤٤ ، ٦٥ ، وترجمته ص ٥٤ ، ٦٠ .
وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٠٢ ، وابن الخطيب : الاحاطة ، نفس الجزء والصفحة ، و . Dozy : Abbad., t. II, pp. 33, 34, 207, 217.

(٦) راجع الاحاطة لابن الخطيب ، ج ١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

حواشي الفصل الرابع

- (١) ورد هذا التارخ فى الذخيرة لابن بسام ، ج ١ ص ٢٢٤ .
- (٢) ويسميه عبد الواحد المراكشى فى المعجب ، ص ٤٧ ، وترجمته ص ٥٧ بموسى بن عفان السبتي .
- (٣) لم يعد لهذه الناحية اليوم وجود فقد اندثرت ، واندثرت معالمها .
- (٤) هكذا أورده دوزى فى الأصل الفرنسى ، وقد ورد بهذا الرسم أيضا فى ابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٣ ، لكن عبد الواحد المراكشى يسميه « سكات » فى المعجب ، طبعة مصر ، ص ٤٥ - (المترجم) .
- (٥) يزعم ابن خلدون انه ذهب بعد ذلك الى « كمارش » وأحسب أن الحميدى أولى بالتصديق منه .
- (٦) فيما يتعلق بهذا الوزير راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٧ مادة: « بلجين بن باديس » .
- (٧) فيما يتعلق بالأحداث الواردة فى هذا الفصل راجع على الأخص ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١٧-٢٨٩ ، وانظر أيضا عبد الوهاب المراكشى : المعجب ، ص ٤٩-٤٥ وترجمته ، ص ٦٠-٥٤ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١٥٤-١٥٥ .
- والقرى : نفع الطيب ، ج ١ ص ١٣٢ ، ٢٨٤-٢٨٢ .

حواشي الفصل الخامس

- (١) Dozy Abbad., t. I, p. 245, t. I, p. 48.
- (٢) Abbad., t. I, p. 245. وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
- (٣) Abbad., t. I, p. 243.
- (٤) Abbad, op. cit., loc. cit. ، وانظر قصيدة المعتضد في نفس المرجع ، ص ٥٣ .
- (٥) Abbad., t. I, p. 244.
- (٦) Abbad., t. I, p. 243.
- (٧) هذه القصة وأردت في عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٦٨-٧٠ ، وترجمته ص ٨٣-٨٥ .
- (٨) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وترجمته ص ٨٢-٨٣ .
- (٩) Abbad., t. I, p. 243-244. ، وابن عبد الواحد المراكشي . المعجب - ص ٦٧ ، وترجمته ص ٨٢ ، وابن بسام : النخبة ، ج ١ ، ص ١٠٩ ب ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٩ ب ، وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .
- (١٠) Abbad., t. II, p. 52.

حواشي الفصل السادس

Abbad., t. I, p. 242.

(١)

Ibid., t. I, p. 251 ; t. II, p. 60.

(٢)

Ibid., t. II, p. 209, 218.

(٣)

(٤) ابن حيان في ابن بسام : الذخيرة ، مجلد ١ ، ورقة ١١٠٩ ، هذا وقد ورد نفس الكلام في ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، أما ابن خلدون (كما ورد في Abbad., t. II, p. 217. فيسمى هذا الأمير بعبد العزيز ، ويلاحظ أنه في القطعة الواردة في ذيل الجزء الثالث من البيان المغرب ، ص ٢١٢ يقول كاتبها أن خليفة محمد القرموني هو ولده « عزيز » ، وقد تم لأخيه اسحق الأمر .

Abbad., t. II, p. 211.

(٥)

(٦) المقصود بذلك المعتضد صاحب أشبيلية .

Abbad., t. I, p. 247-8.

(٧)

(٨) راجع ابن حيان في الذخيرة لابن بسام ، مجلد ١ ورقة ١٠٨ ب - ١١٠٩ ، وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ . وراجع أيضا قصيدة ابن زيدون الواردة في الذخيرة ، ج ١ ص ٩٩ .

Abbad., t. I, pp. 248-249.

(٩)

Ibid., t. I, p. 252.

(١٠)

(١١) Ibid, t. I, pp. 252-253. ، وراجع أيضا ابن الأبار في : Dozy : Recherches, 1ere ed., t. I, p. 286.

(١٢) راجع ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ٥١-٥٠ .

(١٣) راجع ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، مادة « ابن ممر » .

(١٤) حفظ ابن خاقان لنا في كتابه « قلائد المعاني » (طبعة باريس ، ١٨٦٤ ، ص ٢٠٧) صورة كتاب منسوب لأبي محمد بن عبد البر عن أخذ « شلب » ويزعم ابن خاقان أن ابن عبد البر قد كتب هذه الرسالة إلى المعتضد بأمر الموفق أبي الجيش ، ويقصد به « مجاهدا » أمير « دانية » . غير أن مجاهدا هذا مات سنة ٤٣٦ هـ ، على حين أن الاستيلاء على « شلب » تم سنة ٤٤٢ هـ ، أو في السنة التالية لها ، ومن ثم فيجب أخذ هذا الخطأ في الاعتبار فيما يورده ابن خاقان ، وليس هناك شك في تاريخ الاستيلاء على « شلب » وأنه قد تم بعد فتح « لبلة » و « ولبة » سنة ٤٤٢ هـ ، أنظر في ذلك : Abbad., t. I, p. 252, et cf. II, p. 210).

= وقبل فتح شنت مرية سنة ٤٤٤ هـ ، انظر في ذلك السطر الأخير من صفحة ٢١٠ من الجزء الثاني من المرجع السابق ، وكذلك ص ١٢٣ ، ومن ثم فإن المعتمد الذي لم يولد إلا سنة ٤٣١ هـ لم يكن قادرا على قيادة جيش أبيه قبل سنة ٤٣٦ هـ ، وهي السنة التي مات فيها مجاهد ، وعلى هذا الأساس يجب أن نقول أن ابن خاقان لابد أنه كان يقصد عليا خليفة مجاهدا وابنه أو أميرا آخر سواء .

(١٥) راجع Abbad., t. II, pp. 123, 210, 211. والملحق الوارد في البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ، أما التاريخ الذي يذكره ابن خلدون فهو تاريخ مغلوط ، ويرجع عليه ما ذكره ابن الأبار .

(١٦) هؤلاء الأمراء الثلاثة الذين يشير إليهم المؤلف دوزى في المتن هم ابو نورة بن أبي قره ، ومحمد بن نوح النمرى ، وعبدون بن خزون .

(١٧) راجع ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٧١ ، وقد مات يمثل هذه الطريقة كثير من الخصيان وحرس أحد الأمراء الأغالبة ، راجع أيضا نفس المرجع ، ج ١ ص ١٢٧ وترجمته ص ١٧٨ .

Abbad., t. II, p. 14.

(١٨)

(١٩) وردت خلاصة هذه الحوادث في فقرة لابن بسام ذكرها المؤلف « دوزى » في : Abbad., t. I, pp. 250-251. مع ورود بعض أخطاء ثانوية ، كذلك يذكر النويرى (انظر Abbad., t. II, pp. 129-130. بضع حقائق هامة تتعلق بهذا الموضوع ، غير أنه أخطأ إذ قال « قرمونة » بدلا من « رندة » . وأن ما يرويه ابن خلدون (شرحه ، ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢١٤-٢١٥) من الروايات ليظهر فيه الاضطراب وعدم الثبات لاسيما فيما يتعلق بالاسماء والتواريخ . انظر أيضا ابن خلدون في مقدمة كتاب البيان المغرب لابن عذارى ، ص ٨٦ ، وابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٧٠ .

Abbad., t. I, p. 248. (٢٠) ويلاحظ أن البيتين الأولين واردة في

المقري ، على حين اقتصر ابن عذارى في بيانه المغرب على ذكر البيت الأول وحده .

حواشي الفصل السابع

(١) انظر ابن حيان في مقدمة تاريخ ابن عذارى ، ص ٨٦ - ٨٨ ، وابن الخطيب :
الإحاطة ، ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١ .

Abbad., t. II, p. 210. (٢)

(٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨٠ من الأصل (= ص ٧١ من الطبعة
المصرية) وابن خاقان : قلائد العقيان (طبعة باريس) ١٨٦٤ ، ص ٩٨-١٠٠ ، مادة
« ابن عمار » .

Abbad., t. II, p. 210. (٤)

(٥) Abbad., t. I, p. 249, t. II, p. 207, وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ،
ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

(٦) Abbad., t. I, p. 250; t. II, p. 8. وعبد الواحد المراكشي : ص ٦٦ ،
وقد أخطأ هذا المؤلف في ذكر التواريخ .

(٧) هذا التاريخ مطابق لما جاء في مخطوطة « جيانجوس » في عبارة لابن حيان ،
انظر نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٥٦ .

(٨) يمكن للمقارئ مراجعة ما يتعلق بمؤامرة اسماعيل بن عباد في دوزي
Dozy : Abbad., t. I, pp. 253-259. وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ،
ص ٢٤٤ وما يليها . ونزيد على ما أورده المؤلف بأن المعتضد حاول أن يبرر قتله لولده ،
وذلك في كتاب طويل .

Abbad, t. I, pp. 51-54, 301-302; t. II, pp. 60, 63-65. (٩)
وراجع أيضا ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٨٣-٢٨٥ .

Journ. Asiat., IV eme serie, t. XVI, pp. 210-217, 220. (١٠)
ودوزي في مقدمته لابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٩٩-١٠٢ وابن الخطيب :
الإحاطة ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ، وانظر أيضا :

Dozy : Recherches, 3eme ed., t. I, p. 282 sq.
والملحق به رقم ٢٦ ، ص ٥١-٥٨ وما قاله ابن الخطيب عن الشاعر اسحق الألبيري
في الإحاطة . كذلك توجد مادة جديدة كل الجدة في الذخيرة لابن بسلام ، ج ١ ص ٢٠٠ ب -

٢٠١ ب ، وراجع أيضا ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٦٤-٢٦٦ .

حواشي الفصل الثامن

(١) Chronique du moine de Silos (Espagne Sagrada) t. XVII, c. 91-93, cf. Cronica Compestellanum (Ibid., t. XXIII), p. 327.

(٢) يسميه اسقف سيلوس "Grandaevus"

(٣) Dozy : Recherches, 3^{eme} ed., t. I, p. 104 et note I.

(٤) اورد Abbad., t. II, p. 152-153 قصيدة للمعتضد تبين مدى ايمانه ، ويصور فيها الناس وقت ذهابهم لصلاة الصبح يقول فيها :

اشرب على نور الصباح وانظر الى نور الافاق
واعلم بانك جاهل ما لم تصل بالاصباح

(٥) خبر هذه الوفادة وارد في حوليات اسقف سيلوس ، في : Esp. Sagr., t. XVII, c. 95-100.

(٦) Chron. du moine du Silos, c. 87, 90, Cron. Complutense (Esp. Sagr., t. XXIII), p. 317-318.

اما فيما يتعلق بتاريخ الاستيلاء على « قنيرة » فراجع : Ribeiro : Dissertações Chronologicas e critica.

(٧) فيما يتعلق بهذه الواقعة راجع ابن بسام : الذخيرة (الصفحة الأخيرة عن مخطوطة جوتة) ، وابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٢-٢٥٣ ، والمقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ص ١١١ ، ج ٢ ص ٧٤٨ - ٧٤٩ .

(٨) انظر ما جاء به دوزي في : Op. cit., t. II, pp. 335-336. حيث يحاول البرهنة على أن قيادة هذه الحملة كانت موكولة الى الفارس النزمدي ، وليس دى مونتريل ، الذي ذهب الى ايطاليا حوالي منتصف القرن الحادى عشر وانخرط فى غمة الجبابوات ، ثم أصبح قائدا عاما للقوات الرومانية ، وتبعاً لما يذكره « ايميه » اسقف مونت كازينو فى كتابه

L'histoire de li normont, L. I, cap. 3-4, ed. Champollion . فان القائد كان « روبرت كرسبين » الذى جمع مسيو هرش بعض التفاصيل عنه فى Furschungen zur Deutsche Geschichte, t. VIII, pp. 282 283. كتابه :

لكن لو كان هذا الانسواء صحيحا فاننا لا نستطيع تفسير لقب « قائد فرسان رومة » الذى منح له ابن حنان - وقوله حجة - على القائد المنار اليه والذى يتطابق تمام الانطباق على « وليم دى مونتريل » وليس على « روبرت كرسبين » ، ويمكن للقارئ بالاضافة الى المراجع العربية المذكورة فى : Dozy Recherches عن مسألة الاستيلاء على « بويشترو » أن يراجع ايضا ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ وما دودها ، وكذلك مقال « المحوس » فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٩) راجع التصوص الواردة في . Dozy : Recherches, pp. XLVI-L.

(١٠) Chron. du moine de Silos, c. 105, 106.

(١١) Abbad., t. II, p. 216, 219, 220.

(١٢) Abbad., t. I, pp. 251-252. ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ،

ص ٧٠ ، وترجمته ص ٨٦ ، راجع أيضا ، صفحة ٦٢ من نفس المصدر في الطبعة المصرية .

(١٣) Abbad., t. II, pp. 61-62. ، وراجع أيضا ابن عذارى : البيان

الغريب ، ج ٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

حواشي الفصل التاسع

(١) راجع عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٩-٨١ ، وترجمته ص ٩٦-٩٨ ، وكذلك ابن بسام في الذخيرة ، Abbad., t. II, p. 88.

(٢) تكاد القدرة على الشعر تكون طبيعية ركبت في جميع أهل « شلب » حتى نأذبيهم ، راجع في ذلك القزويني : عجائب الآثار (طبعة فستفلك) ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ .

(٣) راجع قصيدة المعتمد عن شلب وهي التي ستورد بعضها منها فيما بعد .

(٤) Abbad., t. I, p. 381.

(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨١-٨٢ (وفي الطبعة المصرية ، ص ٧٢) ، وترجمته ص ٩٩ - ١٠١ حيث يروي القصة على لسان ابن عمار نفسه ، هذا وقد ذكر ابن بسام في الذخيرة أنه سمعها من كثير من وزراء أشبيلية الذين ادركوا المعتمد ، انظر أيضا : Abbad., t. II, p. 120.

(٦) Abbad., t. II, pp. 150-151 ; p. 225-226.

ولم يلقب أبو القاسم بالمعتمد إلا بعد زواجه من الرميكية . وهذا اللقب منظور فيه إلى كلمة « اعتماد » ولم تكن له كنية يعرف بها من قبل ، انظر في هذا : Abbad., t. II, p. 89. وقارن هذا بما جاء في نفس المرجع ، ص ٦١ ، كذلك راجع فهرست الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى .

(٧) Abbad., t. II, p. 234.

(٨) El Conde Lucanor.

(٩) Abbad., t. II, p. 152-153.

(١٠) Abbad., t. II, p. 151.

(١١) Abbad., t. II, p. 68.

(١٢) Abbad., t. II, p. 88.

(١٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٧ ، ٨١ ، وترجمته ص ٩٥ ، ٩٩ ، وهناك دواية أخرى واردة في Abbad., t. II, p. 105. تزعم أن ابن عمار قد عاد إلى البلاد في حياة المعتضد ، ولكنها رواية يظهر فيها الاختلاق والخطأ .

(١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٨٢ ، وترجمته ص ١٠١ .

(١٥) Abbad., t. I, p. 39, 84.

(١٦) المراكشي : المعجب ، ص ٨٠ ، وترجمته ص ٩٧ - ٩٩ .

(١٧) المراكشي : نفس المرجع ص ٨٢ - ٨٣ ، وترجمته ص ١٠١ .

حواشي الفصل العاشر

Abbad., t. II, p. 148. (١)

Ibid., op. cit., loc. cit. (٢)

Ibid., t. II, p. 146. (٣)

Abbad., t. II, p. 224-225. (٤)

(٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٢ وترجمته ص ٨٩ .

Abbad., t. I, p. 392. (٦)

(٧) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٧٢ ، وترجمته ص ٨٩ .

(٨) Abbad., t. I, p. 388. وفي هذا المعنى يقول :

سأسأل ربى أن يديم بى الشكرى

فقد قرئت من مصحفى الرشدا الأحرى

إذا علة كانت لقربك علة

تمنيت أن تلقى بحسمى وأن تقوى

(٩) راجع ابن حيان فى النخبة لابن بسام ، ج ١ ص ١٥٨ ب - ١٥٩ ، وابن عذارى . البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٦-٢٥٥ .

(١٠) راجع ابن بسام : النخبة ، مجلد ١ ، ورقة ١٥٩ - ١٦٠ ، وابن حيان فى نفس المرجع ، ورقة ١٦٠ - ب ، وقصيدة ابن القصيرى الواردة فى ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة باريس) ورقة ١٥١ ، ب ، وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٥٩-٢٦١ ، وابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ . ويخطئ ابن خلدون إذ يقول أن استيلاء المعتد على قرطبة كان سنة ٤٦١ هـ ، لأن ابن بسام يقول أن هذا الاستيلاء تم قرب سنة ٤٦٢ هـ . كذلك يخطئ فيما يؤكد من أن أبا الوليد مات قبل هذه السنة . وقد وقع فى نفس الخطأ عبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٤٣ وترجمته ص ٥٢ .

Abbad., t. I, p. 46. (١١)

Abbad., t. I, p. 322; Lucas de Tuy, Chronicon Mundi, p. 100 (١٢)

Abbad., t. I, pp. 46-48, 322-324 ; t. II, p. 35, 122. (١٣)

(١٤) Ibid., t. II, pp. 16, 122, 162. وعبد الواحد المراكشي : المعجب ، =

ص ٩٠ ، وترجمة ص ١١٠ ، ويذكر ابن خلدون في العبر في الفصل الذي عقده لبنى
جهور (ج ٤ ، ص ١٥٩) أن المعتمد استرد قرطبة عام ٤٦٩ هـ ، لكننى نرى أن
من الخير أن نقتبع ما قاله عبد الواحد المراكشى الذى ينص على اليوم والشهر .

Chronicon Compositellannum (Esp. Supr. t. XXIII), p. 327. (١٥)

Abbad., t. II, p. 89. (١٦)

(١٧) راجع عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٨٣ - ٨٥ ، وترجمته ص ١٠١-١٠٢ ،
Gassales : Discurso Historico de Murcia, p. 118. وينكر

أن أبا عبد الله لعب الشطرنج ذات يوم مع « بدور فجارو » - حاكم لارقة ، وقد راهن
الاسباني على لارقة والمغربى على المرية ، فكسب الأخير الرهان ، إلا أن « بدور » نكث
بعهده ولم يوف به .

حواشي الفصل الحادى عشر

- (١) راجع ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٦-١٨٨ .
- (٢) Abbad., t. II, p. 33. وابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٦ .
أما التاريخ الوارد فى Abbad., t. II, p. 87. وهو سنة ٤٧٤ هـ فخطأ .
- (٣) Abbad., t. II, pp. 86, 91- 94.
- (٤) Ibid., t. II, p. 36. ولعل ما كان الناس يسمونه اذ ذاك بحصن بلع هو المعروف باسم " Valez-Rubio" .
- (٥) Abbad., t. II, p. 86-87.
- (٦) يشير نهزى فى المتن أعلاه الى قصيدة لابن عمار يقول فيها :
ولا تلتفت قول الرشاة ورأيهم فكل اناء بالذى فيه يرشح
وقوله أيضا فى القصيدة ذاتها :
وماذا عسى « الواشون » ان يتزيدوا سوى أن ذنبى واضح متصحح
(المترجم)
- (٧) هو ابن الشاعر الفحل أبى الوليد بن زيدون - (المترجم) .
- (٨) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٩ .
- (٩) يقوم حصن « اقوط » هذا على مسيرة فرسخ من « حرسية » ، ولا تزال أحللا هذا الحصن باقية الى يومنا هذا .
- (١٠) Abbad., t. II, p. 87.
- (١١) جاء ترتيب هذه الأبيات فى الأصل الفرنسى على غير هذا النسق ، وانما الترتيب فى المتن : هنا هو الوارد فى المرجع العربى وكما نظم ابن عمار - (المترجم) .
- (١٢) يقصد ابن عمار بذلك نفسه - (المترجم) .
- (١٣) المقصود بذلك المعتمد - (المترجم) .
- (١٤) المقصود بذلك ابن رشيق - (المترجم) .
- (١٥) وذلك فى أكتوبر سنة ١٠٨١ م .
- (١٦) Abbad., t. II, p. 103-119. وابن يسام : الذخيرة ، مادة « ابن عمار وعبد الواحد المراكشى : العجب ، ص ٨٥-٩٠ ، وترجمته ص ١٠٣-١١٠ .

حواشي الفصل الثاني عشر

Abbad., t. II, p. 20.

(١)

(٢) راجع ما ورد عند Abbad., t. II, p. 17. وهناك حوايلات عربية بلسية مترجمة في مجموعة Chronica general fol. 39, col. 384, وانظر ابن أبي زرع .

Rodrigue de Tolède, t. VI, p. 23. . وروى القرتاس ، ص ١٠٩ خ وكذلك .

(٣) يسميه النويرى بشليب دون ذكر كلمة « ابن » - (المترجم) .

Abbad., t. II, pp. 231, 187, 174.

(٤)

وهذه القصة قائمة على رواية ابن اللبانة ، وهي رواية لا يمكن الشك في صحتها ، وكان ابن اللبانة أحد شعراء قصر المعتمد . كذلك يذكر هذا المؤلف أنها حدثت سنة ١٠٨٢م على حين يخطئ غيره عن المؤرخين فيذكرون أنها جرت عقب استيلاء الفوسر على طليطلة . أما عبد المنعم الحميرى : صاحب الروض المعطار فيروى قصة مختلفة عن هذه القصة كل الاختلاف ، راجع ذلك لى . Abbad., t. II, pp. 233-239.

(٥) يذهب بلاج الى أن هذه المدينة كانت من المدن التي فتحها الفوسر ، انظر : Pelage Avildo (Esp. Sagr.), t. XIV, c. 11.

Abbad., t. II, p. 175, 231, 286.

(٦)

Ibid., t. II, pp. 8, 193 (note 27). (٧) وابن أبي زرع . وروى القرتاس ، ص ٩٢ ، أما التاريخ فهو سنة ١٠٨٢ م كما هو وارد في المرجع الأخير . أما مؤلف الحلل الموشية كما ورد في Abbad., t. II, p. 188. فقد وهم اذ اعتبر الحادث سنة ١٠٨٤ .

(٨) لم يترجم دوزى في الأصل الفرنسى نص المعاهدة كما أوردناه كاملا في المتن أعلاه لتتضح الصورة أمام القارئ - (المترجم) .

Abbad., t. II, p. 18.

(٩)

Abbad., t. II, p. 18. (١٠) وابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

(١١) Dozy : Recherches, 3eme ed., t. II, p. 115-122. ، ويلاحظ أن هذه البيانات الأخيرة وأربعة في 336. col. 2, fol; 336. col. 3. Cronica general, fol. 315, col. 2, fol; 336. col. 3. وفي ابن الكردوبوس : كتاب الاكتفاء (الأصل والترجمة) .

Abbad., t. II, p. 21. (١٢) وابن أبي زرع : وروى القرتاس ، ص ٩٢ .

وابن خلدون (العبر) الترجمة الفرنسية ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

Annales Toledanus (Esp. Sagr.) t. XXIII, (sous l'an 1096). (١٣)

(١٤) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة الاسكوريال) ، مادة « مقاتل » ،

Abbad., t. II, p. 20. (١٥)

(١٦) راجع المقرئ . نفع الطيب ، ج ٢ ص ٦٧٢ ، وهذا البيت هو مطلع مقطوعة مؤلفة من ثلاثة أبيات . نظمها الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي ، المعروف بابن العسال .

Annales. t. II, p. 37. (١٧)

Abbad., t. II, p. 8, 139 et c. (١٨)

(١٩) مات بادييس سنة ١٠٧٢ م لتقاسم املكه حفيده عبد الله وتميم ، وكانت غرناطة من نصيب عبد الله ، وكانت مالقة من نصيب تميم .

(٢٠) يبدو أن المؤرخين الذين يذهبون للقول بأن المعتد نفسه قد رحل الى يوسف انما يخلطون بين حملة الافريقى الاولى وحملته الثانية .

Abbad., t. II, p. 27. (٢١)

(٢٢) انظر ابن الأبار في الطبعة الاولى من كتب دوزي :
Dozy : Recherches, t. I, p. 173, 174 : Abbad., t. I, pp. 169, 176; t. II, 1 p. 191-193, 231.

(٢٣) راجع ابن الأبار في المرجع السابق ، وانظر :
Abbad., t. II, p. 193. وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٩٣ ، وترجمته ص ١١٢ .

(٢٤) رد الخليفة هرون الرشيد ردا قريبا من هذا على رسالة بعثها الى الامبراطور نغفور فوكاس ، غير أن المؤلفين الذين يذهبون للزعم بأن ابن تاشفين قد اقتبس بيانا من المتنبي انما يذهبون هذا المذهب البعيد بسبب ما أورده أحد المؤرخين الذين كانوا يميلون الى ابن تاشفين ، مع أنه كان أضعف من أن يستطيع اقتباس شيء من شعر المتنبي .

(٢٥) Abbad., t. II, p. 22. وأبو الحجاج في ابن خلكان : وفيات الاعيان (طبعة فستنلد) ، ص ١٦ . وهناك جماعة من المؤرخين يذهبون للقول بأن الفونس اقترح أن يكون القتال يوم الاثنين لأن السبت عطلة عيد اليهود (وذلك بناء على ما نسب اليه من أنه قال : الجمعة لكم والسبت عطلة لليهود ، وهم وزراءنا وكتابتنا ، وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنا بنا عنهم ، والاحد لنا فاذا كان يوم الاثنين كان ما تريده من الزحف) - (المترجم) .

Abbad., t. II, p. 23, 28. (٢٦)

(٢٧) عبد الواحد المراكشي . المعجب ، ص ٩٣ ، وترجمته ص ١١٢ .

(٢٨) اذا استثنينا ما ورد في مجموعة Cronicon Lusitanum (Esp. Sagr. t. XIV, pp. 418-419). فاعتنا نرى أن جميع الحوليات اللاتينية قد خلت خلوا تاما من الاشارة الى وقعة زلاقة ، على أن بعض المراجع العربية اطالت الكلام عنها وانظر في ذلك.
= كتاب دوزي

حواشي الفصل الثالث عشر

- (١) في تحقيق تاريخ قدوم المرابطين الى الاندلس كتب المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنسال ملحقاً لهذا الفصل ، وقد ترجمناه وأوردناه في الملحق رقم ١ ص ٢١٣-٢١٥ بعد انتهاء فصول هذا الجزء ، فراجع هناك - (المترجم) .
- (٢) Abbad., t. II, pp. 23, 199.
- (٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٤ ، ترجمته ص ١١٥ .
- (٤) Abbad., t. II, p. 25.
- (٥) Abbad., t. II, p. 120.
- (٦) Ibid., t. II, p. 25. على أنه ينبغي تصحيح هذه العبارة بالاستعانة بما هو وارد في: Abbad., t. I, pp. 172-175. نقلاً عن ابن خاقان .
- (٧) Abbad., t. II, p. 121.
- (٨) Dozy : Recherches 2eme. ed., t. II, p. 128.
- (٩) Abbad., t. II, p. 207.
- (١٠) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٢ ، وترجمته ص ١١٢-١١٣ .
- (١١) Abbad., t. II, p. 202 203.
- (١٢) هو أبو بكر وزير المعتمد .
- (١٣) Abbad., t. II, p. 221.
- (١٤) انظر صاعدا الطليطلي : طبقات الامم ، وراجع : Dozy : Recherches, 1ere ed., t. I, p. 4.
- (١٥) انظر الذخيرة لابن يسام ، طبعة كلية الآداب - جامعة فؤاد الاول بالقاهرة المجلد الثاني من القسم الاول ، ص ٣٧٤ - (المترجم) .
- (١٦) Abbad., t. II, pp. 131-132.
- (١٧) ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤١ - ٤٢ ، مائة : أبو جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك النسائي القليعي (وهو القليعي في طبعة القاهرة) .
- (١٨) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٦-٩٧ ، وترجمته ص ١١٧-١١٨ .

(١٩) راجع في ذلك دوزي في *Abbad., t. pp. 39, 121, 203.* وابن خلكان وفيات الاعيان ، ص ٢٥ ، ويلاحظ أن كثيرا من التفاصيل التي أوردها ابن أبي زرع في روض القوطاس ، ص ٩٩ ، وعبد الواحد المراكشي في المعجب ، ص ٩٢ ، وترجمته ص ١١٢-١١٣ تعوزها الدقة ومطابقة الواقع ، انظر أيضا *Gesta Roderici* أما فيما يتعلق بمسألة اليعمين فراجع التعليق الذي ترجمناه عن ليفي بروفنسال والذي كتبه لهذا الفصل . انظر فيما بعد ص .

(٢٠) ابن الخطيب . الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٢١) *Abbad., t. II, p. 211.*

(٢٢) ابن خلدون : العبر (الترجمة الفرنسية) ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

(٢٣) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوطة الاسكوريال) ، مادة « مقاتل » .

(٢٤) أي أنه يرى مثله .

(٢٥) راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، (مخطوطة الاسكوريال) مادة و عبد الله بن بلهين و « الموتل » راجع أيضا . *Abbad., t. II, p. 9, 26, 30, 179, 203-204.* وابن أبي زرع : روض القوطاس ، ص ٩٩ ، أما فيما يتعلق بالتاريخ فراجع في آخر هذا الجزء التعليق الذي كتبه الأستاذ ليفي بروفنسال ، وانظر حاشية رقم ١٩ .

(٢٦) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٢٦ ، وابن خلدون : كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٧٩ من الترجمة الفرنسية ، وأيضا : *Abbad., t. II, p. 180, 204.*

خواشي الفصل الرابع عشر

- (١) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٩٨ ، وترجمته ص ١١٩ .
- (٢) *Abbad.*, t. I, pp. 54-55. أما التاريخ الذي ذكره دوزي في المتن أعلاه فوارد في ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٠ ، وفي عبد الواحد المراكشي ، ص ٩٦ ، وترجمته ص ١١٩ ، أما ابن الخطيب (كما في *Abbad.*, t. II, p. 178. يرى أن أخذ قرطبة تم في شهر أغسطس .
- (٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠ .
- (٤) انظر *Abbad.*, t. II, pp. 42, 232 وابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، *Annales Toledanos* (تحت سنة ١٠٩٢ وهي خطأ) .
- (٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٠١-٥٨ ، وترجمته ، ص ١١٩-١٢٢ (وفي الطبعة المصرية ، ص ٩٠) ، *Abbad.*, t. I, pp. 55-51; 303-304, 306; t. II, p. 60, 178, 204, 205, 227, 232, 237.
- (٦) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٧٢ ، ١٧٤ ، *Dozy - Recherches* (3eme ed.), t. I, pp. 271-272.
- (٧) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠١ .
- (٨) *Abbad.*, t. II, p. 44.
- (٩) انظر ما ذكره ابن الخطيب من قول وارد في : *Dozy : Recherches*, (1ere ed.), t. I, p. 179. حيث ينبغي أن نقرأ كلمة « أمير » بدلا من « عصر » ثم قارن هذا بما جاء في : *Cronic Lusit.*, p. 419 ; *Annales Complut.*, p. 317.
- (١٠) ابن الأبار وابن الخطيب في : *Dozy : Recherches*, t. I, pp. 175, 179, 180. وابن خلدون في *Hongvliet*, p. 3. هذا وقد صحح نص العبارة في : *Dozy : op. cit.*, pp. 156-159.
- (١١) راجع دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « السيد » والمراجع الواردة هناك .
- (١٢) ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ١٨٢ .
- (١٣) راجع ابن الأبار : الحلة السرياء ، ص ٢٢٥ ، ويلاحظ أن هذا المؤلف يذكر يوما من أيام الشهر لا يفتق والأسبوع ، انظر أيضا ابن أبي زرع : روض القرطاس ،

ص ١٠٤ ، والحلل الموشية (طبعة تونس) ، ص ٧١-٧٢ ، هذا وقد بقي عماد الدولة مالكا لرويدة Reuda حتى اات سنة ١١٣٠ م ثم تأسزل ابنه وخليفته سيف الدولة عن قلعته بعد ذلك بعشر سنوات لالفونس السابع .

(١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٢ وترجمته ص ١٤٧ .

(١٥) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٧ ، وترجمته ، ص ١٥٣ .

(١٦) نقل ابن خلدان في قلائد الاعيان (طبعة باريس سنة ١٨٦٤ م) ص ١٨٠-١٨١ وذلك في معرض كلامه عن ابي محمد بن الجبير قطعة من رسالة وجهها الى ابن حديد .

(١٧) المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ج ٢ ص ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٤٧٢ .

(١٨) Chronicon Adefonsi Imperatoris (Esp. SCagrè., t. XXI, c. 81.

(١٩) نضيف في هذه الترجمة العربية ما قاله الشاعر ابن البني في إحدى قصائده معرضاً بآين حديد .

يريد ابن حديد أن يعتلى وجدواه آتآى من الكوكب

وانظر عبد الواحد المراكشي : المعجب . ص ١٢٣ ، وترجمته ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢٠) انظر ابن خاقان في المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٥٩٠ .

(٢١) المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٢٢) المقرئ . نفع الطيب . ج ٢ ص ٣٠٣-٣٠٤ ، وعبد الواحد المراكشي المعجب ص ١٢٢ ، وترجمته ص ١٤٧ .

(٢٣) راجع ابن أبي أصيبعة في المقرئ : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢٤) فيما يتعلق بالدين في اسبانيا والمغرب ايان هذه الحقبة راجع جولد تسيهر في مقدمته لطبعة كتاب ابن تومرت التي قام بنشرها لوشياني .

(٢٥) راجع دائرة المعارف الاسلامية والمراجع المذكورة هناك .

(٢٦) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٢٣-١٢٤ ، ١٣٧ ، وترجمته ص ١٤٩ ، ١٦٠ ، والحلل الموشية (طبعة تونس) ، ص ٧٦ .

(٢٧) راجع الجزء الثاني من هذه الترجمة العربية ، ص ١٠٠٠ .

(٢٨) الحلل الموشية ، ص ٥٨ ، أما فيما يتعلق بلوسينا وسكانها اليهود فراجع الادريسي (النص العربي . Description de l'Afrique et de l'Espagne, p. 205. وترجمته ص ٢٥٢-٢٥٣ .

Journ. Asiat., IV serie, t. XVIII, p. 513. (٢٩)

Cf. Dozy : Recherche , 3eme ed., t. I, pp. 348-363 (Sur l'expédition d'Alphonse le Batailleur contre l'Andalousie. (٣٠)

Chronicon Adefonsi Imperatorio (Espagna Sagrada), t. XXI, (٣١)
c. 64.

(٣٢) ابن أبي زرع روض القرطاس ، ص ١٠٨ .

(٣٣) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١١٤ ، وترجمته ص ١٣٧ ، والحلل
الموشية (طبعة تونس) ص ٨٩ ، وانظر أيضا . Chronic. Lusit (Esp. Sagrada,
t. XIV, p. 326.

(٣٤) ورد هذا القول في ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٨ .

(٣٥) راجع القرى : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وابن خلكان : وفيات
الاعيان ، ص ١٧ - ١٨ ، اما قاضي الجماعة هذا فقد مات مقتولا في وقعة « كتندة » قرب
دارقة سنة ١١٢٠ م ، راجع القرى : نفع الطيب ، ج ٢ ص ٧٥٩ .
(٣٦) الحلل الموشية ، ص ٦١-٦٢ .

(٣٧) Idrisi : Description de l'Afrique et de l'Espagne (textes
arabe), p. 70, et trad., p. 80.

(٣٨) ابن أبي زرع . روض القرطاس ، ص ١٠٨ والحلل الموشية ، ص ٥٩ .

(٣٩) المراكشي . المعجب ، ص ١٤٨ ، وترجمته ص ١٧٩ (١٨٠) .

(٤٠) واسمه الكامل هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصايغ ، راجع عنه
دائرة المعارف الاسلامية .

(٤١) راجع ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ص ٢٤٢-٢٤٦ ، مادة « أبو بكر بن
ابراهيم » ، وانظر أيضا ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٤٦-٣٥٣ .

(٤٢) فيما يتعلق بهؤلاء « الروم » الذين هم في الواقع « الصقالبة » ، راجع :
Chronicon Adefonsi (Esp. Sagr.), t. XXI, c. 45-46, 94.
وكذلك الحلل الموشية ، ص ٦١ .

(٤٣) راجع عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ، وترجمته
ص ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٧٩ .

(٤٤) الحلل الموشية ، ص ٨٩ . اما فيما يتعلق بغياح المرابطين من اسبانيا
فراجع :

F. Codera Decadencia y desaparicion de los almoravides en Espana,
Saragosse, 1899.

(٤٥) Chron. Adefonsi Imperatoris cf. 13-16. اما فيما يتعلق

ببرج قادش أو اعمدة مرقل فراجع :

Dozy : Recherches, 3eme ed., pp. 311-312.

والمالحق الوارد هناك تحت رقم ٣٥ .

(٤٦) Chronicon Adefonsi Imperatoris, c. 60, 82, 88.

(٤٧) راجع الحلل الموشية ، ص ٨٩ .

(٤٨) الحلل الموشية ، ص ٦٣ ، وابن الأثير : الكامل ، ص ٣٩٢ ، ج ١٠ ، وترجمته :
Annales du Magreb et de l'Espagne, p. 525-526.

Chronicon Adefonsi Imperatori, c. 16. (٤٩)

Ibid., c. 88. (٥٠)

حواشي الفصل الخامس عشر

(١) ابن الخطيب : الاحاطة (مخطوط الاسكريال) . مادة عبد الله بن بلقين :
Abbad., t. I, p. 59-61. (٢)

Abbad., t. I, pp. 313-314 ; t. II, pp. 71, 75, 232. (٣)
وعبد الواحد المراكشي . المعجب ص ١٠٢ ، وترجمته ص ١٢٣-١٢٤ .

Abbad., t. I, p. 383.

(٦) انظر الدائرة .

Abbad., t. II, p. 73-74. (٧)

Abbad., t. I, p. 68. (٨)

Abbad., t. I, pp. 63, 64. (٩)

(١٠) فيما يتعلق بابن زهير وأسرته راجع دائرة المعارف الاسلامية .

(١١) انظر المقرئ . نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ .

(١٢) ينسب المعتمد في هذا البيت الى ابنة عريف شرطته ، وكانت بنات المعتمد في
أسمهن رحن يفزلن لها الثياب ، أما عريف شرطته هذا فكان هو الذي يزع الناس بين يديه
حين يرويه ، ولم يكن المعتمد يرى هذا الشرطى الا في هذا اليوم فقط ، راجع المراكشي .
المعجب ص ٩٨ طبعة مصر - (المترجم) .

(١٣) الكلام هنا على لسان المعتمد ، ويعنى بذلك أنه اذا ظهر المعتمد كانت مهمة
هذا الشرطى النداء بين يديه .

(١٤) عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٠٩ ، وترجمته ص ١٣١ .

Abbad., t. II, pp. 147-149. (١٥)

(١٦) للتعريف بابن اللبابة الذي ينسب اليه دوزى في اكثر من موضع في هذا الكتاب
نقول انه كان من الشعراء المحبدين ، الى جانب ما امتاز به من صدق الوفاء ، وكان
« صديقا » بكل ما تحمله هذه الكلمة من حسن الجوارح ، ومع أن من آثاره لنا لا يتردد
تماما باظهار هذه الناحية الا أنها تتجلى من سيرته التي يعرض لها دوزى بطرف في نصله
هذا الذي نترجمه أعلاه ، أما من الناحية الادبية فحسبنا شهادة المراكشي بأنه « نبيل المأخذ
حسن الميع ، جمع بين سهولة الالفاظ ورشاققتها ، وجودة المعاني ولطافتها ، وكان منقطعا

الى المعتمد وان لم يكد عليه الا آخر مدته ، راجع ما ورد عليه بالاسهاب في « المعجب » ،
ص ١٠٢-١٠٣ من الطبعة المصرية - (المترجم) .

(١٧) راجع قصيدة ابن اللبانة الواردة في .
Abbad., t. I, p. 319-320.
وشرحها اللاتيني في نفس المرجع ، ص ٣٦٦ وما بعدها .

(١٨) يقع حصن « منت ميور » بالقرب من « مارتلة » التي يسميها الاسبان اليوم باسم
DESPEPLADO وهي ناحية مهجورة .

Abbad., t. I, pp. 228-229 t. II, p. 64. (١٩)

Ibid., t. I, p. 66. (٢٠)

Ibid., t. I, p. 63. (٢١)

Abbad., t. I, p. 310-311. (٢٢) المعجب (طبعة مصر) ، ص ١٠٠ و

Abbad., t. I, p. 306. (٢٣)

(٢٤) بدأت ثورة عبد الجبار سنة ١٠٩٢ م ، وبعد سنتين من ذلك التاريخ دخل هذا
الامير مدينة « أركش » فحاصره بها « سير » حاكم اشبيلية ، وقتل هو نفسه بسهم أصابه
اودى به ، غير أن أتباعه ظلوا على ما هم عليه من التمرد ولم يستسلموا الا بعد حين .
Abbad., t. II, pp. 1228; t. I, pp. 64-65. انظر :

Abbad., t. I, p. 71. (٢٥)

Abbad., t. II, p. 63. (٢٦) راجع ابن الجبار في :

Abbad., t. I, p. 40. (٢٧)

Abbad., t. II, pp. 66. 67. (٢٨)

الملاحق

- ملحق رقم ١ : تحقيق تاريخ قدوم ابن تاشفين الى الأندلس بقلم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ، كتبه خصيصا للطبعة الجديدة من هذا الكتاب باللغة الفرنسية .
- ملحق رقم ٢ : ثبت بتواريخ ملوك القرن الحادى عشر المسلمين .
- ملحق رقم ٣ : ثبت بأسماء الأعلام والأماكن برسميها العربى واللاتينى .
- ملحق رقم ٤ : المصادر والمراجع التى استعملها المؤلف والمعلق والمترجم العربى

ملحق رقم ١

حين عهدت مطبعة بريل الى الاستاذ ليفى بروفنسال باخراج نسخة جديدة من كتاب دوزى هذا باللغة الفرنسية ، كتب هذا الملحق الذى يحقق فيه تاريخ قدوم ابن تاشفين ، وهو يتعلق بالفصل الثالث عشر من هذا الجزء [المترجم] .

يقول ليفى بروفنسال :

لقد برر المؤلف (رينهرت دوزى) التاريخ الذى آثره فى تحقيق هذا الفصل فهو يرى أن مجيء يوسف (بن تاشفين) للمرة الثانية الى الأندلس كان فى ربيع سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠١٠ م) ، أى بعد وقعة « زلاقة » بثلاث سنوات ونصف سنة ، وحاصر حصن « الليط » فى صيف ذلك العام ، واستولى على غرناطة فى نوفمبر ، غير أن أبا الحجاج البياسى (كما هو وارد فيما ذكره ابن خلكان عن يوسف) وصاحب روض القرطاس ومؤلف الحلل الموشية فيذكرون تاريخا غير هذا التاريخ ، اذ يشيرون الى أن يوسف بن تاشفين جاء الى الأندلس للمرة الثانية سنة ٤٨١ هـ (= ١٠٨٨ م) وأنه حاصر حصن الليط فى تلك السنة ذاتها (١) ، ويقولون انه عاد الى أفريقية فى الخريف ، ثم رجع الى أسبانيا لثالث مرة . سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) وحينذاك استولى على غرناطة (٢) .

وهناك وجهة نظر تخالف هذه النظرة ، اذ يجب أن نلاحظ أن أولئك المؤرخين الذين أخذوا بهذا الرأى ليسوا من المؤرخين القدماء ، فأبوا الحجاج البياسى قد كتب ما كتب فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم جاء صاحب « روض القرطاس » بعده بقرن من الزمان فكتب كتابه ، ومثله صاحب « الحلل الموشية » . أضف الى هذا ما يمكن أن ينالهم من التجريح (٣) .

(١) يسميه « بيلاج دوليدو » فى الفصل الحادى عشر باسم حصن Alaet كما انه يعده من بين المدن التى استولى عليها الفونس ، ولكن بالرجوع الى Gestar Roderici نجد انه وارد باسم Halaet .

(٢) يخطئ ابن أبى زرع صاحب روض القرطاس خطأ جسيما اذ يتكلم عن حصار طليطلة فى هذه الفترة بالذات .

(٣) ينال هذا التجريح على وجه الخصوص صاحب روض القرطاس .

ثم انهم لم يتفقوا فيما بينهم على تحديد الشهر فبينما نجده ابن أبي زرع يؤكد أن مجيء يوسف الى الأندلس للمرة الثانية كان في شهر ربيع الأول سنة ٤٨١ هـ (= يونيو ١٠٨٨ م) اذا بنا نجده البياسي يقول انه قدمها في شهر رجب أى في سبتمبر أو أكتوبر .

ومن ناحية أخرى نجد أن أقدم المؤرخين الثقات في هذا الموضوع ، أعنى مؤرخي القرن الثاني عشر الميلادي يتفقون على أن حصار « الليط » والاستيلاء على غرناطة قد حدثا في سنة واحدة هي سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) . ومن ذلك مثلا أن ابن « قاسم الأشبيلي » الذي كتب أصدق تاريخ للمعتمد (٤) - وهو الكتاب الذي حفظ لنا ابن الأبار بعض أجزاء منه - يقول ان يوسف بن تاشفين والأمراء الأندلسيين قد حاصروا الليط (٥) سنة ٤٨٣ هـ ، ويقرر محمد بن ابراهيم (٦) انه منذ قتلوم يوسف للمرة الثانية الى الأندلس أخذ في محاصرة « الليط » والاستيلاء على غرناطة .

ويقول ابن الكردبوس نفس هذا القول في كتابه الاكتفا (٧) . ثم يضيف الى ذلك ان يوسف جاء الأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٩٠ هـ (= ١٠٩٧) .

ويمكن أن نضيف الى هذه الشهادات الجديرة بالثقة شهادة ابن الأثير (٨) المؤرخ الذي كتب كتابه وهو بالموصل ، ومن ثم لم يكن على علم تام بموصل بأخبار الأندلس مما أدى الى وقوعه في الخطأ حين يقول ان حصار « الليط » والاستيلاء على غرناطة كانا بعد سنة من وقعة « زلاقة » ، أي سنة ٤٨٠ هـ (= ١٠٨٧ م) .

أما فيما يتعلق بالتاريخ الدقيق للاستيلاء على غرناطة فان ابن الصيرفي (٩) يقول انه وقع يوم ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ ، غير أن هناك اعتراضين يجرحان هذا التاريخ أولهما أن ١٤ رجب (= ٢٦ أغسطس)

Cf. Abbad., t. II, p. 92. (٤)

Abbad., t. II, pp. 121-122. (٥)

Ibid., t. II, pp. 8, 9. (٦)

Ibid., t. II, pp. 26, L. 12. (٧)

وقد أخطأ المؤلف في كتابته إذ يجب أن نفهم أن كلمة « الغزوة » عنده حملة يوسف ضد « الليط » .

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ .

(٩) راجع ما كتبه من المعتمد وعن عبد الله بن بلجين ;

لم يكن يوم أحد بل كان يوم خميس (١٠) . والأمر الثاني هو أنه من المستحيل على يوسف أن يتمكن من الاستيلاء على غرناطة في شهر أغسطس لأنه قد وطأ الأندلس في الربيع وحاصر « الليط » مدة أربعة أشهر حتى دخل الشتاء كما يؤكد مؤلف روض القرطاس . وأظن أنه بدلا من الأحد ١٤ رجب « يجب أن تكون القراءة » الأحد ١٤ رمضان « أي العاشر من نوفمبر ، يؤيد هذا أن يوم ١٤ رمضان يطابق يوم الأحد ، وكثيرا ما يحدث الخلط بين هذين الشهرين ، من ذلك مثلا أن طائفة من المؤرخين يقولون ان وقعة زلاقة جرت في شهر رمضان سنة ٤٧٩ هـ ، على حين أن طائفة أخرى تقول انها وقعت في شهر رجب ، ويمكن تفسير ذلك بأن القوم في ذلك الزمان كانوا يستعملون مختصرات للدلالة على الأشهر ، وعلى هذا يكون من السهل الخلط بين شهري رجب ورمضان لاتفاقهما في الحرف الأول من كل منهما . وليس هناك دليل يمكن أن ينقض هذا الرأي حيث يقول البياسي ومؤلف روض القرطاس ان يوسف قد ركب البحر لثاني مرة قبل نهاية رمضان ، أي قبل ٢٦ نوفمبر ، وبذلك يكون قد تيسر له في ستة عشر يوما مقابلة الأمراء الأندلسيين والسفر الى غرناطة والجزيرة الخضراء .

ليفي بروفنسال

(١٠) الظاهر أن الأستاذ ليفي بروفنسال أخطأ في إيراد الشهر الجريجوري ، فإذا أخذنا بأن الحادثة وقعت يوم الأحد ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ فإن هذا اليوم والتاريخ لا يطابقهما يوم ٢٦ أغسطس ، ذلك لأن يوم ١٤ رجب سنة ٤٨٣ هـ ، كان يوم الخميس ، ومعنى هذا أن الخميس ١٤ رجب يطابقه يوم ١٢ سبتمبر ١٠٩٠ م ، وذلك بناء على ما جاء في جدول السنين بكتاب التوقيعات الإلهامية ، ص ٢٤٢ .

(١١) روض القرطاس ، ص ٩٦ ، ويقول صاحب الحلل الموشية انه وقع في مدة شهر ، غير أن الحصار استمر مدة أطول من هذه بطبيعة الحال .

ملحق رقم ٢

ثبت بتواريخ ملوك القرن الحادى عشر المسلمين فى الأندلس

١ - مملكة أشبيلية

بنو عباد

- ١ - محمد بن اسماعيل القاضى ١٠٢٣ - ١٠٤٢ م (= ٤١٤ - ٤٣٤ هـ)
- ٢ - عباد بن محمد المعتضد ٤٣٤ - ٤٦٢ هـ (= ١٠٤٢ - ١٠٦٩ م)
- ٣ - محمد بن عباد المعتمد ٤٦٢ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٦٩ - ١٠٩١ م)
هذا وقد كان خلع المعتمد عن العرش على يد المرابطين .

٢ - مملكة قرطبة

بنو جهور

- ١ - جهور بن محمد بن جهور ٤٢٣ - ٤٣٥ هـ (= ١٠٣١ - ١٠٤٣ م)
- ٢ - محمد بن جهور ٤٣٥ - ٤٥٧ هـ (= ١٠٤٣ - ١٠٦٤ م)
- ٣ - عبد الملك وعبد الرحمن ولدا محمد بن جهور ، وقد ظلا فى الحكم حتى حوالى سنة ٤٦٣ هـ (= ١٠٧٠ م) ، وقد ضمت قرطبة الى مملكة أشبيلية .

٣ - مملكة مالقة

بنو حمود

- ١ - ادريس بن على بن حمود (المؤيد) ٤٢٧ - ٤٣١ هـ (= ١٠٣٥ - ١٠٣٩ م)
- ٢ - يحيى بن ادريس بن على (القائم) ٤٣١ - ٤٣٢ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٤٠ م)

٣ - حسن بن يحيى بن علي بن حمود المستنصر ٤٣٢ - ٤٣٣ هـ
(= ١٠٤٠ م) .

(= ١٠٤٠ - ١٠٤٢ م) ثم نجاء الصقلي ٤٣٣ هـ (= ١٠٤٢ م) .

٤ - ادريس (الثاني) بن يحيى بن علي بن حمود العالي ٤٣٣ - ٤٣٩ هـ
(= ١٠٤٢ - ١٠٤٧ م) .

٥ - محمد (الأول) بن ادريس (الأول) بن علي بن حمود : المهدي
٤٣٩ - ٤٤٦ هـ (= ١٠٤٧ - ١٠٥٤ م) .

٦ - ادريس الثاني بن يحيى بن ادريس الأول : السامى ٤٢٦ هـ
(= ١٠٥٤ م) .

٧ - ادريس الثاني (مرة أخرى) ٤٤٦ - ٤٤٧ هـ (= ١٠٥٤ -
١٠٥٥ م) .

٨ - محمد (الثاني) بن ادريس الأول : المستعلي ٤٤٧ - ٤٤٩ هـ
(= ١٠٥٥ - ١٠٥٧ م) .

ثم تم بعد ذلك ضم مالقة الى مملكة غرناطة .

٤ - مملكة الجزيرة الخضراء

بنو حمود

١ - محمد بن القاسم بن حمود ٤٢٧ - ٤٤٠ هـ (= ١٠٣٥ - ١٠٤٨ م)

٢ - القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود ٤٤٠ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٤٨ -
١٠٥٨ م) .

حيث ضمت الجزيرة الخضراء الى مملكة أشبيلية .

٥ - مملكة غرناطة

بنو زيري

١ - زاوي بن زيري ٤٠٣ - ٤١٠ هـ (= ١٠١٢ - ١٠١٩ م) .

٢ - حبوس بن ماكسن ٤١٠ - ٤٢٩ هـ (= ١٠١٩ - ١٠٣٨ م) .

٣ - باديس بن حبوس ٤٢٩ - ٤٦٦ هـ (= ١٠٣٨ - ١٠٧٣ م) .

- ٤ - عبد الله بن باديس ٤٦٦ - ٤٨٣ هـ (= ١٠٧٣ - ١٠٩٠ م) .
ثم ضمت غرناطة الى دولة المرابطين .

٦ - مملكة قرمونة

بنو برزال

- ١ - محمد بن عبد الله ٤٠٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠١٣ - ١٠٤٢ م) .
٢ - عزيز بن محمد المستظهر ٤٣٣ - ٤٦٠ هـ (= ١٠٤٢ - ١٠٦٧ م) .
وقد ضمت مملكة قرمونة الى مملكة أشبيلية .

٧ - مملكة رندة

بنو افرن

(بكسر الهمزة وسكون الفاء بعدها واو مفتوحة)

- ١ - أبو نور هلال بن أبي قررة ٤٣١ (؟) - ٤٥٠ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٥٨ م) .
٢ - باديس بن هلال ٤٤٩ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٥٧ - ١٠٥٨ م) .
٣ - فتوح بن هلال ٤٥٠ - ٤٥١ هـ (= ١٠٥٨ - ١٠٥٩ م) .

٨ - مملكة مورور

بنو ومر

(بفتح الراء المهملة بعدها ميم مشددة مفتوحة)

- ١ - نوح بن أبي طريه ٤٠٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠١٣ - ١٠٤١ م) .
٢ - محمد بن نوح ٤٣٣ - ٤٤٩ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥٧ م) .
٣ - منار بن محمد بن نوح ٤٤٩ - ٤٥٩ هـ (= ١٠٥٧ - ١٠٦٦ م) .
وقد ضمت مورور الى مملكة أشبيلية .

٩ - مملكة أركش

بنو خزرون

(بكسر الخاء بعدها زين ساكنة)

- ١ - محمد بن خزرون الأرنباني ٤٠٢ - ٤٢٠ هـ (= ١٠١١ - ١٠٢٩ م) .

- ٢ - القائم بن محمد بن خزرون ٤٢٠ - ٤٦١ هـ (= ١٠٢٩ - ١٠٦٨ م)
وقد ضمت مملكة أركش الى مملكة أشبيلية .

١٠ - مملكة ولبة وسلطيش

البكريون

- عز الدولة عبد العزيز ٤٠٣ - ٤٤٤ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٥٢ م)
وقد ضمت ولبة وسلطيش الى مملكة أشبيلية .

١١ - مملكة لبلة

بنو يحيى

- ١ - محمد بن يحيى البحصبى ، تاج الدين ٤١٤ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٢٣ - ١٠٤١ م)
٢ - محمد يحيى ، عز الدين ٤٣٣ - ٤٤٣ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥١ م)
٣ - فتح خلف بن يحيى ، ناصر الدين ٤٤٣ - ٤٤٥ هـ (= ١٠٥١ - ١٠٥٣ م)
ثم ضمت لبلة الى مملكة أشبيلية .

٢١ - مملكة شلب

بنو مزين

(وشلب بكسر الشين وسكون اللام)

- ١ - عيس بن أبى بكر ، المظفر ٤٤٠ - ٤٤٦ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٥٤ م)
٢ - محمد بن عيس ، الناصر ٤٤٦ - ٤٥٠ هـ (= ١٠٥٤ - ١٠٥٨ م)
٣ - عيس بن محمد (المظفر) ٤٥٠ - ٤٥٦ هـ (= ١٠٥٨ - ١٠٦٣ م)
وقد ضمت شلب الى مملكة أشبيلية .

١٣ - مملكة شنت مربة الغرب

بنو هرون

- ١ - سعيده بن هرون ٤١٧ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٢٦ - ١٠٤١ م) .

- ٢ - محمد بن سعيد (المعتصم) ٢٣٣ - ٤٤٤ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥٢ م) .
وقد ضمت ثلث مرية الغرب الى مملكة أشبيلية .

١٤ - مملكة مارتلة

- ابن طيفور حتى سنة ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م .
وقد ضمت مملكة مارتلة الى أشبيلية .

١٥ - مملكة بطليوس

- سابور وابناه حتى سنة ٤١٣ = ١٠٢٢ م .

بنو الألفس

- ١ - عبد الله بن محمد بن مسلمة (المنصور) ٤١٣ - ٤٣٧ هـ (= ١٠٢٢ - ١٠٤٥ م) .
٢ - محمد بن عبد الله (المظفر) ٤٣٧ - ٤٥٦ هـ (= ١٠٤٥ - ١٠٦٣ م) .
٣ - يحيى بن محمد (المنصور) ٤٥٦ - ٤٦٠ هـ (= ١٠٦٣ - ١٠٦٧ م) .
٤ - عمر بن محمد (المتوكل) ٤٦٠ - ٤٨٧ هـ (= ١٠٦٧ - ١٠٩٤ م) .

١٦ - مملكة طليطلة

- يعيش بن محمد بن يعيش ظل في الحكم حتى سنة ١٠٣٦ م = ٤٢٨ هـ .

بنو ذو النون

- ١ - اسماعيل بن ذي النون (الظافر) ٤٢٨ - ٤٣٥ هـ (= ١٠٣٦ - ١٠٤٣ م) .
٢ - يحيى بن اسماعيل (المأمون) ٤٣٥ - ٤٦٨ هـ (= ١٠٤٣ - ١٠٧٥ م) .

٣ - يحيى بن اسماعيل بن يحيى (القادر) ٤٦٨ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٧٥ - ١٠٨٥ م) .

ثم وقعت طليطلة فى حوزة الفونس السادس .

١٧ - مملكة سرقسطة

(أ) بنو تعيب

(يضم التاء وفتح الجيم وسكون الياء)

- ١ - المنذر بن يحيى ٤٠٨ - ٤١٤ هـ (= ١٠١٧ - ١٠٢٣ م) .
- ٢ - يحيى بن المنذر (المظفر) ٤١٤ - ٤٢٠ هـ (= ١٠٢٣ - ١٠٢٩ م) .
- ٣ - المنذر بن يحيى بن المنذر (معز الدولة) ٤٢٠ - ٤٢٦ هـ (= ١٠٢٩ - ١٠٣٩ م) .

(ب) بنو هود

- ١ - سليمان بن محمد بن هود (المستعين) ٤٣١ - ٤٣٨ هـ (= ١٠٣٩ - ١٠٤٦ م) .
- ٢ - أحمد بن سليمان (المقتدر) ٤٣٨ - ٤٧٤ هـ (= ١٠٤٦ - ١٠٨١ م) .
- ٣ - يوسف بن أحمد (المؤمن) ٤٧٤ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٨١ - ١٠٨٥ م) .
- ٤ - أحمد بن يوسف (المستعين) ٤٧٨ - ٥٠٤ هـ (= ١٠٨٥ - ١١١٠ م) .
- ٥ - عبد الملك بن أحمد (عماد الدولة) ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م .

واستولى المرابطون على سرقسطة سنة ١١١٠ م ثم انتقلت الى حوزة النصارى سنة ٥١٢ هـ (= ١١١٨ م) .

١٨ - مملكة السهلة

بنو رزّين

- ١ - هذيل بن خلف بن رزّين ٤٠٣ - ٤٣٧ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٤٥ م) .
- ٢ - عبد الملك بن هذيل ٤٣٧ - ٤٩٧ هـ (= ١٠٤٥ - ١١٠٣ م) .

- ٣ - يحيى بن عبد الملك ٤٩٧ - ٤٩٨ هـ (= ١١٠٣ - ١١٠٤ م) .
ثم انتقلت السهلة الى حوزة المرابطين .

١٩ مملكة البونت

بنو قاسم

- ١ - عبد الله بن قاسم (نظام الدولة) وقد ظل في الحكم حتى سنة ٤٢١ هـ (= ١٠٣٠ م) .
٢ - محمد بن عبد الله (يمين الدولة)
٣ - أحمد بن محمد (عضد الدولة)
٤ - وقد ظل في الحكم من ٤٤٠ - ٤٤١ هـ (= ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م) .
٤ - عبد الله بن محمد (جناح الدولة)
وقد دخلت مملكة البونت تحت حكم المرابطين .

٢٠ - مملكة بلنسية

- ١ - ٢ مبارك والمظفر الصقليين :
٤٠٧ - ٤١٢ هـ (= ١٠١٦ - ١٠٢١ م) .
٣ - ٤ لبيب الصقلي صاحب طرطوشة .
٥ - عبد العزيز بن أبي عامر (المنصور) ٤٠٧ - ٤١٢ هـ (= ١٠١٦ - ١٠٢١ م) .
٦ - عبد الملك بن عبد العزيز (نظام الدولة) ٤٥٣ - ٤٥٨ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
ثم ضمت بلنسية الى مملكة طليطلة واصبح المأمون حاكما لطليطلة ٤٥٨ - ٤٦٩ هـ (= ١٠٦٥ - ١٠٧٦ م) .
ثم انفصلت بلنسية عن طليطلة .
٧ - أبو بكر بن عبد العزيز ٤٦٩ - ٤٧٨ هـ (= ١٠٧٦ - ١٠٨٥ م) .
٨ - عثمان بن أبي بكر ٤٧٨ هـ (= ١٠٨٥ م) .
٩ - يحيى القادر : ملك طليطلة السابق ٤٧٦ - ٤٨٥ هـ (= ١٠٨٤ - ١٠٩٣ م) .

- ١٠ - جعفر بن جفاف ٤٨٥ - ٤٨٨ هـ (= ١٠٩٢ - ١٠٩٥ م) .
 ١١ - السيد ٤٨٨ - ٤٩٦ هـ (= ١٠٩٥ - ١١٠٢ م) .
 ثم آلت بلنسية الى المرابطين .

٢١ - مملكة دانية وجزر البليار

- ١ - مجاهد (الموفق) ٤٠ - ٤٣٦ هـ (= ١٠٠٩ - ١٠٤٤ م) .
 ٢ - علي بن مجاهد (اقبال الدولة) ٤٣٦ - ٤٦٩ هـ (= ١٠٤٤ - ١٠٧٦ م) .
 ثم ضمت مملكة دانية الى مملكة سرقسطة فأصبح يحكمها :
 ٣ - المقتدر السرقسطي ٤٦٩ - ٤٧٤ هـ (= ١٠٧٦ - ١٠٨١ م) .
 ٤ - المنذر بن المقتدر ٤٧٤ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٨١ - ١٠٩١ م) .

٢٢ - مملكة مرسية

- ١ - خيران صاحب المرية ٤٠٣ - ٤١٩ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٢٨ م) .
 ٢ - زهير صاحب المرية ٤١٩ - ٤٣٠ هـ (= ١٠٢٨ - ١٠٣٨ م) .
 ٣ - عبد العزيز المنصور (من بلنسية) ٤٣٠ - ٤٥٣ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 ٤ - عبد الملك المظفر (من بلنسية) ٤٥٣ - ٤٥٨ هـ (= ١٠٦١ - ١٠٦٥ م) .
 وفي أيام هؤلاء الثلاثة الحكام كان أبو بكر أحمد بن طاهر حاكم مرسية ثم مات سنة ١٠٦٣ م (= ٤٥٥ هـ) .
 ثم خلفه ولده محمد ٤٥٥ - ٤٧١ هـ (= ١٠٦٣ - ١٠٧٨ م) .
 ثم المعتمد الأشبيلي ووزيراه ابن عمار وابن رشيق حتى سنة ٤٨٣ هـ (= ١٠٩٠ م) .

٢٣ - مملكة المرية

- ١ - خيران : ٤٠٣ - ٤١٩ هـ (= ١٠١٢ - ١٠٢٨ م) .

- ٢ - زهير ٤١٩ - ٤٣٠ هـ (= ١٠٢٨ - ١٠٣٨ م) .
 ٣ - عبد العزيز المنصور من بلنسية ٤٣٠ - ٤٣٣ هـ (= ١٠٣٨ - ١٠٤١ م) .

بنو تميم (بنو صمادح)

(بضم التاء وفتح الجيم وسكون الياء)

- ٤ - معن بن محمد بن صمادح ٤٣٣ - ٤٤٣ هـ (= ١٠٤١ - ١٠٥١ م) .
 ٥ - محمد بن معن (المعتصم) ٤٣٣ - ٤٨٤ هـ (= ١٠٥١ - ١٠٩١ م) .
 ٦ - أحمد بن محمد (معز الدولة) ٤٨٤ هـ (= ١٠٩١ م) .
 ثم انتقلت المرية الى يد المرابطين .

ملحق بالرسامين العربى واللاتينى
للمن والأعلام الواردة فى هذا الكتاب
بأجزائه الثلاثة

ثبت باسماء الأعلام والأماكن حسب رسمها
العربى واللاتينى

Acci	وادی البقاع
Achila	وقلة
Aciscle	اسكيل
Airos	ايرش
Alafoens	حصن الأخوين
Alanje	قلعة الحنش
Alava	البية
Albarracin	السهلة • شنت مرية الشرق
Alacacer de Sol.	قصر أبى دانس
Alcala	القلعة
Alcala de Guadaira	قلعة وادى ابره
Alcala la Real	قلعة يحصب
Alcala de Guadaira	قلعة وادى ايرة
Alcira	جزيرة شقر
Alcoba	القبعة
Alcubilla	حصن القبيلة
Aledo	الليط - الليط (حصن)
Algarve	الغرب (غرب الأندلس)
Algeciras	الجزيرة الخضراء
Alger	الجزائر
Alhama	حصن الحامة
Alhandega	الخنديق
Alhambra	الحمراء
Alicante	القنيط - لقنت

Aljarafe	الشرف (من أعلى اشبيلية)
Aila	أيلة
Almazare	المصارة - المعصرة
Almería	المرية
Almodaver	حصن المدور
Almohades	الموحدون
Almoravides	المرابطون
Almunecar	المنكب
Alphonse	ألفونس (ألفونس)
Alpuente	ألبنت
Andujar	أندوشر
Angelino	بنو أنجلين
Anzalcazar	حصن القصر
Aqua Portora	أقوة برطرة
Aragon	أرغونة
Archidoan	أرشدونة
Arcila	أصيلة
Arcos	أركش
Armillá	أرملة
Artavasdes	أرطباس
Arzila	أرزيلة
Asturias	أشتوريش
Atienza	أنتسة
Aurore	صبح (أم السلطان هشام المعروف بالثاني)
Avempace	ابن ياجة
Badajoz	بطليرس
Baena	بيانة
Bactica	باطقة
Bacza	بياسة
Bakdura	بقدورة (أو نقدورة)
Baléares	جزائر البليار - الجزائر الشرقية
Baltana	بالتنة

Banos (los)	الحامة
Barbastro	حصن برّيشتر • (حصن بويشترو)
Barcelona	برشلونة
Basques	البشكنس (البشقاوية)
Bayona	بونة
Baza	بازة
Beja	باجة
Belda	بلده
Bembuzar	بلنيسر (بكسر الباء واللام وسكون النون ثم باء وفتح السين ، وهى عند ابن أبى القوطية : نهر وادى قيس)
Benadallid	بنو خالد
Boabdil	أبو عبد الله (آخر ملوك غرناطة)
Babastro	بريشتر (أو بويشترو البلد)
Bougie	بوجة
Brénes	البحريون
Burgos	برغش
Butr	البتّر
Cabra	قبرة
Cadiz	قادس
Calabre	قلورية (أو قلهورية)
Calahorra	» (أو قلهورة أو قلهرة)
Calatayud	قلعة أيوب
Calatrava	قلعة رباح
Calle (la)	مرسى الخرز
Calsena	قلسانة
Campagne de la puissance suprême	غزوة القدرة
Campo de Calatrava	فحص البلوط
Campina	المقنبانية
Canête	قنيط
Canête la Real	قلعة قنيط
Cantos	القنت

Carabolia	كركبولية
Carabuey	« »
Caracuel	كركى (عند صاحب مراصد الاطلاع ولكنها كركر عند
Carcassonne	ابن عذارى ، وكرافرى عند الادريسي)
Carcastillo	قرقشونة
Cormona	قرقسنال
Carteya	قرمونة
Carthagène	قرطاجنة
Cartagonova	قرطاجنة الجديدة
Castille	قشتالة
Castilla la Vieja	عقبة البقر (قشتالة القديمة)
Castille de Bachar	عقبة البقر
Castillon (el-)	حصن بويشترو
Castro Moros	قشترموروش
Castro de Santaver	قلعة شنت بريا
Catalogne	قطالونيا
Cazlona	حصن قسطلونة
Cerdagne	سرطانييس أو سرطانية أو سردانية
Ceuta	سبتة
Le Cid	السيد - القمبيطور
Clunia	قلونية
Chaboras	الخابور
Charlemagne	شارلما (شلمان)
Chintila	شندلة
Coimbra	قلمرية أو قلنبرية
Colombera	قلنبيرة - قلنبرة
Comares	قمارش
Coria	قورة
Cordove	قرطبة
Crête	جزيرة اقريطش (كريت)

Cuenca	كونكة • قونكة
Cutelobera	قطلبيرة
Dénia	دانية
Djarnacas	شرنكاس (جبل قرب طليطلة)
Djehane	جهان (المغنية)
Duero	نهر دويرو
Ebra	نهر ابرو
Egilona	أيلة
Ejea	شبة
Eclja	استجة
Ejea	شبة
Ello	أله
Elvira	ألبيرة
Emèse	حمص
Empedocles	امبيدوكليس
Espararaguera	حصن أشبرغرة
Estepa	اشتبيط
Euphrate	الفرات
Evora	يابرة (لاروة ؟)
Falces	فالجش
Favila	فافلة
Fuente de Cantos	لقنت
Finana	فنت طحنة
Fortunio	فوتون
Froila	فرويلة
Frontière	بلاد الثغر
Funtin	ألفونتين
Gabes	قابس
Gades	قادس
Galice	جليقية
Galicia	جليقية
Garcia	غرسية

Gaton	غشون
Génil	شنيل (نهر)
Gibraleon	جبل العيون
Gijon	حيجون
Guidad Rodrigo	نيودارو رودريجو
Gomez	قومس
Grenade	غرناطة
Guadal Bullon	وادي بلون
Guadacelet	وادي لكّة
Guadaira	وادي ايره
Guadalete	وادي الفتح
Guadalquivir	الوادي الكبير
Guadarrama	وادي الرمل
Guadiana	الوادي اليافع
Quadiela	نهر اليه
Guadimellato	أرملاط
Guadalajara	وادي الحجارة
Guadix	وادي آشي
Guazalate	وادي السليط
Halaet	حصن ليط
Huebar	وبر
Huesca	وشقة
Huelva	ولبة (ائية)
Hyacinthe	برلنت
Isle Verde	جزيرة أم حكيم
Iviza	يابسة
Iznájar	حصن أشر
Jaen	جيان
Janda	بحيرة جاندا
Jarama	وادي شرنبة

Jativa	شاطية
Jean	جيان
Jerez	شريس
Jodar	شوندر
Jorge	بنو الجريج
Juviles	شبالس
Julian	خوليان (اوبوليان)
Kantis	قنتيش • قنطيش
Lacant	لقنت
Lago de la Janda	بحيرة جاندا
Lebrija	نبريشة
Lerida	لاردة
Lisbonne	لشبونة
Loja	لوشة
Lorca	لورقة
Lucene	لاشانة
Luque	حصن اقوط
Lusitania	لستانبة
Mairena	مورة
Majorque	ميورقة
Malaga	مالقة
El-malo	الخبيث (اردون)
La Mancha	لامنقة
Margueritte	حصن مرغيطة
Martinez	بنو مردنيش • حصن بنى مردنيش
Medellin	مدلين
Medinaceli	مدينة سالم
Menjibar	منجبار

Medina Sidonia	مدينة شذونة
Menteleon	حصن المنفلون
Mentesa	حصن منقشة
Merida	ماردة
Mertola	مارتلة
Minho	منهو (نهر)
Minorque	منورقة
Mola	حصن مولة
Monteaguido	حصن منت اقبط
Montefique	حصن منت فيق
Montemor	حصن منت ميور
Mula	مولة
Narbonne	أربونة
Noalejo	حصن نوالش
Nicbla	لبلة
Osconoba	اكشونبة
Orihuela	أوريولة
Urrique	أراق (أو أوراك زوجة الفونس)
Pampluna	بنبلونة
Paterna	بطرنة
Pelayo	بلاى
Pelage	بلاى (زعيم عصبة التوار ضد الفتح الاسلامى)
Peralta	بيطرة التة
Parcella	البراجلة
Pierre séche	عبد الله البطرشك
Poitier	تور أو بواتيه
Polei (Poley)	بلاى (حصن وبلد)
Recemundo	الربيع زيد بن (بريسيموندو)
Reigo	روية

Reuda	رويدة
Rodrigo	لفرنيز
Roncevaux	باب شيزروا
Ronda	رندة
Rotenda	سجن رندة
Rota	روطة
San Ascido	كنيسة شنت اشكيل (او أسكيل)
Sebarico	ينو شبرقة
Sacralias	واقعة زلاقة
Salado	وادي بكة
Salamanca	شلمنقة
Salamanque	« «
Saltes	جزيرة سلطيش
Sancho	شنجة • شانجة
Sanchoi	عبد الرحمن بن المصور
San Estevan de Gormez	شنت اشتين (شنت مورش)
San Martin	شنت مرتين
San Payo	شنت بلاية
San Viceate	كنيسة شنت بنجنت
Sant Maria	شنت مرية
Santa Maria de Lugo	قلعة لك
Santa Maria d'Aljarav	شنت مرية الغرب
Santarem	شنترين
Santa Rufina	كنيسة شنت رافنية (او ريينة)
Santiago	شنت ياقب
Saragosse	سرقسطة
Sarambo	وادي شرمبة
Sarra la Gothe	سارة القوطية
Saül	شاؤل
Secuda	شقندة
Segura	شقدمرة
Segoyuela	السواقي
Sened	شند

Servando	شبرنيد
Seville	اشبيلية
Sidona	شدونة
Sierra Morena	جبل الشارات
Sieta Filla	شنت فيلة
Silves	شلب
Simances	شنت مانكش (وقعة الخندق)
Sindola	شندلة
Slaves	الصقالبة
Somontin	جبل شنتمان
Sontebria	شنت برية
Sufetula	سبطينة
Tage	نهر تاجه
Scrivando	شربند (بن حجاج القومس)
Takrunna	تاكرونا
Talavera	طلبيرة
Tanger	طنجة
Tarascon	طريسكون
Trjare	طليارة
Tocina	طشانة
Teodomiro Ben Ergobado	تدمير بن عبدوش
Toledo	طليطلة
Torre-Cardela	حصن قرذيرة
Torrox	طرش
Tortosa	طربوشة
Tota	طوطة (ارملة شاجة الكبير)
Toulouse	طولوشة

Trafalgar	الطرف الاغر
Trijillo	ترجيلة
Triana	طريانة
Tudele	تطيلة
Tudmir	تدمير
Ulla	أيلة
Umba	اونبة
Valmuza	وادی موسى
Villabarez	حصن بارو
Villena	بلانة
Witiza	غبطشة

المصادر والمراجع المستعملة

في الأصل والترجمة

للأجزاء الثلاثة

١ - المصادر العربية

- ابن الأبار : الحلة السيرة نشره دوزى فى
Notices sur quelques manuscrits arabes, Lyden, 1847-1851
- ابن الأبار : كتاب التكملة لكتاب الصلة ، حققه A. Bel ، ومحمد
ابن شنب (ج ١) ، الجزائر ، وانظر بقيته ، ج ٥ ، ٦ ، تحقيق
F. CODERA (Complementum libri Assilab), Bibl. Ar. Hisp., t. V-VI,
Madrid, 1887; éd. M. ALARCON et A. GONZALEZ PALEN-
CIA, (app. à l'éd. CODERA), dans Miscelanea de estudios y
textos arabes, Madrid, 1915.
- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (تحقيق ج * تورنبرج ، ليدن
١٨٦٧ - ١٨٧٦ ، وانظر القسم الخاص بالمغرب واسبانيا تحقيق
E. FAGNAN, Annales de Maghreb et de l'Espagne, و ترجمة
Alger, 1901.
- الادريسي : نزهة المشتاق نشره دوزى ودى خويه بعنوان :
Nuzhat al-mustak, Description de l'Afrique et de l'Espagne, Lyden,
1866.
- أحمد بن أبى يعقوب : كتاب البلدان ، حققه ونشره دى خويه فى
الجزء السابع من مجموعة Bibl. George, Arab.
- اخبار مجموعة ، نشر محققا ومترجما الى الاسبانية بقلم لافونت
الكانترا ، مدريد ١٨٦٧.

- أبو اسماعيل البصرى : فتوح الشام ، نشره Lees ، فى كلكتا بالهند ، ١٨٥٤ فى مجموعة Bibliotheca Indica
- الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ، تحقيق دى خويه ، منشور فى A.G.A., t. I.
- ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، القاهرة .
- ابن بدرون : قصيدة ابن عبدون ، منشور بعنوان :
Commentaire historique sur le poème d'Ibn-Abdoun, pub. par R. Dozy, Leyde, 1846.
- ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ مخطوط باريس ، و ج ٢ مخطوط اكسفورد ، ج ٣ مخطوط جوته ، ونشره بالعربية د. شوقى ضيف و د. عبد العزيز الأهوانى .
- ابن بطوطة : الرحلة حققت ونشرت بعنوان :
Voyages, ed. Defremery et Sanguinetti, Paris, 1853 et suiv.
- ابن بشكوال : كتاب الصلة ، حققه ونشره كوديرا بعنوان :
(Abenpascualis : Assila., Bibl. Ar. Hisp., t. I-II. Madrid, 1883.
- تاريخ ابن حبيب (مخطوط اكسفورد ، انظر فهرست مخطوطات de Nicoll رقم ١٢٧ .
- ابن حزم : طوق الحمامة ، تحقيق Petrof ، لندن ١٩١٤ .
- ابن حزم : كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، طبع بالقاهرة ، سنة ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- الحميدى : معجم التراجم ، مخطوط رقم Hunt 464 باكسفورد .
- ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ، طبعة دى خويه فى مجموعة B.G.A., t. II.
- ابن حيان : كتاب المقتبس فى أخبار الأندلس (مخطوط بمكتبة جامعة اكسفورد ، بودليان ، رقم ٥٠٩ ، نشره M. Antisna
- ابن خاقان : قلائد العقيان (طبعة باريس) ، ومطبع الأنفس ، طبعة القاهرة .

— الخشنى : كتاب قضاة قرطبة ، نشره وترجمه الى الاسبانية
J. Ribera ، مدريد ١٩١٤ .

— ابن الخطيب : كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة (مخطوطة مكتبة
الاسكوريال برقمى ١٦٧٣ ، ١٦٧٤) ، ونشر فى القاهرة جزء منه
بعنوان مركز الاحاطة ، ١٣٤٧ هـ .

— ابن خلدون : كتاب العبر (حققه دى سلين ونشره بالجزائر بعنوان
Hist. des Berberes ١٨٤٧ - ١٨٥١ ، ثم قام بترجمته الى

الفرنسية ونشره بالجزائر سنة ١٨٥٢ - ١٨٥٦ ، وانظر طبعة
القاهرة للمقدمة وترجمتها بقلم كاترمير ودى سلين .

— ابن خلكان : وفيات الأعيان : (تحقيق فوستنفلد) طبعة جوتنجن ،
١٨٣٥ - ١٨٤٣ .

— ابن خير : الفهرست ، نشره كوديرا وريبيرا فى Index librorum de
divers Scientiarum ordinabus. ج ٩ ، ١٠ ، مدريد ١٨٩٥ .

— ديوان الحماسة ، حققه ونشره فريتاج فى بون ١٨٢٨ بعنوان :
Hamasa Carmina.

— الرازى : ترجمته الاسبانية بعنوان
Cronica del Moro Rasis (les memorias de la Academia de la
Historia, t. VIII.

— ربحان الألباب (مخطوط بمكتبة ليدن) ، رقم ٤١٥ ، وانظر
Dozy Catalogue, t. I., pp. 268-269.

— ابن أبى زرع : روض القرطاس ، نشره تورنبرج فى أوبسالا سنة
١٨٤٣ بعنوان : Annales regnum mauritaniae

— سعيد الطليطلى : طبقات الأمم (تحقيق لويس شيخو) ، بيروت
١٩١٢ .

— الشهرستاني : الملل والنحل ، حققه ونشره W. Cureton فى لندن
١٨٤٢ بعنوان : Book of Religions and Philosophical Sects.

المسلمون ج ٣ - ٢٤٦

— الضبى : بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس حققه ونشره
F. CODERA et J. RIBERA (*Desiderium quarentis historiam virorum
populi Andalusiae*), Bibl. Ar. Hisp., t. III, Madrid, 1885.

— الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى خويه ، ليدن ١٨٧٩ -
١٩٠١ .

— ابن عبد الحكم : تاريخ فتح الأندلس (النص العربى) ، وترجم
قسما منه J. H. Jones لندن ، ١٨٥٨ ، وأتم ترجمته Torrey
الى الانجليزية .

— عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق
دوزى ، وانظر ترجمته الانجليزية بعنوان :
The History of the Almohades. ليدن ١٨٤٥ ، وأيضا ترجمته الفرنسية :

E. Fagnan : Hist des Almohades, Algiers, 1893.

— ابن عذارى : كتاب البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،
نشر دوزى الجزئين الأول والثانى منه بعنوان :

Hist. de l'Afrique et de l'Espagne intitulée al-Bayano' l'mogrib, Leyde,
1848-1851.

وترجمه الى الفرنسية فانبيان ، (الجزائر ١٩٠١ - ١٩٠٤) ، أما
الجزء الثالث فقد حققه ونشره ليفى بروفنسسال ، وطبعه فى
باريس ، ١٩٣٠ .

— الفاكهى : تاريخ مكة (مخطوط بمكتبة ليدن ، رقم ٤٦٣ ، وانظر
Dozy : Catalogue, t. II, p. 170.

— فتح الأندلس : مع ترجمته الاسبانية بقلم J. Gonzalez ، طبعة
الجزائر ١٨٨٩ .

— أبو الفرج الأصبهاني : كتاب الأغاني ، طبعة بولاق .

— ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس (حققه كوديرا) ونشره بعنوان
Historia vivorum doctorum Andalusiae (Bibl. Ar. Hist.), Vol. VII
et VII. مدريد ١٨٩٢ .

— ابن قتيبة : المعارف (تحقيق ونشر فوستنفلد) ، طبعة جوتنجن ،
١٨٥٠ .

- القزويني : حققه فوستنفلد ونشره في جوتنجن ١٨٤٨ ، بعنوان :
Cosmographie .
- ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، نشره ريبيرا بالعربية مع ترجمة
له بالفرنسية ، وطبع في مدريد ١٩٢٦ .
- أبو المحاسن (ابن تغرى بردى) : حوادث الدهور ، طبعة جينبول ،
لندن ، ١٨٧٢ وما يليها .
- المسعودي : مروج الذهب ، (٩ أجزاء) ، نشره بالعربية وترجمه
الى الفرنسية باربييه دى مينارد ، ودى كورتيل ، باريس ١٨٦١ -
١٨٧٧ .
- المقرئ : نفع الطيب (تحقيق دوزى و Brell بريل ، و Wright
رايت ، ونشروه بعنوان :
Analectes sur l'Histoire de la litterature des Arabes d'Espagne.
لندن ١٨٥٥ - ١٨٦١ ، وانظر طبعة بلاق ١٢٧٩ هـ .
- النووى : تحقيق فوستنفلد ، جوتنجن ، ١٨٤٢ - ١٨٤٧ .
- النويرى (القسم الخاص بتاريخ الأندلس) حققه وترجمه الى
الاسبانية Gaspar Remíro ، غرناطة ، ١٩١٧ - ١٩١٩ .
- ياقوت الحموى : معجم البلدان (تحقيق ونشر فوستنفلد) ،
ليبزج ، ١٨٦٦ .

ALVARO, Vita Enlogii, dans l'Esp. sagr., t. X ; Epistolae, Indiculus
luminosus, ibid., t. XI.

Annales Complutenses, dans l'Esp. sagr., t. XXIII.

Annales Compostellani, dans l'Esp. Sagr., t. XIII.

Annales Toledanos, dans l'Esp. sagr., t. XXIII.

BERGANZA, Antiquedades de Espana, Madrid, 1719.

Chronicon Adefonsi Imperatoris, dans l'Esp. sagr., t. XXI.

Chronicon Albeldense, ibid., t. XIII.

Chronicon Burgense, ibid., t. XXIII.

Chronicon de Cardena, ibid., t. XXIII.

Chronicon Complutense, ibid., t. XXIII.

Chronicon Compostellanum, ibid., t. XXIII.

Chronicon Contimbricense, ibid., t., XXIII.

Chronicon Iriense, ibid., t. XX.

Chronicon Lusitanum, ibid., t. XIV.

Espana sagrada, éd. Flores, Risco, etc., Madrid, 1747-1879. 51 vol.

EULOGIE Opera, in Schot, Hispania illustrata, t. IV, ed éd. A. DE
MORALES, Francfort, 1603-08, Alcala de Henares, 1574.

Historia Compostellana, dans l'Esp. sagr., t. XX.

IDATIUS, Chronicon, ibid., t. IV.

ISIDORE DE BEJA, ibid., t. VIII, éd. TAILHAN, L'Anonyme de
Cordoue, Paris, 1885.

SIODORE DE SEVILLE, Historia Gothorum, ibid., t. VI.

LUCAS DE TUY, Chronicon mundi, in SCHOT, Hispania illustrata,
t. IV.

Manuscrit de Meya, dans les Memorias de la Academia de la Historia,
t. IV.

- MOINE DE SILOS**, *Chronicon*, dans l'Esp. sacr., t. XVII.
- PAULUS EMERITENSIS**, *De vita P. P. Emeritensium*, *Ibid.*, t. XIII.
- PELAGE D'OVIEDO**, *Chronicon regum legionensium*, *ibid.*, t. XIV.
- RODRIGUE DE TOLEDE**, *De rebus hispanicis*, in SCHOT, *Hispania illustrata*, t. II; *Historia Arabum*, in Elmacini *Historia Saracenica* ed. ERPENIUS.
- Sampiro, *Chronicon* (dans l'Esp. Sacr., t. XIV).
- SAMSON**, *Apologeticus*, *ibid.*, t. XI.
- SEBASTIEN**, *Chronicon*, *ibid.*, t. XIII.
- SOTA**, *Chronica de los principes de Asturias y Cantabria*, Madrid, 1681.
- Vita Beatae Virginis Argenteae*, dans l'Esp. sacr., t. X.
- Vita Johannis Gorziensis*, dans Pertz, *Monumenta Germaniae*, t. IV des *Scriptores*.

المسلمون في الأندلس

كشف عام

للأجزاء الثلاثة

من الترجمة العربية

كشف عام للأجزاء الثلاثة
من كتاب المسلمون في الأندلس

- أحياء علوم الدين للغزالي : ١٦١/٣
الأحيمر : ١٨٩/١
الأدب العربي : ٢٤ ، ٢٣/٣
الأدب العربي : ٨٥/١ ، ٨٦ ، ١٣
٢٤
الأدب اللاتيني : ٨٥/١ ، ٨٦
الأداسة : ٧٧/٢ - ٧٩ ، ٢٤٧
أدريس أمير مالة : ٣٤/٣
أدريس بن يحيى : ٦٨/١ ، ٦٩ ، ١٩٨
أدريس بن حمود : ١٧/٣ ، ١٨
أدريس بن يحيى بن علي بن حمود :
٤٢/٣ - ٤٥
آدم (عليه السلام) : ٩/٢
أديلارد الراهب : ١٢٢/١ ، ١٢٣
أذربيجان : ٧/٢
أراجون : ١٦٧/٣
الارتداد : ١٥٢/١
أرجنتيا بنت عمر بن حفصون
المنصرة : ١٢١/١ ، ١٣٢
أرجونة : ٣٢/٢
أرداليس : ٢٦١/١
أردبست الأمير : ٥١/١
أردونيو بن ألفونس : ١٣٥/١
٢٣١ ، ٢٩ - ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٣/٢
أردونيو الأسقف : ٨٠/٣ ، ٨٢
الأرز : ١٣١/١
- أبراهيم بن أدريس : ١٢٤/٢
أبراهيم بن الأغلب : ١٨٦/١ ، ٢١٠
أبراهيم بن حجاج : ١٧٩/١ ، ١٨٠ ، ٢٠٥ - ٢٠٧ ، ٢٠٩
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥
أبراهيم بن خمير : ١٨٤/١
أبرشية سنت جرمان : ١٢٢/١ ، ١٢٤
الأبتوس : ٥١/٣ ، ١٠٦
الاثنا عشرية (طائفة) : ١٠/٢
أحراق الكتب العربية : ٢٥٠/١
أحمد بن اسحق : ٣٢/٢ ، ٣٣ ، ٢٣٥
أحمد بن برد الكاتب : ١٩٩/٢
أحمد بن خالد : ٢١٤/٢
أحمد بن سلمة : ١٢٤/١
أحمد بن أبي العباس البربري :
٢٣٢/٢
أحمد بن محمد بن العباس : ٢/٢
٢٣٥ ، ٢٣٦
أحمد بن محمد بن أبي عبدة : ٢/٢
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦
أحمد بن يعلى : ٤٠/٢ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٢٣٨
أحمد بن معاوية الأموي : ٢١٧/٢ ، ٢٣٠

اسحق بن ابراهيم بن منتسبة

• الشالية : ٢٢٣/١

أبو اسحق الالبيري : ٧٥/٣

اسحق بن محمد بن عبد الله : ٣/

• ٥٧

أبو اسحق بن مقانا (قاضي

بطلبيوس) : ١٣٠/٣

• اسطبة : ٢٠٩/١

• اسطبل الخليفة : ٦٤/٢

• الأسفنج : ٧١/٢

• أسقف قرطبة : ١٠٩/١

اسكندرية : ٦٨/١ ، ٢٤٨ ، ٤٦/٢

• ٧٩ ، ٦٦ ،

الاسلام : ٤/١ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٤ ،

• ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،

• ١٨/٢

أسلمة بن عبد العزيز القاضي : ١/

• ٢٢٦ ، ٢٢٥

• أسماء بنت غالب : ٩٩/٢ ، ١٠٠

• اسماعيل بن ذى النون : ١٤/٣

اسماعيل بن القاضي محمد : ١٦/٣

• ٣٥ ، ٣٤ ، ١٧ ،

اسماعيل بن المعتضد : ٧٠/٣ -

• ٧٤ ، ٧٢

• الاسماعيلية : ٨/٢ - ١١ ، ١٣

• الاسهال : ٩٨/١

أسوارد الراهب : ١٠٠/١ ، ١٠١

• أسور فرناند الليونى : ٤٣/٢

• آسيا : ١٩٣/٢ ، ١٤/٣ ، ١٥٠

• أشبيلية : ٥/١ ، ٣٢ ، ٤٦ ،

• ١٣٦ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٣

• ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٥

• ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣

• ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥

• ٣٣/٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٥

• ٢٠٥ ، ١٩٩ ،

• أرزيلة : ٢٠٨/١ ، ٧٧/٢

• أرشدونة : ٤٥/١ ، ١٤٦ ، ١٩٧ ،

• ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ،

• ٢٥٩ ، ٢٢٣

• أرسلطو : ٣٧/١

• أرغونة : ٢٦١/١ ، ٥٩/٣

• أركش : ٢٠٦/١ ، ٦٢/٣ ، ٦٤ ،

• ٦٨

• أرملة لذريق : ٤٨/١

• الاسبان : ٤/١ ، ٤٦ ، ١٥١ ،

• ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩

• ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

• ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٧/٢

• ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ١١١

• ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨

• اسبانيا : ٣/١ ، ٤ ، ١٤ ، ١٥ ،

• ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ - ٣٣ ، ٣٥

• ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨

• ٥٢ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ٢٤٠ ،

• ٧/٢ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤

• ١١١ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

• ١٥/٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٤٩

• أسبرطة : ٢٣٨/١

• الاستتار : ٢٠٧/٢

• استجة : ٤٥/١ ، ١٥١ ، ١٦٨ ،

• ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،

• ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،

• ١٥١/٢ ، ٣٤/٣ ، ٣٥

• استرامادورا : ١٨١/١

• استروجا (موضع) : ٣٣/١

• استورقة : ٨٠/٣

• الاستشهاد المسيحى : ٤/١ ، ٩٦ ،

• ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٨٥

• استيلا : ٢٣٣/٢

• اسحق (صاحب قرمونة) : ٥٨/٣

أكاديمية العلوم بسنت بطرسبرج :
١٥/١

أكاديمية العلوم بكونينهاجن : ١٥/١
أكاديمية لتسي : ١٥/١
أكسفورد : ١١ ، ٩/١
أكشونية : ١٨٢/١ ، ٢٣٤ ، ٢/٢
١٨٩

أكل لحم الكلاب : ١٣٥/١
أكويتانيا : ٢٩/٢

الآلان Allans : ٣٠/١ ، ٣٢ ، ٣٣

الارليك القوطي : ٢٣٨/١
البيرة : ٤٥/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ - ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١ - ٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٧٦

الالحد : ١٥٢/١
الزائكو (موضع) : ١٦/٢
الطمشكة : ١٧٤ ، ١٦٨/١
الفارو : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ١٥٣/٣

الفارو فاينز : ١٢٨/٣ ، ١٣٢ ، ١٥٣

الفونس ملك ليون : ١٢٦/١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٤

الفونس السابع : ١٦٣/٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩

الفونس السادس : ١٠٣/٣ ، ١٠٦ - ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٧

الفونس الأول : ١٦/٢
الفونس الثالث : ١٧/٢ ، ١٨ ، ١٣٩

الفونس بن أردونيو الثاني : ٢٩/٢ ، ٣٠

الفونس الرابع : ٣٠/٢ ، ٣١

اشتبيط : ١٨٣/١

اشتورقة : ١٦/٢ ، ١٢١ ، ١٣٠
اشتوريا : ١٤/٢ ، ١٥ ، ٢٢٩
الاشتوريون : ٥٠/١ ، ١٥/٢ ، ٥٥٠
الأنراف : ٣٧/٢ ، ٨٠ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ١٠/٣
أشونة : ٣٤/٣

أصبغ بن عبد الله بن ونسون : ١/١
٢٤٧

الأصبلي (أبو محمد بن عبد الله بن ابراهيم الأموي) : ٢٥٤/٢
أصبيلة : ١٤٢/٢
الاضطهاد الديني : ٣٨/١ ، ١٥٢ ، ٢٣٧

الأعاجم : ٦٧/١
الاعتقال : ٢٠٧ ، ١٨٥/٢
اعتماد (هي الرميكية) : ٩٢/٣ ، ٩٤

أعمدة هرقل : ١٦٨/٣
الأغالبية : ٢٢٠/١ ، ١٢/٢
الاغتيال : ٩٩/٢
الأغرام : ٢٠٧/٢
الاغريق : ٣٨/٢

أغمات : ١٧٤/٣ - ١٧٧ ، ١٨١
الافرنج : ٣٢/١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٧ ، ١٤٢ ، ١٥/٢ ، ٢٠١ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٧٠ ، ١٩٨ ، ٢٤/٣ ، ٤٥ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨

أفلح بن عروس : ٢٧٤/١
أفيل : ١٦/٢

أقريطش : ٢٤٩/١

أقليم البقاع : ٢٤٢/١

أقليم دوبري : ٦/١

أقليم ليسانا : ١٦/٢
أكاديمية الآثار والآداب الفرنسية : ١١٢/١
أكاديمية التاريخ بمديريه : ١١/١ ، ١٥

- الفونس الخامس : ١٦٢/٢ .
 الفونس القوطي القصص : ١٤١/١ .
 الفيتيس الأسقف : ٨٠/٣٠ - ٨١ .
 الألمان : ٢٣٦/١ ، ٣٨/٢ .
 ألمانيا : ٨/١ ، ٩ ، ١٤ ، ٣٦ ، ٣٩/٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ١٣٩ .
 المرية : ١٥/٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٧٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٧ .
 اليزابث (عمّة ايساك الراهب) : ١٠٠/١ .
 أم القرى : ١١٦/٣ .
 إمارة كنتمونت : ١٥/٢ .
 أمباري (ميشيل) : ٢٤٣/١ .
 الأمالي (للقالى) : ٦٧/٢ .
 الامام مالك بن أنس : ٥٨/١ ، ٧٠ .
 الامام المستور : ٩/٢ .
 الأمان : ١٧٣/١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥/٢ ، ٨٢/٣ .
 الامبراطور أوجستوس : ٢٣٨/١ .
 الامبراطور قسطنطين الأول : ٢٨/١ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٩ .
 الإمبراطورية الايرانية : ٧/٢ .
 الامبراطورية البيزنطية : ٦٨/١ .
 أمينيدي وكليس : ١٣/٢ ، ٢٨٨ .
 الامويون : ٦١/١ ، ١٤٦ ، ١٨١ ، ١٩٤ ، ٢٢٧ ، ٧٧/٢ ، ١٥١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٦ .
 أمية (أخو جعفر) : ٨٠/١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٩ - ١٨١ .
 أمية بن اسحق : ٣٣/٢ ، ١٣٥ .
 أمية بن عبد الرحمن العراقي : ٢/٢ ، ٢٢١ - ٢٢٤ .
 الأمير (لقب) : ٣٠/٢ .
- أمير المؤمنين (لقب الناصر لدين الله) : ٣٠/٢ .
 أمين الخولى : ٢٤٥/١ .
 الأناجيل : ٨٥/١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٣٨ .
 أنتونيا كوندية : ١٠/١ .
 أنتيزة : ٢٤/٢ .
 انجلترا : ٩/١ .
 انجلمان (العالم الهولندي) : ١٢/١ .
 انجيل متى : ٨٩/١ .
 اندروج : ١٢١/١ .
 الأندلس : ٦/١ ، ٩ ، ١٠ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١٢/٢ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٣/١٠ .
 ٣٣ ، ٤٥ ، ١٤٠ - ١٤٢ ، ١٦٣ .
 الأندلسيون : ٦٩/١ .
 اندوش : ١٦٨/٣ .
 انيادة فرجيل : ٢٥٢/١ .
 أنيتا كايذر (السيدة) : ٢٣/١ .
 اهدار الدم : ١٤٩/٢ .
 أهل السنة : ١٠/٢ ، ١٣ .
 أهل الكلام : ٢٢٨/٢ .
 أوباش (أخو غيطشة) : ٤٦/١ .
 أوتو الأول (امبراطور ألمانيا) : ٢/٢ ، ٣٧ ، ٢٣٦ .
 أوتيه : ١٦٨/٣ .
 أوكيوس (الشاعر) : ١١١/١ .
 أودو (أمير آكويثانيا) : ٢٢٩/٢ .
 أوراك بنت فرناند كونثالث أرملة أردونيوس الثالث ، ثم تزوجت أردونيوس الرابع : ٤٢/٢ ، ٥١ ، ٢٣٩ .
 أورب : ١٣/١ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢/٢ ، ١٣٨ .
 أوريليوس (القديس) : ١٢٣/١ ، ١٢٤ ، ٢٥٨ .

٢٦/٣ - ٣٠ ، ٣٤ - ٣٧ ، ٤٥ ،
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
 ٧٢ - ٧٦ ، ١٤٣ - ١٤٨ ،
 الباز الأشهب (البص) : ٩٩/٣ -
 ١٠١
 بازو : ١٣٩/٢ ، ١٣٩/٣ ، ١٦/٢ ،
 ٢٦١
 بايزو : ١٦٨/٣
 بازيل : ٣٢١/١
 البتر : ١٧١/١
 البحر الأبيض المتوسط : ٦٨/١
 البحر الأسود : ٣٨/٢
 البحيرة : ٤٤ ، ٢٤٢
 البخل : ١١٩/١
 بدر بن أحمد الحاجب : ٢٦/٢ ، ٨٧ ،
 بدر الدين الحاجب الصقلي : ١/١
 ٢٢٦ - ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١١/١
 ابن بدرون : ٩/١
 بدرية الداخني : ٢٣/١
 بدو الليط : ١٣٢/٣
 بر العدو : ٤١/٣
 براجا : ٣٣ ، ٣٢/١ ، ١٦/٢
 البرانس : ٣١/١
 برانس قرمونة : ١٦٨/١
 البربر : ٣٩/١ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٧٢ ،
 ٨٠ ، ١٣٥ ، ١٨١ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،
 ١١/٢ ، ١٦ - ١٩ ، ٤١ ، ٧٨ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ،
 ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،
 ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ - ١٩٩

الأوزاعي : ٢٤٥/١
 أوزو (بول) : ٣٤/١
 الأوقاف : ١٩٤/٢ ، ١٩٥ ،
 أونولون (أخت أيولوج) : ٨٩/١ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥
 ايجيكا الملك : ٣٨/١
 ايريه : ١٣٨/٢ ، ١٤١
 ايزيدور (أسقف أشبيلية) : ١/١
 ٣٧ ، ٢٤٠ ، ٨٠/٣ - ٨٢ ،
 ايزيدور (أسقف الفرما) : ٣٧/١
 ايزيدور الباجي : ٤٨/١ ، ٢٤١
 ايساك الراهب : ١٠١/١
 ايطاليا : ٢٣٦/١ ، ٣٨/٢ ، ٥٧ ،
 ١٣٩ ، ٧/٣
 الأيل (حيوان) : ١٢٩/٢
 أيولوج : ٨٥/١ - ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ - ١٠٣ ، ١٠٧ -
 ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ -
 ١٢٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ - ٢٥٥
 باب الجسر : ٦٧/١
 باب الحديد : ٩٠/٢
 باب الحمام بالقصر : ٢١٤/٢
 باب السدرة : ٦٢/٢ ، ٩٠
 باب شيزروا : ٢٣٣/٢
 باب الفصيل : ١٨٧/١
 باب القنطرة : ١٨٧/١
 البابا ليو الأول : ٢٦١/٢
 البابا ليو الثالث : ١٣٨/٢
 باجة : ٤٨/١ ، ١٨٢ ، ٢٣٤ ، ٢/٢
 ١٧٩ ، ١٢/٣
 ابن باجة : ١٦٦/٣
 باجوداي (أي الفلاحون) : ٢٣٧/١
 باديس بن حبوس : ١١/١ ، ١٢٤

برقة : ١٢/٢ ، ٩ - ٧/٣ ، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢٠٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٠ - ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

بربر البتر : ١٦٨/١ .

بربر البرانس : ١٦٧/١ .

بربر برانس جنيد : ١٧٩ ، ١٧٠/١ .

بربر رندة : ٤٥/٣ .

بربر الساحل : ٢١/٢ .

بربر طنجة : ٢٢٠/١ .

بربر غرناطة : ٤٦/٣ .

بربر قادش : ١٦٧/٣ .

بربر قرمونة : ١٦ ، ١٢/٣ ، ٥٧ ، ٥٨ .

بربر كتامة : ١٨١/١ .

بربر مادلين : ١٦٧/١ .

بربر ماردة : ١٦٨ ، ١٦٧/١ .

بربر بنى المهب : ٣٣٣/١ .

بربر مورور : ١٧١/١ .

البرتغال : ١٨٢/١ ، ١٣٩/٢ .

البرتغال : ١٣١/١ ، ٢١٩ .

برج ابن خلدون : ٢٦٥/١ .

برج قادش : ١٦٧/٣ .

برج كورتينا : ٢٤٢/١ .

البرجوازية : ٢٧/١ .

ابن برد (أبو حفص ... الكاتب) : ١٦٢/٢ .

برشلونة : ١٢٢/١ ، ١٣٤ ، ٢٤٣ ، ١٢٢/٢ ، ١٤٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ .

برغش : ٤٣ ، ٤٥ ، ٣١/٢ .

بريكتوس القسيس : ٩٥ - ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٨ .

برقة : ١٢/٢ ، ٩ - ٧/٣ ، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢٠٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٠ - ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

برلنت (غلام السلطان) : ٥٩/١ ، ٦٦ .

برليون (مطران سرقسطة) : ٣٦/١ .

برمان بن يزيد : ١٥٠/٢ .

برميدو الثاني (ملك ليون) : ٢/٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٨ .

برهون العبد : ٣٦/٣ .

برية بنت أبي برطل التميمي : ٢/٢ ، ٧٣ .

البزلياني (أبو عبد الله) : ٧٠/٣ ، ٧١ .

بزنت : ٢٤٦/١ .

أبو البسام الكاتب : ٧٠/١ ، ٧١ .

بسون (سم الملوك) : ٩٨/١ .

البشكنس : ٣٢/١ ، ٢٣٣/٢ .

البطرشك (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) : ١١٦/٢ ، ١٣٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ .

بطرنة : ٨٢/٣ .

بطليوس : ١٣٤/١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٤٠/٢ ، ٧٣ ، ٧٦/٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

البعلي الشاعر (عبد الرحمن ابن أحمد) : ١٦٢/١ ، ٢٦٢ .

البغال : ٧٨/١ ، ١٤٧ ، ١٧٢ ، ٢/٢ ، ١٧٣ .

بغداد : ٧٦/١ ، ٧٧ ، ٢١٢ ، ٢٧١ ، ٥٦/٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٥٠ ، ٣/٣ ، ٢٤ ، ٣٣ .

بفتريوة : ٢٧٤/١ .

ابن بقنة : ٢٥/٣ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤١ ، ٣٤ ، ٣٠ .

- بنو الأقطس : ٧/٣
- بنو حمود : ٧/٣ ، ٩ ، ٤١
- بنو ذو النون : ٨/٣
- بنو سهيل : ١١٨/٣
- بنو عباد : ١٠/٣
- بنو ماكسن : ٣٥/٣
- بنو مزين : ٩٥/٣
- بنو هود : ٧/٣ ، ١٦٦
- بنو يفرن : ٨/٣
- بهير (زوجة الأمير عبد الرحمن) : ٩٧/١
- بوبشيترو (وانظر حصن) : ١٨٣ ، ١٥٩ ، ١٥١ ، ١٤٤/١ ، ١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٦١ ، ٨٣/٣
- بورتو : ١٦/٢
- بول أورور الكاهن : ٣٣/١ ، ٣٤ ، ٢٣٨
- بولص الشماس : ١٠٢/١
- بياسة : ٢١٧/١ ، ٩٠/٢ ، ١٢٢
- بيت المال : ١٣٦/٢
- بيروت : ١٤/١
- البيزة : ٩٠/٢
- بيطرة اللت : ٢٩/٢
- البيطسة : ١٩٣/١
- تاريخ مسلمي اسبانيا (كتاب) : ١٢ ، ٣/١
- ابن تايكيت الصمودي : ١٨١/١
- تاهرت : ١٤٢/١ ، ١٤٣ ، ٢٥/٢ ، ٢٦
- التجار : ١٧٢/١ ، ١٦٣/٢
- التجارة : ٣٧/١ ، ١٦٦ ، ١٥٨/٢
- ابن بقي الشاعر : ١٦٠/٣
- ١٦٠/٣
- بقرية : ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ٢٣٢
- أبو بكر بن ابراهيم : ١٦٦/٣
- أبو بكر بن معاوية القرشي : ٢/٢
- ٧٣ ، ٦٧
- بكر (حفيد زافيدو النصراني) : ١٨٢/١
- بكر بن يحيى : ١٨٢/١
- بلاط طليطلة : ٤٣/١
- بلاي (شخص) : ١٨٧/١ ، ١٩٣
- ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ - ٢٠٣ ، ١٤/٢ ، ١٥ ، ٢٢٩
- ابن بلبوس : ١٢١/١
- بلنيرة : ٢٦/٢
- بلج (قائد جندهم) : ١٠/٣
- بلجيكا : ١٥/١
- بلجين بن حبوس : ١١٣/٢ ، ١١٢ ، ٢٦/٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣
- ٣٦
- بلدة الفتح : ٢٣٥/١
- بلديحون أخت فلورا : ٩١/١ ، ٩٢
- بلنسية : ٣٣/١ ، ١١٢ ، ٢٢٣ ، ٩٥/٢ ، ٨٢/٣ ، ٢٠٥ ، ١٩٤ ، ١٢٧ - ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ٥٨
- البلوط : ١٣١/١
- بملونة (أو بانبلونة) : ١٦/٢ ، ٢٩ ، ٥١ - ٥٣ ، ٦١ ، ١٤٧ ، ٢٣٣
- بنبيلة : ٢٧٤/١
- البنادقة : ٣٧/٢
- بنريشة : ٢٠٦/١
- بنفتو : ١٢٢/١

- التجديف : ٩٩/١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٠ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٨٥ .
التجريس : ١٥٤/٣ .
التجيبى (أبو الأحوص معد) : ٢/٢ ،
١١٧ .
التجيبى (عبد الرحمن بن مطرف) :
١٢٧/٢ .
التجيبى (أبو يحيى محمد بن
عبد الرحمن بن عبد العزيز :
١٨١/١ ، ٢٧٣ ، ٧٩/٢ ، ٨٠ ،
١٢٨ .
تحريم الزواج : ٣٩/١ .
تدمير (موضع) : ٢٣٤ ، ٢٠٥/١ .
تدمير الراسب : ١٠١/١ .
تدمير الملك : ٤٧/١ ، ٢٤٢ ، ٢/٢ ،
١٢٢ .
تراجواز (إقليم) : ٣٣ ، ٣٢/١ .
ترجيلة : ١٨١/١ .
التزى بزي النساء : ٢١٦/٢ .
التسميد : ١٥٠/٢ .
التسمير : ٢٣٣/١ ، ١٦٦/٢ .
التسميم : ١٤٧/١ .
تسيبولد المستشرق : ٢٤٢/٢ .
التشريق : ١١/٢ .
التشيع : ٣٣/٢ .
النصوف : ١٠٠/١ .
تطيلة : ١٣٥/١ ، ٢١٨ ، ١٦/٢ ،
١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ .
التعذيب بالحرق : ١٤١/٣ .
التعميد : ١١١/١ .
التفاح : ١٣١/١ .
تقبيل البساط : ٦٣/٢ .
تقبيل اليد : ٦٣/٢ .
- التكبير بالحديد : ١٤٦/١ ، ٢٠٦ ،
١٩٩/٢ .
التلمود : ٢١/٣ ، ٢٣ ، ٢٤ .
تمام بن أبى العطف : ٢٥٧/١ .
تميم صاحب مالقة : ١٣٩/٣ ، ١٤٩ .
التنصير : ٢٠٧/١ .
تنصير اليهود : ٣٨/١ .
التهريب : ١٣٢/١ .
التهود : ٣٩/١ .
تولون (زوج ارجنتيا) : ٢٢١/١ .
تونس : ٧٩/٢ ، ١٢٢ .
توينبى Toynbee (المؤرخ البريطانى) :
٢٣٨/١ .
التيل : ١٧٨/١ .
التين : ١٣١/١ ، ١٦٥ ، ٧١/٢ .
تونس : ٧٩/٢ ، ١٢٢ .
تيودومير (أسقف ايريه) : ١٣٨/٢ .
نابت بن محمد المرجاني : ٣٣/٣ .
الفقر الأدنى : ٩٦/٢ .
الثغر الأعلى : ٨٠/١ ، ١٣٤ ، ٢٣٣ ،
٢٤٧ ، ٢٨/٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٧ ،
١٢٨ .
نمود : ١٧٥/١ .
ثورة الرضى : ٧٥/١ .
التيران : ١٧٠/١ .
جابر (خادم ابن عمار) : ١١٧/٣ ،
١١٨ .
ابن جابر (محمد بن حفص) :
١٠٣/٢ .
جالند الوصيف : ٢٦٦/١ .
جامع الزاهرة : ١٥٠/٢ .

- ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ١٢٣/٢ ، ١٤٢ ،
 • ١٧٦ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ١٧/٣ ،
 • ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،
 • ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 • ١٧٨
 • جزيرة شلطيلىش : ٥٩/٣
 • الجزيرة العربية : ١٤/١
 • جزيرة ميورقة : ٩٥/٢
 • جست (القديسة) : ٨٠/٣ ، ٨١ ،
 • جسر استنجة : ١٥١/٢
 • جسر سان مارتن : ٢٤٢/١
 • جسد : ١٥٥/١ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
 • ١٧٣ ، ١٧٤
 • جعفر الحاجب : ٦٤/٢
 • أبو جعفر القليعى (انظر القليعى) :
 • ١٣٠/٣ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 • جعفر بن عثمان المصطفى : ٨٦/٢ -
 • ٨٨
 • جعفر بن على الأندلسى : ١١٣/٢ ،
 • ١١٧ ، ١٢١
 • جعفر بن على بن حمدون : ٧٩/٢
 • جعفر بن عمر بن حفصون : ٢٣١/١ ،
 • ٢٣٢
 • الجغرافية : ١٧٨/١
 • الجلد : ٣٨/١ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٠٤ ،
 • جليقية : ١٥/٢ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٦٤ ،
 • ٦٥ ، ١٢١ ، ٢٥٠
 • الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية :
 • ١٥/١
 • الجن : ٧٧/١
 • الجنة : ٨٧/١
 • جند مورو : ١٧٢/١
 • جنبه : ١٧٩/١
 • جنوة : ٤١/٢
 • الجهاد : ١١/٢
- جامعة ليدن : ١٤ ، ١٢ ، ٨ ، ٦/١
 • جان التاجر : ٩٩/١
 • جاتيفا : ١٥٦/٣
 • جائزة خولنى : ١٢/١
 • جبال أطلس : ١٦٧/٣
 • جبال البرانس : ٣١/١
 • جبال تيريزا : ١٤٤/٣
 • جبل بريجو : ١٨٢/٢ ، ١٤٧/١
 • ٢٣٣
 • جبل بوبسترو : ١٤٢/١ ، ١٤٣
 • جبل جرنكش : ٢٣٥/١
 • جبل رندة : ١٤١ ، ١٣١/١
 • جبل رية : ١٢٦/١ ، ٢٢٥
 • جبل الزيتون : ١٦٧/١
 • جبل سيراناد : ٢٢٥/١ ، ٢٦٦
 • جبل الشارات : ١١٦/١
 • جبل طارق : ٢٤٢ ، ١٣٢ ، ٤٤/١
 • ٨٥/٣ ، ١٣١
 • جبل مالقة : ١٣١/١
 • جبل مورور : ١٢١/١
 • الجبليون : ٢٧/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤
 • جدرىلا (الشريف القوطى) : ١/١
 • ١٥٢
 • جرجان : ٣٣/٣
 • الجرماني : ٣١/١ ، ٤٨ ، ٣٧/٢
 • جرور القائد : ١٥٦/٣
 • جرير الشاعر : ١٧٩/٣
 • جريميه (عم ايساك الراهب) :
 • ١٠٠/١
 • الجزائر : ٣٠/٢ ، ١٣٠/٣
 • جزر البليار : ٣٢/١ ، ٩١/٢ ، ٣
 • ٧
 • الجزية : ٤٠/١ ، ٤٨ ، ٥١
 • جزيرة اقريطش : ٦٨/١
 • الجزيرة الخضراء : ٧٧ ، ٤٣/١

. ١٤٦/١ : الحامة (بلد)
 حباسة (ابن أخى زاوى) : ٢ /
 . ١٨٤
 الحبس : ١٨١ ، ٩٩ ، ٩٦/١ ،
 . ٢٢٧ ، ١٩٤/٢
 حبس الدويرة : ٧٢ ، ٦٧/١
 حبوس (أخو حباسة) : ١٨٤/٢
 ، ٢٥ ، ٢٣ ، ٢١ ، ٨ ، ٧/٣
 . ٢٦
 حبيب (القائد) : ٢٢٥/١ ، ٢٢٧
 حبيب (رجل من الأوشاب) :
 . ١٢/٣
 حبيب الصقل : ٣٨/٢
 حبيبة بنت سليمان الخليفة : ٢ /
 . ٢٠٣
 الحجابة : ٢١٥/٢ ، ١٢/٣ ، ٢٢ ،
 . ٧٠
 الحجاز : ٢١١/١ ، ٧١/٢
 حجر النسر : ٢٤٧/٢
 الحدادة : ٣٧/١
 الحديث (علم) : ١٤/١
 الحديد : ٢١٩/٢
 حدير : ٦٧/١
 ابن حدير الوزير : ٧٦/٢
 حديقة منية السرور : ١٥١/٢
 حران : ٩/٢
 أبو حرب (من بربر برانس)
 . ١٨٣/١
 الحرس الأسود (= الحرس
 السوداني) : ١٤/٣
 حرق البلد المفتوح : ١٢٢/٢
 حرق الجنة : ١٠١/١
 حرق السوق : ٧١/٢
 حرق كتاب احياء علوم الدين :
 . ١٦٢ ، ١٦١/٣

جهنم : ٨٩/١
 ابن جهور (أبو الحزم جهور بن
 محمد) : ١٠٣/٢ ، ١٩٤ ، ٢١٧ ،
 . ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٨/٣ ، ١٦
 ابن جهور (الوليد محمد بن جهور) :
 . ٥٨/٣
 الجوارى : ٥٨/٣
 جويتر : ٤٣/٣ ، ٤٤
 ابن جودي (انظر سعيد بن سليمان) :
 . ٢٦٢ ، ٢٠٢/١
 جوزر : ٨٥/٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ،
 . ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٨
 جورج الراهب : ١٢٤/١
 جورج القديس : ١٢٣/١
 جوسزى مازيا (قاطع الطريق) :
 . ١٣٢/١ ، ١٣٣ ، ١٤٥
 جوفينال : ١١١/١ ، ٢٥٢
 جوهرة (جارية المعتمد) : ١٠١/٣
 الحباد : ١٧٠/١ ، ١٧٢ ، ١٧٣/٢
 جيان : ١٤٦/١ ، ١٨٢ ، ٢٠١ ،
 . ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 . ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٣٣٣ ،
 ٢ / ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١١٢/٣ ،
 . ١٦٨
 جيبون (Edward Gibbon)
 المؤرخ : ٢٣٨/١
 جيحون : ١٥/٢
 جيش الحضرة : ٩٧/٢
 جيهان المغنية : ١٦٠/١ ، ١٦١
 الحاجب : ٢١١/١ ، ٣٧/٢ ، ٨١ ،
 ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٧
 . ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤ ، ١٨١
 الحاجب ذو الوزارتين : ١٠٠/٢
 الحاكة : ١٦٤/٢

• حصن بيانة : ١٨٦/١
 حصن الجبل المقدس : ١٥٣/١ ،
 • ١٥٤

• حصن جرماز : ١٨٢/٢
 • حصن جيان : ٢٢٢/١
 • حصن الحامة : ٩٢/٢ ، ٢٥٠
 • حصن رندة : ١٥٥/٣

• حصن الزاهرة : ٧١/٣
 • حصن سرية : ١٢٥/٣

• حصن سمورة : ١٧/٢
 • حصن شقورة : ١١٨/٣

• حصن شمنقة : ١٧/٢
 • حصن شنت بلاية : ١٤١/٢

• حصن شنت شاعر : ١٥٣/١ ، ١٥٤
 (راجع حصن الجبل المقدس)

• حصن شنت شتتين دى جرمان : ١/١٨٣
 ٦٥ ، ٢٧ ، ١٩ ، ١٧/٢

• ١٨٢ ، ١٢٩

• حصن شنت فيلة : ١٧٤/١

• حصن شنت منكس : ١١٦/٢

• حصن شوذر : ١٨٢/١

• حصن طرش : ٧٢/٢

• حصن طريف : ١٥٣/٣

• حصن ابن عمرو : ١٨٣/١

• حصن عمرو : ٧٩/١ ، ٨١

• حصن قاشتر مورش : ٢٤/٢

• حصن قنورية : ١٢٥/٣

• قزديرة : ٢٧٦/١

• حصن القصر : ١٠٥/٢

• حصن قلقرة : ٢٧/٢

• حصن قلونية : ١٢٩/٢

• حصن كازلونا : ١٨٣/١

• حصن كاستيولون (Castillon) :

• ١٤٣/١

• حرق الكتب : ٢٣٧/١ ، ١٤/٢
 • حرق المدن والقرى : ٤٧/١ ، ٨٠ ،
 • ٢٠٤

• الحرق بالنار : ١٢/٢ ، ١٣
 • الحريم : ٣٨ ، ٣٧/٢ ، ٨٥/١ ،
 • ٧٥ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ،
 • ٢٢٢ ، ٢٦٧

• ابن حزم المؤرخ : ١٥/٣

• ابن حزم الوزير أبو المغيرة : ١٥٢/٢ ،
 • ١٥٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،
 • ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،
 • ٢١٧

• حسام الدين بن رزين : ١٢٨/٣
 • حسداى بن شبروط : ٤٥/٢ ، ٥٢ -
 • ٢٣٩ ، ٥٥

• الحسن بن كنون الادريسي : ٧٧/٢
 • الحسن بن يحيى : ١٦٣/٢

• حشو المسلوخ بالتبن : ٤٢/٢
 • الحصادى (صاحب أحد الحصون) :
 • ٧١/٣

• حصن أجوبلار : ١٨٦/١
 • حصن الأخوين : ١١/٣ ، ١٢ ، ١٧
 • حصن أزنات : ١٤١/١

• حصن استروجا : ٣٣٠/١

• حصن أشبر جيزة : ٢٧٦/١

• حصن أقرط : ٢٠٦/١ ، ٢٧٠

• حصن أوث : ١٤١/١

• حصن بزة : ١٦١/١

• حصن بلاى : ١٨٦/١

• حصن بلج : ١١٣/٣

• حصن بوبشترو : ١٤٥/١ - ١٤٧

• ٨٣ ، ٨٢/٣

الحكم بن سعيد (الحائك الوزير) :
• ٢٢١ - ٢١٨/٢

الحكم الحراني : ٩٨ ، ٩٧/١

حلف الجوار : ١٧٣/١

حمامات الكهف : ٢٤٢/١

حمدون الساحرة : ٣٣/٢

ابن حمديس الشاعر : ١٧٨/٣

بن حمدين (الفقيه قاضي الجماعة

بقرطبة : ١٦٠/٣ - ١٦٢

الحمراء : ١٥٣/١ ، ١٥٥ ، ١٥٦

حمص : ١٠/٣ ، ٥١/١

حملة كركبولة : ٢٢٢/١

حنش الصنعاني : ١٥٢/١ ، ٢٦٢

الحنطة : ٧٨/١

حوثرة بن عباس : ٣٣/٢

ابن حوشب : ١٠/٢

ابن حوقل : ١٢/٢ ، ١٤ ، ٥٦ ، ١١٢

الحياكة : ٢١٩/٢

ابن حيان المؤرخ : ١٥/٣

الحيرة : ١٠/٣

خاتم الخليفة : ١٦٣/٢

الخازن التجيبي : ٢١١/١

خالد بن خلدون : (أبو كريش) :

• ٢٠٤/١ ، ٢٠٦

الخبز : ١٨٧/١ ، ٣٣/٢

الختان : ٣٨/١ ، ٨٦

ابن الخدا : ٥٩/١ ، ٦٠

الخراج : ٤٨/١ ، ١٢٢/٢

الخرص : ٦٧/١ ، ٢٤٨

الخرمية : ٧/٢ ، ٢٢٧

خزانة الرهوس : ٦٤/٣

ابن خزرون البربري : ٦٢/٣

الخصيان : ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١١٢

حصن كركبولة : ١٨٢/١

حصن كركر : ١٣٦/١

حصن كرونيا : ١٨٢/٢

حصن الليط : ١٢٩/٣ ، ١٣٧ -

• ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣٩

حصن ليكون : ١٨٢/٢

حصن مالفة : ٤٤ ، ٤١/٣ ، ٧٣

حصن المدور : ١٢٦/٣ ، ١٥٣

حصن مرجريت : ١٨٣/١

حصن منتسة : ١٦١/١

حصن المنتلون : ١٨٣/١ ، ٢٢٣ ،

• ٢٦٦

حصن مورور : ٢٣٥/١

حصن مولة : ٩٧/٢

حصن مونت أقوط : ١١٥/٣

حصن مونت ميور : ١٧٨/٣

حصن نبريشة : ١٧٠/١

الحصري (راجع خلف الحصري) :

الحضارمة : ١٦٩/١

حضر موت : ١٦٦/١

حفص بن عمر بن حفصون : ١/

• ١٤١

حفص بن المدور : ١٥٩/١

أبو حفص الهوزني (انظر الهوزني)

• ٨٤/٣

حفصون بن عمر البلوطي : ٦٨/١ ،

• ٢٤٩ ، ٢٣١ ، ١٥١

الحكم الأول : ٥٧/١ ، ٦٠ - ٦٢ ،

• ١٤١ ، ٧١ ، ٦٥

الحكم الثاني بن عبد الرحمن الناصر :

• ٤٥/٢ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

• ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ - ٨١ ، ٨٥ ،

• ٨٧ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٥٠ ،

• ١٦٥/٣ ، ١٥١

- ١١٩ ، ١٢٦ ، ٢٠٧ ، ٣٨/٢ ،
 ٦٤ ، ١٩٣ ، ٢٤٩
 ابن الخطيب الوزير : ١٨١/٣
 ابن الخلائف : ٣/٢
 خلدرا (Galder) : ٦/١
 خلع العبادة (احتراماً) : ٦٣/٢
 خلع البرنس احتراماً : ٦٣/٢
 ابن خلف : ١٧٨/٣
 خلف بن بكير : ٢٣٤/١
 خلف الحصرى : ١٦ ، ١٥/٣ ، ٦٩
 خلف الصراف : ٢٠٩/١
 الخلفاء العباسيون : ٧٦/١
 خليج فيجو : ١٤١/٢
 خليج مالقة : ٤١/٣
 الخليفة الاموى : ١١٣/٢
 خليفة بغداد : ٢٠١ ، ١٨٦/١
 الخليفة الفاطمى : ١١٢/٢ ، ١١٣ ، ١٢٣
 الخليفة المهدي العباسى : ٧/٢
 الخليفة الناصر لدين الله (راجع
 عبد الرحمن : ٢٢٦/١
 خليل بن المهلب : ١٨١/١
 الخمار : ٨٩/١
 الخمر : ١٠١/١
 الخنق : ٨٨/٢ ، ١٠٤ ، ٢١٥
 الخوارج : ١٥/٢ ، ٤١
 دى خويه (Goeje) : ١١/١ ، ١٥
 دى خيدس (Gides) : ١٨٢/١ ، ١٨٩
 خير بن شاكر : ١٨٢/١ ، ١٨٩
 خيران الصقلبي : ١٧٧/٢ ، ١٨١ ، ١٩٠ - ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٧/٣
 الخيش : ٣٣/٢
 دار المعارف : ٣/١
 دار الملك : ٢١٥/٢
 دار الملك : ٢١٧/٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢
- دار الناعورة : ٢٤٣/٢
 الدائرة (الحرس السلطاني) :
 ٢١٤/٢ ، ٢١٥ ، ٢٧٥
 دانية : ٧/٣ ، ١٥٦
 ابن دراج القسطلي : ٢٦١/٢
 الدرقة : ١٥٤/٢
 الدرى (الفتى الصغير) : ٩١/٢
 أبو دريد : ١٥٠/٢
 دس السم فى الطعام : ٢٢٤/١
 ٢٦١/٢
 دق الطبول : ٤١/٢
 دقلديانوس : ٢٩/١ ، ٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤
 الدقيق : ١٠٣/٢
 دمشق : ٥١/١ ، ٦٦/٢
 دوجان : ١٩/١
 دورو : ٨٢/٣
 دوزى : ٤/١ - ١٧ ، ٢١ ، ٢٢
 دولة الأغالية : ١٢/٢
 دولكيدس (الأسقف) : ٢٨/٢
 دون باسكوال دى جاياتجوس : ١/١
 ١١
 دوناش بن ليبرث : ٢٤١/٢
 ديدم : ٣١/١
 دير بطرس : ٣١/٢
 دى سلين de Slane : ١٤/١ ، ١٩
 دير أملين : ١٤٥/٢
 دير بامبلونا : ٨٦/١
 دير يناسلاريا : ١٢٣/١
 دير يرسلوانا : ١٢٦/٢
 دير تابانوس : ١٠٠/١ ، ١٠١ ، ١٢٢
 دير سان سلفادور دى ليون : ٢/٢
 ٦٦
 دير ساماجون : ٣٠/٢ ، ١٢٦
 دير سيران ديو : ٩٠/١

الراضى بن المعتمد (حاكم الجزيرة

الخضراء) : ١٣١/٣ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧٠ .

راميرو الثالث : (ابن شائجة ملك

ليون) : ٦٦/٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٤١ .

راميرو الثاني : ٢٧٧/١ ، ٣٠/٢ -

٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٩٢ .

رايت المستشرق Wright :

١٩/١

الراين (نهر) : ٢٣٧/١ .

الريش : ٥٧/١ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ .

الريش الجنوبي : ٦٧/١ ، ٦٨ .

الرجم : ١٣/٢ ، ١٤١/٣ .

رحبة مراکش : ٨٥/٣ .

رخص الأسعار : ٥٦/٢ .

الردة : ٥٢/١ .

رزقينا (القاضى السكسونى) : ٢/

٥٧ .

رزق الله حاكم طنجة : ٤٥/٣ .

الرسالة الى فيليبس : ٩/١ .

رسم الصليب على الصدر : ٦٢/٢ .

الرسول (صلى الله عليه وسلم)

٤٣/٣ .

ابن رشد : ١٦٣/٣ .

الرشوة : ١٠٧/١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

٩٧/٢ ، ١٨٥ ، ١٩٢ .

الرشيد بن المعتمد : ١١١/٣

١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٥ .

ابن رشيق : ١١٣/٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ،

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٤ .

دير سنت داميان : ١٤٤/٢ .

دير سنت كوزمو : ١٤٠/٢ .

دير شرطانيس : ٣١/٢ .

دير شنوش : ١٦٦/٢ .

دير كاردنين : ٢٣٨/٢ .

ديفر يريميرى Defremery : ١/

١٩ .

ديسم بن اسحق (أمير تدمر) :

١٨٣/١ ، ١٨٩ ، ٢٧٤ ، ٢٥/٢ ،

٢٣٢ .

الدين الاسلامى : ٨٧/١ .

ديوان الجند : ٧٩/٢ ، ١٣٥ ،

١٦٣ .

ديوان الزندقة : ٨ ، ٧/٢ .

الذباب : ٧١/٢ .

ذخيرة ابن بسام : ٨/١ .

ذر رماد المصلوب : ١٠١/١ .

ابن ذكوان القاضى (أبو العباس

أحمد عبد الله) : ١٦٢/٢ ،

١٧٤ ، ٢٥٥ .

الذهب : ٧٨/١ ، ٢٢٧/٢ ، ٢٩/٣ ،

٣٠ .

ذلل بن يعيش : ١٨/٢ ، ٢٦ .

ذو الوزارتين : ٧٩/٢ ، ١٠٠ .

الذئاب : ٨٩/١ .

رأس سان فسنانت : ٢٦٦/٢ .

رأس ظريف : ١٢٦/٣ .

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ٢٣٣ ،
 ١٦/٢ .
 ريتشارد الأول (دوق نورمانديا) :
 ٦٦/٢ .
 رئيس المشيخة : ٢٢١/٢ .
 أبو ريش : ٣٥/٣ .
 ريكارد ملك القوط : ٣٥/١ .
 ريكافريد (رئيس أساقفة قرطبة)
 ١٠٧/١ ، ١٠٨ ، ١١٢ .
 الريفيون الأحرار : ٢٩/١ .
 ريموند كونت برشلونة : ١٧٥/٢ ،
 ١٩٤ .
 ريموند بيرانجز الثاني : ١١١/٣ ،
 ١١٣ .
 رينان (الفيلسوف) : ١٠/١ ، ١٨ .
 رينهرت دوزي : ٣/١ ، ٦ .
 الريوشي : ٢٦٥/١ .
 ريولة (موضع) : ٢٢٧/١ .
 ريونتو : ٥٨/٣ .
 الزاهرة : ١١١/٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
 ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ٢٠٧ .
 زاوى الصنهاجى : ١٧٢/٢ ، ١٧٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٧/٣ .
 الزبدي : (أبو بكر بن الحسن) :
 ١٠٩/٢ ، ١١٠ ، ٢٥٥ ، ١١/٣ ،
 ١٢ .
 الزجاج : ٧٨/١ .
 الزرادشتيون : ٩/٢ .
 الزراعة : ٣٧/١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٢/٢ ،
 ١٥٠ .
 زرياب المغمى : ٧٦ - ٧٩ .
 زفانة : ١٦٥/٢ .

الرصاص : ٢١٩/٢ .
 الرصافة : ١١٩/١ ، ٧٦/٢ ، ١٠١ .
 الرعاع : ١٦١/٢ ، ٢٢٠ .
 الرعى : ٣٧/١ .
 الرف : ٣٦/١ .
 الرقيق : ٢٧/١ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٢٣٧ .
 رقيق الأرض : ٢٧/١ .
 ركسفت الملك : ٣٦/١ .
 ركوب الحمير بالقلوب : ٩٨/١ .
 الرمادى (أبو عمرو يوسف بن
 هرون) : ١٠٨/٢ ، ٢٥٤ .
 الرمان : ١٣١/١ .
 رميك بن حجاج : ٩٢/٣ .
 الرميكية (هى اعتماد) : ٩٣/٣ ،
 ٩٤ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ .
 ١٧٥ .
 رندة : ١٤١/١ ، ٧/٣ ، ٦٠ - ٦٢ ،
 ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ١٣١ ، ١٥٦ ، ١٧٨ .
 الرهان : ٣١/١ .
 الرهبان : ٢٧/١ ، ٨٨ .
 روجر النرمندى : ٩٩/٣ .
 روسيا : ١٤/١ ، ١٥ .
 الروم : ١٧٥/١ .
 الروم (= وبقصد بها المسيحيون
 عامة) : ١٤٩/٣ ، ١٦٤ .
 الرومان : ٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
 ٤٣ ، ٦٩ ، ١٦٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ،
 ٢٦٥ .
 رومة : ١٥/١ ، ٣١ - ٣٤ ، ٤٦ ،
 ١٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ١٣٨/٢ ،
 ١٣٩ .
 رية : ١٢٦/١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ .

- سجن ايرش : ٤٤/٣
- سجن الحمراء : ٢٩/٣
- سجن الزهراء : ١٠١/٢ ، ١٠٨
- سجن المنكب : ٣٥/٣
- السحر : ١٧/٢
- سراج الدولة بن علي (أمير دانية) : ١١٨/٣
- سردينية : ٣٣ ، ٧/٣
- سرقسطة : ٣٢/١ ، ٣٦ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٨١ ، ٢١٨ ، ٢٦٢ ، ٣٢/٢ - ٣٤ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٣٥ ، ٧/٣ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٧٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦
- السروج : ١١٢/٢
- السروجية : ١٦٤/
- سروجية قرطبة : ٧٩/٢
- السرير : ٢١٥/٢
- السطيفي (عامل مالقة) : ٤٢/٣
- ابن السريع : ١٤٩/٢
- سعدون : ١٣٥/١ ، ١٣٦
- سعدون الخصى : ١١٣/١ - ١١٦
- سعدون الرمادي السرنباكي : ١/٣٥٩
- سعيد بن الحكم الجعفرى : ٢٤٤/٢
- سعيد بن سلمان بن جودي : ١/١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ - ١٦٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٩
- سعيد بن صالح بن سعيد بن ادريس ابن منصور : ٢٥/٢ ، ٢٣٢
- سعيد بن المنذر (الحاجب) : ١/٢٣٥
- سعيد بن المنذر (خطيب الجامع) : ١٨٥/٢

- زلاقة (انظر وقعة زلاقة)
- الزمرد : ١٤٨/٣
- الزنجبيل : ٩٣/٣
- الزندقة : ١٣/٢ ، ١٤٩ ، ٢٢٨
- الزنوج : ٤٤/٣ ، ٦٥/١
- الزهد : ٨٦/١ ، ١٠٠
- الزهراء : ١٠٢/٢ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٤٢ ، ٧٠/٣
- زهير الصقلبي : ١٥/٣ ، ١٩٧/٢
- ١٨ ، ٢٤ - ٢٩ ، ٣٣ ، ١١١
- زياد بن أفلح : ٨٦/٢ ، ١٠٨
- زياد بن عبد الرحمن اللخمي : ١/٢٤٥
- الزيتون : ١٦٥/١ ، ٢١٦
- ابن زيدون (الشاعر أبو بكر) : ١١٥/٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠
- زيرى بن عطية : ١٣٥/٢ - ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٧
- سارة (حفيدة غبطشة) : ١٦٦/١
- سارة مارية (والده رينهرت دوزى) : ٦/١
- ساليثاس (مكان) : ٢٣٣/٢
- سامراء : ١٠/٢
- السب : ٦٥/١
- سبتة : ٤٣/١ ، ٣٠/٢ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١٤٢ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٤١/٣ ، ٤٥ ، ٦٩
- سبتمانبا : ٢٢٩/٢
- السبي : ٢٣/٢ ، ٢٥
- ستوكس (مترجم الكتاب الى الانجليزية) : ١٣/١
- سجلنامه : ١٢٢/٢ ، ١٣٠/٣
- السجن : ١٠٧/١ ، ١٠٨

- سعيده المهدي : ١١/٢
 • سعيده بن المهلب : ١٨١/١
 • سعيده بن هذيل : ١٨٢/١ ، ٢٢٣ ، ٢٧٤
 • سعيده بن هرون : ٦٠/٣
 • ابن السقا : ١٠٢/٣
 • سقوط البربري (حاكم سبته) : ٦٩ ، ٤٥/٣
 • السكر : ٩٣/٣
 • سكر النخعي : ٩١/٢
 • ابن سلام (والي شرطة ابن عمار) : ١٢٠/٣
 • السلخ : ٤٢/٢
 • السلطانة صبح : ٧٤/٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠
 • السلطانة طروب : ٩٧/١ ، ١١٣ ، ١١٤
 • سلفين المرسيلي : ٣٤/١ ، ٣٥
 • سلمة بن هرام : ٢٧٤/١
 • ابن السليم القاضي : ٧٤/٢ ، ٨٩
 • ابن السليم (اسحق بن ابراهيم) : ١٨١/١
 • سليمان (الخليفة) : ٦٠/٣
 • سليمان (صاحب شذونة) : ١/٢٠٥
 • سليمان بن عبد الرحمن : ١٧١/٢ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
 • سليمان بن عمر بن حفصون : ١/٢٣٢ ، ٢٣١
 • سليمان المستعين بالله : ١٧١/٢ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣
 • سليمان بن هود : ١٩٦/٢
 • السم : ١٠٤/٢ ، ٤٢/٣
 • السم بالفاكهة : ٦٦/٢
 • السماط : ٧٨/١
 • السمح : ٤٧/١
 • سمل العيون : ٣١/٢
 • سمورة : ١٦/٢ ، ١٧ ، ٥٥ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣
 • سمير سرحان : ٢٣/١
 • السمسير (الشاعر) : ١٤١/٣
 • سنت أوجستين : ٣٣/١ ، ٥٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
 • سنت اندروز : ١٦/٢
 • سنت زويل : ٢٥٤/١
 • سنت قنسانت : ٥١/١ ، ١٢٢
 • سنتر : ١٥٦/٣
 • السنغال : ١٣٠/٣
 • سنيكا الفيلسوف : ٢٩/١ ، ١١١
 • سهل شقندة : ١٩٣/١
 • السهلة (من أملاك بني رزين) : ١٥٧/٣
 • سوار بن حمدون الليثي : ١٥٤/١ - ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٦٢
 • سوار بن طارق : ٢٤٦/١
 • السودان (قبيل) : ١٩٧/٢ ، ١٩٨ ، ٢٨/٣ ، ٣٤
 • سودان بن تاشفين : ١٣٤/٣
 • سوسة : ٥٤/٢
 • سوق فردان للرقيق : ٣٨/٢
 • السويف Suéves شعب جرمانى : ٣٠/١ ، ٣٢ - ٣٤
 • السيفون : ٦٢/١
 • سينجوفيا : ١٦/٢

- السيد القنبياطور : ٩٠/١ ، ٣/١٥٧
- سيدون الأبولي : ٣٤/١
- سير : ١٥٣/٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧
- سيرانا : ٢٣١/١ ، ٢٣٣
- سيرا نيفادا : ٢٢٣/١
- سيرين بن أبي بكر : ١٥٣/٣
- سيسيبوت الملك (Sisebut) : ٣٨/١
- سيسينان : ١٠١/١
- سيف الدولة (آخر ملوك سرقسطة) : ١٦٩/٣
- شارل أسقف قرطبة : ١٠٨/١ ، ١١٢
- شارل الأصغر الملك : ١٢٣/١ ، ١٢٤ ، ١٣٤
- شارلمان : ٢٧/٢ ، ١٣٨ ، ٢٣٣
- ابن الشالون : ١٢١/١
- ابن شاليب اليهودي : ١٢٦/٣
- ابن الشالية (اسحق بن ابراهيم بن منتس) : ١٨٣/١ ، ٢٢٣
- الشام : ١٠/٣ ، ٦٦/٢ ، ١٨١
- شانجة (أخو الفونس السادس) : ١٠٦/٣
- شانجة بن غرسية (ملك نفارة) : ٢٣٢/٢
- شانجة قومس قشتالة : ١٧٣/٢ ، ١٨٢
- شانجة الكبير (ملك نفارة المعروف بالسمين) : ١٩/٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٥٢ - ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥
- شانجول (وهو المعروف بشانجة)
- الصغير : ١٦١/٢ - ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٥
- ابن الشبانسي : ١٤٩/٢
- ابن شبرقة : ١٧٢/١
- شبه جزيرة آيبريا : ٢١/١ ، ١٢/٢
- شدونة : ٤٦/١ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٩٩/٢ ، ٧١/٣ ، ١٢٦
- الشراحيب (قصر) : ٩٥/٣
- شربند بن حجاج القومس (انظر أيضا سرفاندو) : ١٨٥/١ ، ١٨٦
- شرطانيس : ٢٢٩/٢
- الشرطة : ٩٨/٢
- شريس : ٢٧٠/١ ، ١٩٩/٢ ، ١٦٧ ، ٦٤ ، ٦٢/٣
- الشرية : ١٦١/٣
- الشريف الادريسي : ١١/١
- السطار : ٦٨/١ ، ٨٨ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٣٢
- الشطرنج : ٢٥/٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧
- السعير : ٧٨/١
- شقندة : ١٨٤/٢ ، ١٨٥
- شقورة : ١١٨/٣
- شامب : ١٨٢/١ ، ٥٩/٣ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١١٥
- شاطيس : ١٠٣/٣
- شما:نقة : ١٦/٢ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٩١ ، ٩٩
- ابن شماس : ٥٩/١ ، ٦٠
- الشماس سمسون : ١٨٥/١
- شمال أفريقية : ٤٠/١
- شنت شنتين دي جرمان : ٢٢٣/١ ، ٢٤/٢ ، ٤٥ ، ١٢٨

• شنت طرش : ١٦٨/١
 • شنت مانكس : ١٤١/٢
 • شنت مرية : ١٨٢/١ ، ٢٦٦ ، ٦٠/٣
 • شنت ياقب دي كومبستل : ١٣٨/٢ ، ١٤٠ ، ٣٦١
 • شنترين : ٣٣/٢
 • شند : ١٦٦/١ ، ١٧٠ ، ١٧٥
 • السنق : ٤٧/١ ، ١٩٧
 • شنيل : ٢٠٩/١
 • الشهادة : ٨٩/١
 • الشهادتان : ٤٩/١
 • الشهد : ١٣٦/٢
 • ابن شهيد (أبو عامر) : ٢١٣/٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٥
 • شوذر (البلد) : ١٨٩/١
 • شى لحم العدو : ١٢/٢
 • الشيخ الاسلامى (عبد الرحمن) : ٢٣٤/١
 • الشيخ محمد عبده (الامام) : ١٠/١
 • شيسرون (الفيلسوف) : ٣٧/١
 • الشيطان : ٨٧/١ ، ٢٥٣
 • الشيعة : ٨/٢ - ١٠
 • شيمين (أزمنة القمبياطور) : ١٥٧/٣
 • صاحب البرد والطرز : ٨٥/٢
 • صاحب البياذرة : ٨٥/٢
 • صاحب الشرطة : ٢١١/١ ، ١٠٨/٢
 • صاحب الصوائف : ٢٤٩/١
 • صاحب المطالم : ١٥٤/٢
 • صاعد البغدادي : ١٤٩/٢ - ١٥١ ، ١٧٠ ، ٢٦٤
 • صالح بن سعيد : ٢٦/٢
 • صبح (الهطانة) : ٧٤/٢ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧
 • ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٤ - ١٣٧
 • ٢٤٨ ، ٢٥٠
 • الصحابة : ٢٢٨/٢
 • صحراء البرية : ٣٧/١
 • صخرة اتسهد : ٢٥٨/١
 • صخرة النصور : ١٢٣/٢ ، ٢٤٨
 • الصرع : ١١٢/١ ، ٧٩/٢ ، ٦٨/٣
 • الصماليك : ١٥١/٢
 • صفار الملاك : ٣٠/١
 • الصفح : ١٠٠/١
 • الصفالية : ٣٧/٢ ، ٣٨ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٤
 • ١٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ -
 • ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤
 • ١٨٥ ، ١٨٩ - ١٩٣ ، ١٩٥
 • ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٦
 • ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٧/٣ ، ١٤ ، ١٦
 • ٤١ ، ٤٢ ، ١٤٧
 • الصقالبة العامريون : ١٧٠/٢
 • صقلية : ٤٢/٢ ، ٤٦ ، ٢٦٤ ، ٢٤/٣
 • الصلاة : ٩٦/١
 • الصليب : ٦٧/١ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ١٤٦
 • ١٤٧ ، ١٠٨/٢ ، ١٦٦ ، ٢٠٥
 • ٢٣١ ، ١٠٠/٣
 • صلدانية : ١٦/٢
 • الصليب : ٨٩/١ ، ١٠١
 • ابن صمادج (محمد بن محمد) : ١٤٣/٣
 • صمويل النصراني (هو عمر ابن حفصون) : ٢٠٨/١
 • صمويل اليهودي : ٢١/٣ - ٢٦

- ١٤٥ ، ٧٦/٢
 • طروشة : ١٦/٣ ، ١٧٥/٢ ، ١١٣ ، ٩٧/١ ، ١١٤
 • طروشة : ١٦/٣
 • طريف بن ابي زرع : ٤٤ ، ٤٣/١ ، ١٠/٣
 • طشانة : ١٠/٣
 • طليبة : ٤٤ ، ٣٣ ، ١٦/٢
 • الطلعة البلجية الشامية : ٤٧/١
 • طليارة : ٤٠/٢
 • طلياطة : ١٦٧/١
 • طليطلة : ٦٢/٢ ، ٤٦ ، ٥١/١ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٠ - ١٢٣ ، ١٦٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ١٠٠ ، ٤٧ ، ٣١ ، ١٧ ، ١٦/٢ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ٨٣ ، ٨/٣ ، ١٨١ ، ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٦٥
 • الطليطيون : ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٢/١ ، ١٢٠
 • الطمشكة : ١٧٤ ، ١٦٨/١
 • ابن طملس : ٧٧ ، ٧٤ ، ٦٢/٢
 • طنجة : ٧٧ ، ٢٤٧/١ ، ٢٤٧/٢ ، ١٩١ ، ٤١/٣ ، ١٧٠ ، ١٧٤
 • الطواف بالروس المقطوعة : ١٤٨/٢
 • طوطة : ٤٤ ، ٣٩ ، ٣٤ ، ٣٢/٢ ، ٥٢ ، ٢٣٨ ، ٥٢
 • ابن طيفور : ٥٧ ، ١٢/٣
 • الظاهرية : ٢٠٥/٢
- ٢٩ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٥
 • الصناعة : ٢١٤/٢ ، ١٧٢/١
 • الصناعة : ١٥٨/٢
 • الصندل : ١٠٦/٣
 • صنماء : ١٠/٢
 • صنهاجة : ٢٢/٣ ، ١٧٣ ، ١٧٢/٢ ، ٧٥ ، ٢٧
 • الصوفية : ٩/٢
 • الصولجان : ١٣٧/٢
 • الصوم : ١٠٠ ، ٩٦ ، ٩٠/١
 • الصيد : ٣٧/١
 • ضرب الرقاب : ١٠١ ، ٦٧/١ ، ١٧٣ ، ٢٨/٢ ، ٤٠ ، ٨٦ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٩٢ ، ١٤٨
 • الضرب بالمقارح : ٩١/١
 • طلاق بن زياد : ٥١ ، ٤٦ - ٤٤/١ ، ٢٤٦ ، ٧٢/٢ ، ٧٣
 • الطاعون : ١٨٣/٢
 • طالب بن مردود المهدي : ٢٠٦/١ ، ٢٧٠
 • طالوت : ٢٤٨ ، ٧٢ - ٧٠/١ ، ٢٥٠
 • ابن طاهر (أبو عبد الرحمن الفيسي) : ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١/٣
 • طب العيون : ٨/٢
 • الطبرزين : ١٢١/٣
 • الطراز : ٥٩/١
 • الطروز : ٢١١/١
 • طرزون : ٢١٨/١
 • طرش : ٢٧٥ ، ٢٣١ ، ٢٢٦/١

١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،

١٧٦ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٣ ،

٢٦٨

عبد الجبار بن المعتمد : ١٧٨/٣ ،

١٧٩

عبد الجليل بن وهبون : ٩٩/٣

ابن عبد الحكم : ٢٤١/١

عبد الحميد بن بسيل : ٢٣٤/١ ،

٢٣٥/٢

ابن عبد ربه : ١٩٦/١ ، ٢١٢ ،

٢٥٨

عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج :

٢٠٧/١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٤

عبد الرحمن بن الحكم : ٦١/١ ،

٦٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ - ٨١ ،

٨٧ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٤ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ٧٤/٢

عبد الرحمن بن الشيخ الاسلامي :

٢٣٤/١

عبد الرحمن الداخل : ٥١/١ ، ٥٧ ،

١٨٧

عبد الرحمن بن سعيد : ٢٥/٢

عبد الرحمن بن عبد الله الناصر :

١٠٨/٢

عبد الرحمن بن قطيس : ١٥٤/٢

عبد الرحمن بن عمر بن حفصون

٢٣١/١

عبد الرحمن (محمد بن جهود) :

١٠٢/٣

عبد الرحمن المرتضى : ١٩٦/٢ ،

٢١٧ ، ١٩٧

عبد الرحمن بن مروان بن يونس :

٢٥٩/١

عاقل اهل الاندلس (يحيى بن يحيى

المالكي) : ٥٨/١

الصامة : ٨٨/١ ، ٨٠/٢ ، ٨٩ ،

٩١ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ،

١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ،

٢٠٠ ، ٢١٣ - ٢١٥ ، ٢٢٠

عامر بن أبي جوشن : ٢٧٦/١

عامر بن حريز بن هائل : ٢٦٧/١

٢٦٧/١

أبو عامر السلمي : ٢٧١/١

أبو عامر بن شهيد : ٢١٥/١

أبو عامر (فتوح الغافقي) : ٢/

١٩١

أبو عامر بن محمد بن الوليد محمد :

٧٣/٢

عامل الشرطة : ١٥٤/٢

عامل شرطة المدينة : ١١٤/١

الغاهرات : ١٨٨/١

ابن عباد : ١٠٧/٣ ، ١٠٨ ، ١٨٠

١٨٠

عباد القاسم ١٢/٣

عباد بن محمد بن اسماعيل (انظر

المعتضد)

عباد بن المعتمد : ١٠٤/٣ ، ١٠٥

ابن عباس (وزير زهير) : ٢٤/٣ ،

٢٥ ، ٢٨ - ٣٠ ، ٣٦

ابن عباس اتوزير : ١٠٢/٢

عباس بن الأحنف : ٢٠٦/٢

عباس بن فرناس : ٢٥٨/١

العباس بن المتوكل : ١٥٧/٣

العباسيون : ٥٨/١ ، ٦٨ ، ١٨٧ ،

١٣/٢ ، ٣٠

عبد الجبار الفقيه : ١٩٤/٢

ابن عبد الجبار (محمد بن هشام

المهدي بالله) : ١٦٤/٢ ، ١٦٦

- عبد الرحمن بن المستظهر : ٢٠٣/٢ - عبد الله (القائد الاموى) : ١٩٤/١ . ٢٠٥
- عبد الرحمن بن مطرف التجيبى : ١٢٨ ، ١١٧/٢
- عبد الرحمن الناصر : ١٦٥/١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ١٤/٢ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ - ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ - ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٥ - ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٧/٣ ، ١٦٥
- عبد الرحمن بن هشام (اخو المهدي) : ٢٠٠ ، ١٩٩/٢
- عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار : ٢١٣/٢ - ٢١٥ ، ٢١٩
- عبد الرحمن بن وضاح : ٢٧٦/١
- ابن عبد الرحمن الشاعر : ١٧٩/٣
- عبد العزيز (أمير بلنسية) : ١٦/٣ ، ٢٩٠ ، ٣٣ ، ١١٥ ، ١١٦
- عبد العزيز (حفيد المنصور بن أبي عامر) : ٧/٣
- عبد العزيز بن العيار : ٢٦١/١
- عبد العزيز بن موسى : ٤٨/١ ، ٢٤٢
- عبد العظيم رمضان : ٢٣/١
- عبد الغافر (أخو جعد) : ١٧٤/١
- عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث : ٢٤٩/١
- عبد الله (أخو المتذر) : ١٤٧/١ ، ١٤٨ ، ١٥١
- عبد الله (القائد الاموى) : ١٩٤/١ . ١٩٨
- عبد الله (حفيد باديس ملك غرناطة) : ١٣٠/٣ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٥ - ١٤٧ ، ١٧٠
- عبد الله بن الاشعث القرشي : ١٧٣/١
- عبد الله بن الأفطس : ١٢/٣ ، ١٣
- عبد الله بن أمية : ١٠٣/١ ، ١٢٠ ، ٢٥٥
- عبد الله بن البطرشك : ١١٦/٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨
- عبد الله بن بلقين : ١٤٩/٣
- عبد الله بن عبد الله البلنسى : ٢٤٩ ، ٦٧/١
- عبد الله الجذامى القاضى : ٤٦/٣
- عبد الله بن الحكم : ١٦٠/١ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٣ - ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢١٩ ، ٢١١
- عبد الله الرميمى : ٩٥/١
- عبد الله بن طروب (وابن عبد الرحمن الثانى) : ٩٧/١ ، ١١٢ - ١١٤
- عبد الله بن القاسم (مطران طليطلة) : ٦٤ ، ٦٢/٢
- عبد الله بن مقامس : ٢٠٠/٢
- عبد الله بن المنصور بن أبي عامر : ١٢٦/٢ - ١٣٠ ، ١٣٣
- عبد الله بن المهدي : ١٨١/٢
- عبد الله بن ميمون القداح : ٨/٢ - ١١
- عبد الملك بن أمية : ١٩٤/١
- عبد الملك بن أبي الجود : ١٨٢/١
- عبد الملك بن حبيب : ١٢/٢ ، ١٤

- عبد الملك بن عبد العزيز (المظفر) :
 • ٨٢/٣
- عبد الملك بن محمد بن جهور : ٣/
 • ١٠٣ ، ١٠٢
- عبد الملك المعافري : ٤٤/١
- عبد الملك بن المنذر : ١٠٧/٢ ،
 • ١٠٨
- عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر :
 • ٢٥٧ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٢٧/٢
- عبد الواحد الروطى : ٢١٠/١
- عبد الواحد المراكشى : ٩/١
- ابن أبي عبدة : ٢٠٩/١ ، ٢١٠
- عبد الوهاب ابن حزم : ٢١٣/٢
- عبدة بنت شانجة النصراني : ٢/
 • ٢٦٦
- العبل الشاعر : ٢٥٧/١
- العبيد : ٤٧/١ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ٩٦ ،
 • ١٦٧/٢ ، ١٦/٢
- عبيد الأراضى : ٢٩/١
- العبيد الأشتوريون : ٣٨/١
- العبيد السود : ١٧/٣
- العبيد الطلقاء : ٢٧/١
- عبيد الله الشيعى : ٢٢٠/١ ، ١١/٢ ،
 • ٢٣٢ ، ٢٥ ، ١٢
- عبيد الله بن المعتصم : ١٤٨/٣ ،
 • ١٤٩
- العتق : ٤٩/١ ، ٧٩/٢
- عمثان المصحفى : ٩٩/٢ ، ١٠٢
- العجم : ٦٧/١
- العدنانيون : ١٥٨/١
- العدوة الأفريقية : ٥/١ ، ٣٩
- عدوة الأندلس : ٢٤٥/١
- ابن عذارى : ٢٤١/١
- العذرى (أبو محمد) : ٢١١/١ ،
 • ٢١٢
- العراق : ٧/١ ، ٢٧١ ، ٦٧/٢ ،
 • ١٦٠/٣ ، ٢٢٧
- العرب : ٣/١ ، ٤ ، ٤٠ ، ٤٥ -
 • ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ،
 • ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٥ - ٨٧ ، ١٣٥ ،
 • ١٤٥ ، ١٥١ - ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 • ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 • ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨١ ،
 • ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٩ ،
 • ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٩/٢ ، ١٠ ، ١٥ ،
 • ١٦ ، ٣٨ ، ١١٣ ، ١١/٣ ، ١٢ ،
 • ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ،
 • ٣٠ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٥ ،
 • ٨٢ ، ١٣٢
- عرب أشبيلية ، المعديين : ١٧١/١
- عرب الأندلس : ٢١٢/١
- عرب جيان : ١٥٥/١ ، ١٥٩
- عرب رية : ١٥٥/١ ، ١٥٩
- عرب الريف : ١٦٥/١
- عرب الشام : ٥١/١
- عرب الغرب : ١٦٥/١
- عرب غرناطة : ٢٠٢/١ ، ٢٠٣
- عرب قلعة رباح : ١٥٥/١
- أبو العرب (المغنى الصقلبي) :
 • ٨٥/٣ ، ٩٩
- العرفاء (ج عريف) : ٢٤٨/١
- ابن عروس (أحمد بن حمد) : ٢/
 • ١٠٨
- العريش : ١٠/٣
- ابن العريف (أبو القاسم) : ٢١/٣ ،
 • ٢٢
- عز الدولة (عبد العزيز البكرى) :
 • ٥٩/٣
- عز الدولة (ابن المعتصم) : ١٥٦/٣

- ابن عسقلاجة (عمرو بن عبد الله) :
 • ١٢/٣٢
 عسل النحل : ١٥/٢
 العسيلي : ١٠٩/٢
 العصيان : ١٦١/٢
 أبو العطف (نعيم) : ١٠/٣
 عكاشة بن محصن : ٢٧٤/١
 أبو العلاء بن زهر الطبيب : ١٧٦/٣ ، ١٧٧
 العلاج بالكلى : ١٥٢/٢
 علقمة (قائد جيوش مندوسسة) :
 • ٢٣/٣
 علم الرياضة : ٢٣/٣
 علم الطبيعة : ١٦١/٣
 علم الفلك : ١٥٨/٢ ، ٢٣/٣ ، ٣٣
 علم الكلام : ١٠٩/٢ ، ١٦١/٣
 علم المنطق : ٢٣/٣
 علم النحو : ٢٣/٣
 العلماء : ١١٠/٢
 علوج قرطبة : ٦٥/١
 العلويون : ٥٨/١ ، ٧٧/٢
 على بن حمود : ١٩١/٢ - ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٠٥
 على بن أبي طالب : ٩/٢ ، ١١ ، ٢٢٨
 أبو علي القالي : ٦٧/٢ ، ٧٣ ، ١٥٠
 على بن يوسف بن تاشفين : ١٦٤/٣ ، ١٦٨
 العم صمويل مطران البيرة : ١/١٥٢
 عماد الدولة بن رزين : ١٥٧/٣ ، ١٥٨
 ابن عمار : ٨٩/٣ - ٩١ ، ٩٤ - ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ - ١١٩ ، ١٢١
 العمال : ١٧٢/١ ، ١٧٤/٢ ، ٢١٤
 العمامة : ٢٠٠/٢
 عمامة الشرب : ١٤٧/٣
 عمامة الفقهاء : ١٦٢/٢
 عمامة : ١٦٢/٢
 عمر بن خزير : ١٦٢/٢
 عمر بن حفصون : ١٤١/١ - ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ - ١٨٩ ، ١٩٥ - ١٩٨ ، ٢٠١ - ٢٠٤ ، ٢٠٦ - ٢١١ ، ٢١٧ - ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٦٧ ، ١٢/٢
 عمر بن الخطاب : ٢٣٧/٢ ، ٣/١٦٤
 عمر بن عبد العزيز (الخليفة) :
 • ١٦٣/٣
 عمر بن قومص الكاتب : ٢٥٧/١
 عمر بن مضمين البتروني : ٢٦٦/١
 عمروس : ٦٠/١ - ٦٢
 عمرو بن عبد الله بن عسقلاجة :
 • ١٢٣/٢ ، ١٢٤ ، ١٦٣ ، ١٨٤
 عمير اللخمى : ١٦٦/١
 العناب : ١٨١/٣
 العنب : ١٣١/١ ، ١٩٤/٢
 العنبر : ٩٩/٣
 عنبر الصقلي : ١٧٧/٢ ، ١٧٨ ، ١٨١
 العود الرطب : ١٠٦/٣
 العود من آلات الموسيقى : ٧٦/١
 العود الهندى : ٥١/٣
 عيد الأضحى : ٧٨/١
 عيد الفطر : ٧٨/١ ، ٩٦
 عيد القيامة : ٣٣/١ ، ٣٦
 عيسى المسيح (عليه السلام) :

- الغزالي (الامام) : ١٦١/٣ ، ١٦٢
- غزلان الجارية المغنية : ٧٧/١
- الغلال : ١٨٣/٢
- الغناء : ٧٧ ، ٧٦/١
- الغنم : ٨٩/١
- أبو الفوت الصنعاني : ١٥٠/٢
- غيطشة القوطي : ٤٤/١ - ٤٦
- ١٦٦ ، ٥١

- فاتيسيس (أسقف قرطبة) : ١/١٨٥
- فارس : ٦٧ ، ١١ ، ٧/٢
- فاس : ٦٨/١ ، ٦٩ ، ٢٤٥ ، ٢/٢
- ١٢٢ ، ٢٦٤
- الفاطميون : ١١/٢ - ١٤ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٣٥
- فاطمة الزهراء : ١٢/٢
- فالجش : ٢٩/٢
- فالبرياس الكبير : ٢٣٧/١
- فايرس : ١٢ ، ٧ ، ٦/١
- فائق : ٨٥/٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٢٧٢
- الفتح بن خاقان : ١٢/١
- الفتح بن المعتمد (المامون) : ٣/١١٣
- فتح بن موسى بن ذي النون : ١/١٨٢
- أبو الفتوح يوسف بن زيري : ٢/٧٣
- أبو الفتوح (= ثابت بن محمد الجرجاني) : ٣٣/٣ - ٣٧
- الفتوى : ٢٦٣/٢

• ١٠٩ ، ٩٨ ، ٩٥/١

• عيسى الوزير : ١١٩/٣

• عيسى بن دينار بن واقد الخافقي : ٢٤٦/١

• عيشون (قائد حامية أرشدونة) : ١٤٦/١

• غالب (أمير البحر) : ٤٦/٢ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٧٨

• غالب (حمو المنصور) : ١١١/٢ ، ١١٢ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٢٢ ، ٢٥٤

• غالب (صاحب الثغر الأدنى) : ٢/٩٦ - ١٠٠

• غالب (والي سبتة) : ٦٢/٢ ، ٣٠/١ ، ٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤١/٢ ، ٤٦ ، ٣٢/١ ، ١٤١/٢ ، ١٢٥/٣

• الغاليسيون : ٣٨/٢ ، ٣٣ ، ٣٢/١ ، ٣٢٨ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣٠/١ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣٢/٢ ، ٥٣ ، ١٢١/١ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧

• غرب أفريقية : ٦٨/١ ، ٦٠/١

• غربية (بن طولة) : ٣٢/٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٤٩/٣ ، ١٠٦

• غربية بن أردونيو الصغير : ٦٤/٢ ، ١٢٩/٣

• غرناطة : ١٥٢/١ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ، ١٨ ، ٧/٣ ، ١٩٧ ، ١٩٦/٢

• ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ - ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩

• ١٦٦ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٣٩/٢ : غزاة القدرة

- الفتى الصغير الدرى : ٩٠/٢
 • فتیان الفصر : ١١٢/١
 • فتيرة (مكان) : ٣٣/١
 • فج طليارش : ١٤٠/٢
 • فجیل : ٢٠٩/١ ، ٢١٠
 • الفحشاء : ١٠١/١
 • فحص البلوط : ٢٤٨/١ ، ٢٤٩
 • فحص السراشق : ١٧١/٢
 • فحلون بن عبد الله : ٢٧٤/١
 • ابن الفراء (= أبو عبد الله قاضى الجماعة) : ١٦٤/٣
 • فرانسوا جاك دوزى : ٦/١
 • فرتون (وصيف عبد الله) : ١/١
 • ١٤٨
 • أبو الفرج الأصفهاني : ٦٧/٢
 • فرجيل : ١١١/١
 • فرديناند جوثنالت : ٣١/٢ ، ٤٠ ، ٤٢ - ٤٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦١
 • ٦٤ - ٦٦
 • فرديناند ملك قشتالة وليون : ٣/١
 • ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ - ٨٤
 • الفرس : ١٠/٢ ، ١٢
 • الفرسان : ١١٢/٢
 • الفرصى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف) : ١٨٥/٢ ، ٢٧١
 • الفرما : ٣٧/١
 • الفرنجة : ٤٨/١ ، ٢٤٣ ، ٣٨/٢
 • فرنسسا : ١٤/١ ، ٦١ ، ١٢٤
 • ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٣٨/٢ ، ٥٧ ، ١٢١ ، ١٣٩
 • الفرنسيون : ٣٨/٢ ، ١٣٢/٣
 • فرويلا الثاني : ٢٩/٢ ، ٣١
 • فريدا ليمهاسوس Fred Leemhuis : ٢٣/١
 • فرنيان (شخص) : ٣١/١
 • فريانا (البطل) : ٢٢٧/١
- فستريمر (اسقف نفارة) : ١٢٠/١
 • ١٢٢
 • الفضة : ٧٨/١
 • الفضل بن سلمة : ٢١٧/١
 • الفضل بن المتوكل : ١٥٧/٣
 • الفقه : ٦٨/٢ ، ١٠٩ ، ٢٦٣ ، ١٦١/٣
 • فقه اللغة العربية : ١٥/١
 • الفقهاء : ٥١/١ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١١٠/٢ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٦٤ ، ١٦١/٣ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨
 • فقهاء مراکش : ٤٧/١ ، ٥٧ ، ١٦٦
 • الفسلاحه : ٤٧/١ ، ٥٧ ، ١٦٦
 • ١٦/٢ ، ١٤٧
 • الفلاحون : ٢٣/١
 • الفلاسفة : ١٣/٢ ، ٦٧ ، ١١٠ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩
 • فلاسفة المسلمين : ٨٥/١
 • فلسطين : ١٥/٣
 • الفلسفة : ١٥/١ ، ٧٥ ، ١٣/٢ ، ١٠٩ ، ٣٣/٣ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٦٦
 • الفلسفة اليونانية : ٩/٢
 • الفاك : ٧٨/١
 • فلورا : ٨٥/١ ، ٩٠ - ٩٢ ، ١٠٩ - ١١١
 • فلورندا : ٢٤٢/١
 • فليشر : ١٤/١
 • الفيل : ٥٨/١
 • فيايب الرابع ملك اسبانيا : ٢٤٣/١
 • فيث Veth المستشرق : ١٣/١
 • ٣٣/٣ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٦٦

- القادر ملك طليطلة : ١٢٧ ، ١٢٥/٣ ، ١٢٧
 قادمس : ١٦٨/٣
 القاسم متولى اشبيلية : ٢٠٨/١
 ابن القاسم صاحب ارزيلة : ٢٠٨/١
 قاسم الخصى : ١١٣/١
 قاسم بن العباس : ٢٥٧/١
 قاسم بن على بن حمود : ١٩٥/٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٩/٣ ، ١١ ، ١٧ ، ٦٩
 القاسم بن محمد بن طملىس : ٨٦/٢
 قاسم بن محمد بن اسماعيل (قاضى
 أشبيلية) : ٩/٣ - ١٢
 قاسم بن الوليد الكلبي : ٢٢٥/١
 القاضى (منصب) : ٢١١/١
 قاضى أشبيلية : ٧٦/٢
 قاضى الجماعة بغرناطة : ١٤٣/٣
 قاضى الجماعة بقرطبة : ١٣٠/٣
 قاض قضاء قرطبة : ٢٢٥/١ ، ٢٧١ ، ٢٢٥/٢
 قاض فضاة المغرب : ١١٢ ، ٧٨/٢
 قاض لبلة : ٧٦/٢
 قاض نصارى قرطبة : ٦٢/٢ ، ٦٤
 القاهرة : ٦٦/٢
 قبائل البتر البربرية : ١٦٦/١
 قبوة : ١٤٦/١
 قبض مصر : ٣٣/٢
 قبيلة الهان : ١٠/٣
 قبيلة ايفرن : ٩/٣
 قبيلة الحنش : ٧٩/٣
 قبيلة قيس : ١٥٣/١
 قبيلة بنى كعب العربية : ٢٤٦/١
 قبيلة لخم اليمينة : ١٧٩ ، ١٠/٣ ، ١٨٠
 قبيلة مصمودة البربرية : ٢٤٦/١
 قبيلة معافر اليمينية : ٧٠/١ ، ٧٢/٢
 قبيلة نفزة : ١٨١/١
 قبيلة نفوسة : ١٨/٢
 قبيلة بنى يفرن البربرية : ٤١/٢
 القتل ذبحا : ١٦٦/٢ ، ١٨٤
 القتل بالسم : ٩٨/١ ، ١٦٧/٢
 قحطان : ١٥٨/١ ، ١٧٥ ، ٢٦٧/٢
 قدام السودانى : ٣٦ ، ٣٥/٣
 القدس : ٢٤ ، ١٥/٣ ، ٨/٢
 القديس اسيسكيل : ٩٧/١
 القديس أوجستين : ٣٣/١
 القديس ايزيدور قديس الغرما :
 ٨٣/٣ ، ٣٧/١
 القرآن الكريم : ٦/١ ، ١٤ ، ٩/٢ ، ١٣
 القراصنة : ٣٨/٢
 القرفة : ٩٣/٣
 قرطاجنة : ٣٢/١ ، ٤٤ ، ٢٤٢ ، ٧٢/٢
 قرطبة : ٤/١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٩ - ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣١ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ١٣/٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ - ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٧

- ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١١ ، قص شعر المرأة : ٩٢/١ ،
 ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، قصر بادين : ٧٦/٣ ،
 ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، قصر الحمراء : ٤٩/٣ ،
 ١٦٣ - ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، قصر أبي دانس : ١٣٩/٢ ،
 ١٧٥ - ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، قصر الزاهرة : ١٦٢/٢ ،
 ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥ - ١٩٨ ، قصر الشراحيب : ٩٥/٣ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٤ - ٢١٦ ، ٢٣٥ ، قصر مصمودة : ٧٧/٢ ،
 ٨/٣ ، ٩ ، ١٤ - ١٧ ، ٢١ ، قضاء أشبيلية : ١٠/٣ ،
 ٢٥ ، ٢٩ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٧٠ ، القضاء : ٧٦/١ ،
 ٧٢ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٢ - ١٠٦ ، قضاة قرطبة : ٢٦٣/٢ ،
 ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، قطاع الطرق : ٨٨/١ ،
 ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، قطلونيا : ٨٠/١ ، ٣٤/٢ ، ١٢١ ،
 ١٦٨ ،
 القرطبيون : ٦٦/١ ، ٦٧ ، ٦٩ ،
 ٩٧ ،
 قرمونة : ٤٦/١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ،
 ٢٠٩ ، ٢٢٤ - ٢٢٧ ، ٧/٣ ،
 ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٥٠ ،
 ٥١ ، ٨٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 قرية نبرة : ١٢٩/٣ ،
 قرية يومين : ١٠/٣ ،
 قريش : ٦٩/١ ، ١٦٦ ، ٢٥٣ ،
 ١٦٧ ، ٣٣/٢ ،
 القز (الوزير الحاجب) : ٢٢٠/٢ - ٢٢٢ ،
 القسس : ٨٨/١ ،
 القسطنطينية : ١٠/٢ ، ١٣ ، ٤٥ ،
 القسم بالمصحف : ١١٣/١ ،
 قشتالة : ١٣٤/١ ، ٢٩/٢ ، ٣١ ،
 ٤٠ ، ٤٣ - ٤٥ ، ٥٤ - ٥٦ ،
 ٩٦ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٧٩/٣ ،
 ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ،
 قشتالة القديمة : ١٦/٢ ،
 القشتاليون : ١٧٤/٢ ، ١٧٦ ،
 قشبر البلجي : ١١٣/٣ ،
- قطع الأرجل : ١١٢/١ ،
 قطع الأيدي : ١١٢/١ ،
 قطع العنق والرأس : ١٢٦/١ ،
 القطن : ١٦٥/١ ،
 قلائد العقيان : ١٢/١ ،
 القلب والتزييل : ١٥٠/٢ ،
 ابن قلزم الشاعر : ٢٧٠/١ ،
 القلعة Alcala : ١٤٥/٣ ،
 قلعة استجة : ١٩٦/١ ،
 قلعة أشبيلية : ٧١/٣ ،
 قلعة إيرش : ٤٤/٣ ،
 قلعة أيوب : ٣٢/٢ ،
 قلعة بطليوس : ١٥٦/٣ ،
 قلعة بلدة : ٢٣١/١ ،
 قلعة بياسة : ١٩٧/٢ ،
 قلعة جيان : ١٨١/١ ،
 قلعة حجر النسر (أو صخرة حجر
 النسر) : ٧٨/٢ ،
 قلعة الحنش : ٢٣/٢ ، ١٣٥/١ ،
 قلعة رباح : ٨١ ، ٨٠/١ ، ١٢٠ ،
 ١٢٢ ، ٦٥/٢ ، ١٦٦ ، ١٨٤ ،

- ٤٧ ، ٤٩ - ٥١ ، ١١١ ، ١٦٥ ،
- ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧ ، ١٥٨/٣ .
- ابن القوطية : ٦٧/٢ ، ٧٣ .
- قوس بن انتيان بن جولييان /١
- ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ،
- ٢٥٧ .
- قوس جلبقية : ١٢٦/٢ .
- قوس قشتالة : ١١٦/٢ ، ١٢٩ ،
- ١٦١ .
- القيامة بعد الموت : ٢٠٥/٢ .
- القيد بالسلاسل : ٩٦/١ ، ٩٩ ،
- ١٣٠/٢ ، ٢٩/٣ .
- القبروان : ٩٦/١ ، ٤١/٢ ، ٤٢ ،
- ١٧٢ ، ٢٣٧ .
- القيسية : ٤/١ .
- الكاوليك : ٣٥/١ .
- الكاوليكية : ٣٥/١ ، ٥٠ .
- كافور (عبد صاعد البغدادي) :
- ١٥١/٢ .
- كالديرون : ١٩/١ .
- كامبليوس (مكان) : ١٣١/١ ،
- ١٤٣ .
- الكاهن بول أوروذا : ٢٣٨/١ .
- كتاب الأغاني : ٦٧/٢ .
- كتاب انخلمان : ١٤/١ .
- كتاب طوق الحمامة : ٣٤/٣ .
- كتاب الكنز : ٢٢/٣ .
- كتاب مدينة الرب : ٢٣٨/١ ،
- ٢٣٩ .
- كتابة الرقاع : ٧٤/٢ .
- كتامة : ١٠/٢ ، ١١ ، ١٤ .
- الكتاميون : ١٤/٢ .
- الكردينال أكسمناس : ٢٥٢/١ .
- كركبولية : ٢٠٢/١ .

- ١٦٨ ، ٦٩ ، ١٥/٣ ، ١٩٧ .
- قلعة طليبرة : ١٢٢/١ .
- قلعة قرطبة : ١٩١/٢ .
- قلعة كازلونا : ٢٢٢/١ .
- قلعة كونكة : ٨٣/٣ .
- قلعة لوس باثيوس : ٩٢/٢ .
- قلعة مونت فيق : ٢٠٦/١ .
- قلعة مويش : ٢٨/٢ ، ٢٣٢ .
- قلعة نوالش : ٢٠٣/١ .
- قلعة هنري : ١٢٣/١ .
- قلعة يحصب : ١٨٤/١ .
- القلفاط (أبو عبد الله محمد بن
- يحيى) : ٢١٢/١ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ .
- القليعي (أبو جعفر) : ١٣٠/٣ ،
- ١٤٣ ، ١٤٥ .
- قلقرة : ٢٩/٢ .
- قلمرية : ١٢٥/٢ .
- القلنسوة الخليفة : ١٣٧/٢ ،
- ١٦٦ .
- القمبياطور Cid : ١٣٨/٣ .
- القمح : ٣١/١ ، ٢٨/٢ ،
- ١٦٥/٣ .
- قمر (المغنية) : ٢١١/١ ، ٢١٢ ،
- ٢٧٠ ، ١٦٧/٣ .
- القنبانية : ٦٧/١ .
- قنبرة : ٨٢/٣ .
- قنبيط : ٢١٧ ، ٢٧١ ، ٢٠٨/١ .
- قند (صاحب طليطلة) : ٢٣٨/٢ .
- القنطرة : ١١٤/١ .
- قنطرة ألبونت : ٢٧/٣ ، ٢٨ ،
- قنطيش : ١٧٤/٢ .
- ابن القواصة : ٢٤١/١ .
- قورية : ١٦/٢ ، ١٣٩ .
- القوط : ٤/١ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
- ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ،

- الكورياتل Curiales : ٢٨/١ ،
 • ٣٨ ، ٢٩
 كولومبرا (زوج أرجنتا ابنة عمر بن
 حفصون) : ٢٢١/١ ،
 كونت برشلونة : ٢١٨/١ ،
 كونت بلاذر : ٢١٨/١ ،
 كونت بوريل القطلوني : ٦٥/٢ ،
 • ٢٤٤
 كونت جوننالت : ٦٦/٢ ،
 كونت رزريق فولسك : ٦٥/٢ ،
 كونت قبيرة : ١٨٩/١ ،
 كونت قشـتالة : ٣١/٢ ، ٥٥ ،
 • ٦٥
 كونت كاريون : ١٦٥/٢ ، ١٦٦ ،
 كونت مونزن : ٤٣/٢ ،
 كونت ميرون : ٦٥/٢ ،
 كونت يوليان : ٢٤١/١ ،
 كوندية : ١٠/١ ، ١٣ ،
 كويهبر : ١٦/٢ ،
 الكيمياء : ١٧/٢ ،
 لاتيفونديا (المزارع الكبيرة) :
 • ٢٣٧ ، ٢٧/١
 لاردة : ٣٢/١ ، ١١٧/٣ ،
 لافونتين (الشاعر) : ٤٤/٣ ،
 لامبيجيا بنت اردو دوق اكويتانيا :
 • ٢٢٩/٢
 لاميجو : ١٤١/٢ ، ٧٩/٣ ،
 لانية (بلد) : ١٢٩/٢ ،
 اللاهوت (علم) : ٦/١ ،
 لب (بن موسى) : ١٣٤/١ ، ٢١٥ ،
 ابن اللبانة : (الشاعر) : ١٧٠/٣ ،
 • ١٧٨
 لبلة : ١٣٦/١ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ،
 • ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٦٥ ،
 كركر : ٢٥٩١ ،
 كريب : ١٦٦/١ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 • ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٤ ،
 • ٢١١ ، ٢٠٦
 الكريز : ١٣١/١ ،
 الكساء : ١٣١/١ ،
 الكعبة : ١٣٩/٢ ،
 الكمك : ٩٦/١ ،
 الكلاب : ٨٧/١ ،
 كلابريا : ٤٥/٢ ، ٦٥ ، ٢٣٥ ،
 • ٢٤٤
 كمارش : ٤١/٣ ،
 الكمتري : ١٣١/١ ،
 ابن كنون (الحسن بن ادريس) :
 ٧٧/٢ - ٧٩ ، ٨٧ ، ١٢٢ -
 • ١٢٤
 كنيسة ازممت : ١٢٤/١ ،
 الكنيسة الاسبانية : ٣٤/١ ،
 كنيسة اسبسيكل : ٩٥/١ ، ١٠٩ ،
 كنيسة باب البيرة : ١٥٢/١ ،
 كنيسة تيرازون : ٣٢/١ ،
 كنيسة جديلا : ١٦٣/٣ ،
 كنيسة سنت سيرين : ١٢٣/١ ،
 كنيسة سنت مرسية : ١٨٢/١ ،
 كنيسة شنت ياقب : ١٢١/٢ ،
 كنيسة غاليسيا : ١٤٥/٢ ،
 كنيسة القديس جاك : ٢٩/٢ ،
 كنيسة القديس زويل : ٨٩/١ ،
 • ٩٠
 كنيسة كوربو : ١٨٢/١ ،
 كهف كوفادينا : ١٤/٢ ،
 كورة الشرف : ١٦٥ - ١٦٧ ،
 كورة الغرب : ١٦٩/١ ، ١٧٠ ،
 • ١٨٢ ، ١٧٥
 كورة مورور : ١٦٦/١ ، ١٧١ ،

- ١٤٤ ، ١٣٩ - ١٣٧
 • اللوز : ٩٣/٣
 • لوزيتانيا : ٣٢/١
 • لوكان : ١١١١/١
 • لونا (Luna محبوبه المعتمد) :
 • ١٠١/٣
 • اللؤلؤ : ١٤٨/٣
 • لويس النقى : ٧٩/١
 • الليمون : ١٣١/١
 • ليفي بروفنسال : ١١/١ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥٩
 • ليفوجلا : ١٢٣/١
 • ليوكرينيا : ١٢٤/١ - ١٢٦
 • ليون : ٢١٨/١ ، ١٤/٢ - ١٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٥
 • ٦١ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٦٢ ، ٢٣٩ ، ٨٠/٣
 • ١٦٩ ، ٨٣
 • الليونيون : ١٢١/١ ، ١١٥/٢ ، ١١٦
 • مارتلة : ١٨٢/١
 • ماردة : ٤٦/١ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ١٣٥ ، ١٦٨ ، ١٨١ ، ٢٣٤
 • ١٥/٢ ، ٢٣ ، ٢٣١ ، ٦٠/٣
 • ماري الراهبة : ١٠٩/١ ، ١١١
 • ماريه كاروليان (زوجة دوزي) :
 • ٨/١
 • الماس : ١٤٨/٣
 • مالقة : ٥١/١ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ٢٧٤ ، ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ٧١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٧/٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١
 • ١٨٩/٢ ، ٢٠٥ ، ٥٧/٣ ، ٥٨
 • لبن الصنزة : ٩٨/١
 • اللحم : ١٦٥/٣
 • لذريق المسك : ٤٣/١ - ٤٥ ، ٢٤٢
 • لشبونة : ٤٥/٢ ، ١٧٤ ، ١٢/٣ ، ٤٣ ، ١٥٦
 • اللعن : ٩٥/١
 • اللعن على المنابر : ٤١/٢ ، ٤٦ ، ١٦٤
 • اللغة الاسبانية : ١٠/١ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ١٩٣
 • اللغة الالمانية : ١٣/١ ، ٢١
 • اللغة الانجليزية : ١٤/١ ، ٢١
 • اللغة البرتغالية : ١٤/١
 • اللغة السريانية : ٦/١
 • اللغة العبرية : ٦/١ ، ١٢
 • اللغة العربية : ٦/١ ، ١٠ ، ١٢ - ١٤ ، ١٧ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٣/٢ ، ١٩١
 • اللغة الفارسية : ١٢/١
 • اللغة الفرنسية : ١٢/١ ، ١٣ ، ٢١
 • اللغة اللاتينية : ١١/١ ، ٨٥ ، ٨٦
 • اللغة الهولندية : ١٣/١
 • لقنت : ٤٧/١ ، ٢٣٤
 • اللمبارديون : ٢٤٢/١
 • لميجو (انظر لاميجو)
 • لندن : ١٦/١
 • لوينا : ١٦٣/٣
 • لوجو (بلد) : ٣٣/١
 • لوجو (بلد) : ٣٣/١ ، ١٨٣ ، ١٢٢/٢ ، ١٢٩/٣

- مجمع طليطلة السابع عشر :
 • ٢٣٩/١
 مجمع طليطلة الثامن عشر : ١/
 • ٢٤٣
 المجمع الكنسي الثامن : ٢٣٩/١
 مجمع نيقية : ٢٦٩/١
 المجوس : ٢٥٨/١
 تسبب البصرة : ٢٢٧/٢
 محمد (صلى الله عليه وسلم) :
 ٤٩/١ ، ٩٩ ، ٩٥ ، ٨٦ ، ٦٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ٢٥٢ ، ١٢٣ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٩١
 محمد بن ادريس : ٤٤/٣ ، ٤٥ ، ٥٧
 محمد من اسحق التميمي :
 • ٢٤٦/٢
 محمد بن اسحق بن السليم :
 • ٢٤٦/٢
 محمد بن اسماعيل (الكاتب) :
 • ١٠٤/٢
 محمد بن اسماعيل (قاضي أشبيلية) :
 • ٤٩/٣
 بن أضحي : ١٥٧/١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
 محمد بن أفلح : ٢٦١/١ ، ٧٤/٢ ، ٧٥
 محمد (الامام الثاني عشر) :
 • ١٠/٢
 محمد بن يريم : ١١/٣ ، ١٢
 محمد بن البشير (القاضي) :
 • ٧٢/٢
 محمد بن تاجيت : ٢٣١/٢
- ٢٥ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ -
 ٤٦ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧٢ - ٧٤ ، ١٤٩ ، ١٤٥
 مالك بن أنس : ٥٨/١ ، ٧٠ ، ٢٤٥ ، ٤١/٢ ، ٣ ، ١٦١/١
 مالك بن المعتمد : ١٥٥/٣
 مالك بن وهب الاشبيلي : ١٦١/٣
 المأمون (صاحب طليطلة) : ٦٨/١ ، ٨٣/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥
 ماسون أسقف ماردة : ٢٤٣/١
 المانوية : ٨/٢ ، ٩
 متاليا (زوجة أوريليوس) :
 • ٢٥٨/١
 المتبربرون : ٤/١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ - ٣٦
 المتوكل (صاحب بطليوس ١٢٧/٣ ، ١٣٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٠
 المجاعة : ٣١/١ ، ٨١ ، ١٩٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ١٥/٢ ، ١٦ ، ٢٢٩ ، ١١٣/٣
 مجاهد أمير دانية : ٢١٦/٢ ، ٢١٧ ، ٣٣ ، ١٦/٣
 مجاهد (آخر أمراء جزر البليار) :
 • ٧/٣
 مجريط : ٩٧/٢
 مجلة دى خيلد : ١٣/١
 مجلس الأعيان : ٢٩/١
 مجلس المشورة : ١٥٢/٢ ، ١٩٤ ، ٢١٧ ، ١٦/٣
 مجمع طليطلة : ٣٦/١ ، ٣٩
 مجمع طليطلة الرابع : ٢٣٩/١
 مجمع طليطلة الثامن : ٢٣٩/١
 مجمع طليطلة السادس عشر :
 • ٢٤٣/١

- محمد بن غالب : ١٦٨/١ - ١٧١ .
 محمد بن القاسم بن حمود :
 . ٤٥/٣
 محمد بن قاسم بن طملس :
 . ٢٤٧/٢
 محمد بن القاسم القرشي : ٢٤٧/٢ .
 محمد بن لب : ١٤٤/١ ، ٢١٧ ،
 . ٢٧/٢
 محمد بن مرتين : ١٠٣/٣ ، ١٠٤ .
 محمد بن مسلمة : ١٠٤/٢ .
 محمد بن المعتضد : ٦٠/٣ .
 محمد بن المنذر : ١٦٩/١ - ١٧١ .
 محمد المهدي الخليفة : ٣٠٧/٢ .
 محمد بن موسى : ١١٢/١ ، ١١٥ .
 محمد بن نوح : ٦٠/٣ ، ٦١ .
 محمد بن هاشم التجيبي : ٣٢/٢ ،
 ٣٩ ، ٣٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ .
 محمد بن الوليد بن غانم :
 . ١٤٤/١
 محمد بن هشام بن عبد الجبار
 (المهدي بالله) : ١٦٣/٢ ،
 . ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٦٤
 محمد بن يعلى الزناتي : ١٦٥/٢ .
 مدبر أملاك ولي العهد : ٧٦/٢ .
 مدريد : ٣١/٢ .
 مدينة بازو : ١١/٣ .
 مدينة الرب : ٣٤/١ .
 مدينة الزهراء : ٥٧/٢ ، ٦٢ .
 مدينة سالم : ١٨١/١ ، ٢١/٢ ،
 ٤٤ ، ٦١ ، ٤٦ ، ١٧٣ ، ١٧٥ .
 مدينة بنى السليم : ٣٠٦/١ .
 مدينة الالج : ١٤٧/٣ .
 مدينة لوسينا : Lucina .
 . ١٦٢/٣
 المدينة المنورة : ٥٨/١ ، ٢٤٥ ،
 محمد الحجاري : ١٧٧/٣ .
 محمد بن حجاج : ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ ،
 . ٢٢٧
 محمد بن حفص بن جابر : ١٠٢/٢ .
 محمد بن خزو : ٣٠/٢ .
 محمد بن ديسم : ٨٠/١ .
 محمد بن زيري : ٩/٣ .
 محمد بن السليم : ٧٢/٢ .
 محمد بن سعيد بن هرون (المعتصم) :
 . ٥٩/٣ .
 محمد شريحيل المفاقرى : ٢٤٦/٢ .
 محمد الطليطلى : ١٧٤/٢ .
 . ٢٢٤/١
 محمد بن أبي عامر : ٧٤/٢ - ٧٦ ،
 . ٢٥٠ ، ٧٨
 محمد بن عبد الرحمن التجيبي :
 . ٢٣٤/٢
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم :
 ٩٧/١ ، ١١٢ - ١١٦ ، ١١٩ -
 ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ،
 . ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٢ .
 محمد بن عبد الرحمن (المستكفي) :
 . ٢١٥/٢ ، ٢١٦ ، ٢١٩ .
 محمد بن عبد الله (أمير قرمونة) :
 . ١٢/٣ ، ١٦ ، ١٧ .
 محمد بن عبد الله الأفتس :
 . ١٢/٣
 محمد عبد الله عنان : ٢٢٨/٢ .
 محمد بن المراقى : ١٩٩/٢ ،
 . ٢٧٥ ، ٣٠٠
 محمد بن عمر بن أنجلين : ١٦٩/١ ،
 . ١٧٢ ، ١٧١

- ٣٠/٢ .
مدينة وبر : ٢٠٦/١ .
المذهب السني : ١٩٧/٢ .
المذهب الشيعي : ١٩٧/٢ .
المذهب المالكي : ٥٨/١ ، ٥٩ ،
٢٦٣/٢ ، ٢٤٥ .
المرابطون : ٣/١ ، ٥ ، ٩ ، ١٣ ،
٨٤/٣ ، ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٣٨ ،
١٤٠ - ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .
مراكش : ١٧٤/٣ ، ١٧٥ ، ١٨١ ،
المرتد : ٩١/١ .
المرتزقة : ٢٤/٢ ، ٧٦ - ٧٩ ،
١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤ ،
١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ .
المرتضى الخليفة : ٢٠٥/٢ .
مرتولة : ٥٧/٣ .
مرسى الحزر : ٥٤/٢ .
مرج القضة : ٩٢/٣ .
حرسية : ٧٩/١ ، ١٨٢ ، ٢٥/٢ ،
٢٦ ، ١٢٢ ، ٨٢/٣ ، ١١١ ،
١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٧ -
١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٥٦ .
ابن مروان الجليقي : ١٣٥/١ -
١٣٧ ، ١٥١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ ،
٢٧٧ .
المريسة : ٤٦/٢ ، ٥٦ ، ١٩٠ ،
١٩١ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ١٥/٣ ،
١٧ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
٣٣ ، ٧٥ .
المزامير : ٤٣/٣ .
المستعربون : ١٦٢/٣ ، ١٦٣ ،
المستعرب (من بني هود) : ١٥٧/٣ .

- معد : ٤/١ ، ٧٩ ، ١٥٤
- معد بن اسماعيل : ٢٤١/٢
- معركة وادي بولون : ٢١٧/١
- المعز لدين الله الفاطمي : ٤٦/٢ ، ٧٦ ، ٢٢٧
- ممسك الدور : ٢٥٩/١
- معن بن صمادح (أبو الأحوص) : ٢٩/٣
- المعهد الاسباني : ١٥/١
- المعهد الملكي الهولندي : ٧/١
- ١١١ - ١١٧ ، ١١٩ - ١٢١ ، المعهد الهولندي للأثار المصرية والبحوث العربية بالقاهرة : ٢٣/١
- المغاربة : ٣٠/٢ ، ٣١ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٦
- المغرب : ٣/١ ، ٧٧ ، ٢٤/٢
- ٧٦ - ٧٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٩٩ ، ٢٣٥
- المغيرة بن الناصر : ٨٦/٢ - ٨٩ ، ١٤٩
- مفتي قرطبة : ١٤٩/٢
- أبو المفرج الخصي : ١١٣/١
- مقبرة أغمات : ١٧٩/٣
- المقتدر (ملك سر قسطة) : ٨٣/٣ ، ١١٧
- مقدم بن معافى : ٢٠٤/١
- مقدمة ابن خلدون : ١٤/١
- المقصلة (انظر المشنقة) : ٩٧/١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٣٠/٢
- مكة : ٣٠ ، ٢٥/٢ ، ١١٣ ، ٥٨/١
- ٧٣ ، ٢٧١ ، ١٤/٣ ، ٥٢

- مطران سرقةسطة : ٣٦/١
- مطران طليطلة ، ٦٢/٢
- المطرف بن موسى بن ذي النون : ١٨٢/١ ، ٢٣٣/٢
- المطرف بن هشام : ١٨٠/١ ، ١٨١ ، ١٨١
- مطمخ الأنفس : ١٢/١
- المظفر (محمد بن القاضي ابي القاسم) : ١٣ ، ١٢/٣
- المظفر (محمد بن عبد الله بن محمد سلمان أمير بطليوس) : ٥٨/٣ ، ٥٩ ، ٧٩
- المظفر بن أبي عامر : ١٥٧/٢ ، ١٦١ - ١٦٣
- معاذ بن أبي قررة : ٦٢/٣ ، ١٦٣
- المعتد بالله بن المعتد : ١٥٦/٣
- المعتزلة : ٢٨٨ ، ١٥٩/٢
- المعتصم (= محمد بن سعيده بن هرون) : ١٣٩ ، ١٣٢/٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤
- المعتضد (= عباد بن محمد بن اسماعيل) : ٥٣ - ٤٩/٣ ، ٥٣ ، ٥٨ - ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٩
- ١٧٦ ، ٨٥
- المعتد (= محمد بن عباد) : ٣/١ ، ٥ ، ٦ ، ٦٠/٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ - ٩٥ ، ٩٩ - ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٦٨ - ١٧٤ ، ١٧٠ ، ١٨١
- معجم كين : ١٤/١

- مكتبة بريل : ١٣/١ ، ٢١ ، ٢٢
 • مكتبة بودليان : ١٩/١
 • مكتبة جامعة لندن : ٩/١ ، ١٢
 • مكتبة الحكم الناني : ١٨٣/٢
 • المكتبة الجغرافية : ١١/١
 • مكتبة جوته : ٩/١
 • مكناسة : ٣٠/٢ ، ١٦٣/٣ ، ١٧٤
 ابن الكوى : (الفقيه أحمد بن
 هشام الاشبيلى) : ١٤٩/٢ ، ٢٦٣
 • الملابس العربية : ٧/١
 • الملاحة : ١٦٦/١
 • الملاحي : ١٨١/١
 • الملائكة : ٨٧/١
 • ملسون (أسقف ماردة) : ٣٦/١
 • الملك ريكارد : ٤٩/١
 • ملك الصقالبة : ٢٣٦/١
 • الملك فامبا : ٤٠/١
 • ملك نفارة : ٢١٨/١
 • ملوك الطوائف : ٣/١ ، ٥ ، ٧
 • ميزند : ١١٠/١
 • الممالك الخرص : ٦٥/١
 • ممر رونسفال : ٢٣٣/٢
 • منتسة : ٢٢١ ، ١٨١/١
 • المنتلون : ٢٢٣/١ ، ٢٧٤
 • متت شلوط : ١٣٦/١
 • مندجو : ١٧/٢
 • مندوسة البربرى : ١٥/٢
 المنذر (= حاكم سرقسطة) :
 • ١٩٤/٢
 المنذر بن حريز بن هابل : ٢٦٧/١ ، ٢٧٤
 المنذر بن محمد بن عبد الرحمن :
 • ١٢٢/١ ، ١٣٦ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٧٠
 المنذر بن يحيى التجيبى : ١٩٥/٢ ،
 • ٣٤ ، ٣٣ ، ٧/٣ ، ١٩٦
 • منزل هانى : ٦٦/٢
 المنصور (بن أبى عامر) : ٤/١ ،
 • ٩٢ - ٨٦ ، ٨١ ، ٨٠/٢ ، ٥
 • ٩٥ - ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،
 • ١٠٧ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ،
 • ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ - ١٤٢ ،
 • ١٤٥ - ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 • ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٨١ ،
 • ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ،
 • ٢٦٤ ، ٧/٣ ، ١٦٥
 المنصور اليهودى : ٧٧/١ ، ٧٨
 • المنصورية بافريقية : ٧٦/٢
 • المنقتل الشاعر : ٢٣/٣
 • ابن مهاجر الطليطلى : ٨١/١
 المهدي بالله (ابن عبد الجبار) :
 • ١٧٥ ، ١٦٩/٢
 • المهدي (المزعوم) : ١٨/٢ ، ٢٣
 • المهدي المنتظر : ١٠/٢ - ١٢ ،
 • ١٧
 • المهديّة : ٤١/٢ ، ٤٢ ، ١٧٨/٣
 • المهرجان : ٧٨/١
 • الموالى الأمويون : ٧٢/١ ، ١٤٦ ،
 • ٧٦/٢ ، ١٢٢ ، ١٩٢
 • الموت بالسم : ٢١٦/٢
 • المؤتمن : ١١٧/٣ ، ١١٨ ، ١٦٦
 • الموحدون : ١٦٧/٣
 • مورة : ٢٠٦/١ ، ٧/٣
 • مورور : ٢٧٠/١ ، ٦٠/٣ - ٦٢ ،
 • ٦٤ ، ٦٨
 • موسى بن جعفر الصادق : ١٠/٢

- النحل : ٧١/٢
- النحو : ٦٧/٢ ، ٦/١
- نخاس الحمير : ٣٣/٢
- الترمسديون : ١٢٣/١ ، ١٢٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥/٢ ، ٨٢/٣ ، ٨٣
- نزع القبة (احتراماً) : ٦٣/٢
- نزهة المشتاف : ١١/١
- النساطرة : ١٥٩/٢
- التنسك : ٢٢٨/٢
- النصارى (انظر أيضاً المسيحيون) : ٥/١ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٣٤ ، ١٠/٢ ، ١٤ ، ٢٩
- النصارى الاسبان : ١١/٣
- النصارى التوابون : ٥٢/١
- نصارى الشمال : ٢٢٧/١ ، ٢٤/٢ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٣٣ ، ٢٦٦
- نصارى قرطبة : ٨١/١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٢٢ ، ١٨٥
- نصارى الليط : ١٤٤/٣
- نصر الحاجب : ٧٩/١ ، ٩٦ - ٩٨
- النصرانية (= المسيحية) : ٣٤/١ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ - ٥٢
- النقيذ (لقب يهودى) : ٢٤/٣
- نفارة : ١١١/١ ، ١٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ١٩/٢ ، ٢٩ ، ٥٢ ، ١٤٨ ، ٢٣٣ ، ١٢٥/٣
- النفى : ٣٨/١ ، ٣٩ ، ٦٩
- النقش على السكة : ٧٣/٢
- تكور : ٢٥/٢ ، ٢٦ ، ١٤٠
- النهب : ٤٧/١
- نهر ابرو : ١٦/٢ ، ٢٦
- نهر ارفيجو : ٣٢/١
- موسى بن ذى النون : ١٨١/١
- موسى بن أبى العافية : ٣٠/٢
- موسى بن قسى : ٣٤/١ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٥
- موسى بن نصير : ٤٣/١ - ٤٦ ، ١١/٣
- الموسوية (اليهودية) : ٣٩/١
- مول : ١٩/١
- مولة : ١١٣/٣
- المولدون : ٢٧/١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ١٣٤
- المؤمل : ١٤٧/٣ ، ١٤٩
- مولت روى : ٢٣٣/١
- مويش (قلعة) : ١٨/٢ ، ٢٣٣
- ميرندة : ١٦/٢
- ميسرة قائد العلوج : ٨٠/١
- ميسور (كاتب المنصور) : ٨٠/٢
- ميشيل المؤرخ : ٣٨/١
- ميلة : ٤٧/١
- ميلخر انتونيا : ٢٦٢/١
- منوسة : ٢٢٩/٢
- ميناء الخزر : ٥٤/٢
- نابيل قائد العلوج : ١٥٣/١
- ناجرة : ٢٦/٢ ، ٢٨
- ابن نادر البواب : ٦٧/١
- الناصر بن أبى عامر : ١٦١/٢
- ناظر بيت المال : ٧٦/٢
- نبش القبور : ٢٣٣/١
- النبيذ : ١٥١/٢ ، ١٦١
- نجاء الوزير الصقلبي : ٤١/٣ ، ٤٢
- نجدة بن حسين : ٢٣٦/٢
- نجدة الصقلبي : ٣٩/٢

- نهر بكة : ٤٥/١ .
- نهر تاجة : ١٢٤/١ ، ٢٤٢ ، ١٦/٢ ، ١٧ ، ١٩ .
- نهر الجودوز al-Godoz : ٢٣٥/١ .
- نهر دورو : ١٧/٢ ، ١٩ ، ٦٦ ، ٧٩/٣ .
- نهر دويرة : ١٦/٢ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ .
- نهر الراين : ٣٠/١ ، ٢٣٧ .
- نهر رباط : ٢٢٩/٢ .
- نهر الفرات : ٢٧٠/١ .
- نهر القوشكة : ٢٦٩/١ .
- نهر قرطبة : ٢٦٤/٢ .
- نهر كريون : ٤٠/٢ .
- نهر موندجو : ١٦/٢ .
- نهر منهو : ١٣٩/٢ ، ٣٦٢ .
- نهر وادي آره : ٢٠٦/١ .
- نهر الوادي الكبير : ٩٧/١ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ٢٢٤ ، ٢٦٥ ، ٧٢/٢ ، ١١٠ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ٧١/٣ ، ٩٠ .
- نهر الوادي اليناع : ١٧/٢ ، ٢٢٩ ، نورتبرج : ٩/١ ، النوروز : ٧٨/١ .
- الهابلليون : ١٨٢/١ .
- هادي (خادم ابن عمار) : ١١٧/٣ ، ١١٨ .
- هاشم بن عبد العزيز : ١١٩/١ .
- هاشم الندوي : ٢٦٤/٢ .
- هدم الكنائس : ٢٣٧/١ .
- هذيل الصقاني : ٢٨/٣ .
- هرات : ٣٠/٢ .
- الهرطقة : ٢٩/١ .
- هرثمة بن أيمن : ٢٤٩/١ .
- الهرطقة : ٤٨/١ .
- هرمو جيس (اسقف نوي) : ٢٨/٢ .
- هرون الرشيد : ٧٦/١ ، ٧/٢ .
- هشام الناني : ١٨٥/٢ ، ١٩٠ ، ٢ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١١/٣ ، ٢٥٠ ، ١٤ - ١٨ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٦٩ .
- هشام الثالث (المعتمد) : ٢١٧/٢ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ .
- هشام الحاجب : ١٣٥/١ - ١٣٧ .
- هشام بن حمزة : ٢٤٦/١ .
- هشام بن سليمان بن عبد الرحمن : ١٧١/٢ ، ١٧٢ .
- هشام بن عبد الرحمن : ٥٧/١ ، ٥٨ ، ٢٣٢/٢ .
- هشام بن المستنصر بن الحكم : ٨٠/٢ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٣٣ - ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٧٧ .
- هشام المصحفي : ١٠١/٢ .
- هلال بن أبي قررة : ٦٠/٣ ، ٦١ .
- هلديون الأسقف : ١٢٢/١ .
- الهليون : ٧٨/١ .
- هنخ حاخام اليهود الرباني : ٢١/٣ .
- هنريخ فليشر : ٨٠/١ .
- هنيذة جارية زرياب : ٧٧/١ .
- هوراس : ١١١/١ ، ١٥٢ .

- الهوزنى : ١١/٣ ، ١٢ .
 هوستجيسوس الاسقف : ٥١/ ، ١٥٢ .
 هولندة : ٨/١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ .
 الهولنديون : ١٣/١ .
 الهون (Huns) : ٣١/١ .
 هونوريوس : ٣٠/١ .
 هويده (بلد) : ١٨٢/١ .
 هيبيون (مكان) : ٣٣/١ .
 هيچ دى بروفانس : ٤١/٢ .
 هيرودوس : ١٣٨/٢ .
 وادى أرملاط : ١٧٢/٢ .
 وادى اش : ١٩٧ ، ١٩٥/٢ .
 وادى باب شيزروا : ٢٧/٢ .
 وادى بكة : ٢٤٢/١ .
 وادى الحجارة : ١٦/٢ ، ١٧٣ .
 وادى الخيزران : ٢٨/٢ .
 وادى سليط : ١٢١/١ ، ٢٤١ .
 وادى بنى عبيد الله : ٢٧٤/١ .
 وادى منيه : ١٣٩/٢ .
 وادى هورش : ٢٦١/١ .
 وادى يانه : ١٧/٢ .
 وازمار البربرى : ١١٣/٢ ، ١١٤ .
 واضح الحاجب : ١٤٢/٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ - ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ .
 الوباء : ٣١/١ .
 الوثنية : ٤٩/١ .
 الوثنية الرومانية : ٨٧/١ .
 الوثنيون : ٣٤/١ .
 وخنمة : ٢٦/٢ - ٢٨ ، ٣١ .
 وداد (محبوبة المعتمد) : ١٠١/٣ .
 ابن أبى رداة (القائد الصقلى) : ١٨٣/٢ ، ١٨٤ .
 الورع : ١٣/٢ .
 الوزارة : ٩٥/٢ .
 الوزراء : ٢٠٠/٢ .
 الوزير : ٢٧/٢ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٥١ .
 وستريمير الاسقف : ١٢٢/١ .
 وشقة : ٦٠/١ ، ١٣٤ ، ٢١٨ ، ٢٦١ .
 الوضع فى قصص من حديد : ٤٢/٢ .
 الوطء بسنايك الخيل : ١٦٦/٢ .
 وقعة انزول : ١٦٣/٣ .
 وقعة استنجة : ٣٦/٣ ، ٤١ .
 وقعة أنثيسة : ٦٥/٢ .
 وقعة بانبلونة : ٢٩/٢ .
 وقعة بلای : ٢٦٩/١ .
 وقعة جعد : ١٥٥/١ .
 وقعة الحرة : ٦٧/١ .
 وقعة الخندق : ٣٩/٢ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٢٣٧ .
 وقعة راطط : ١٩٦/١ .
 وقعة روطه : ١١٦/٢ .
 وقعة زلاقة : ١٣٢/٣ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٣٨ .
 وقعة شعنده : ١٩٦/١ .
 وقعة شلمنقة : ١٩/٢ ، ٥٤ ، ٢٣٧ .
 وقعة عقبة البقر : ١٧٠/٢ ، ١٧٦ .
 وقعة قنطيش : ١٧٥/٢ .
 وقعة المدينة : ١٨٤/١ .
 وقعة وادى سليط : ١٩٥/١ .
 ولادة القرطبية : ٩٢/٣ .
 ولاية ارشاذونة : ٢٢٦/١ .
 ولاية الجننتو : ١٨١/١ .

يعقوب بن أبي خالد التويري :
• ٢٧٦/١

يعيش بن محمد بن يعيش : ٨/٣
• اليمن : ١٠/٢

اليمنية : ٤/١ ، ٧٩ ، ١٧٤ ،
• ١٧٩

اليمنيون : ١٥٤/١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
• ١٨٠ ، ١٧٩

اليهود : ١٣/١ ، ٢٩ ، ٣٨ - ٤٠ ،
٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٤/٢ ، ١٠/٣ ، ٢٢/٣ - ٢٤ ،

٢٦ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٢٦ ،

• ١٦٢ - ١٦٤

اليهود في مكة (كتاب لدوزي) :
• ١٣/١

يوسف (أخو أيولوج) : ٨٩/١

يوسف بن بسيل : ١١٤/١ ،
• ١١٥

يوسف بن تاشفين : ١٣٠/٣ -

١٣٤ ، ١٣٧ - ١٥٠ ، ١٥٣ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ - ١٦٤ ،

• ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩

يوسف بن زيري (أبو الفتوح) :
• ٧٧ ، ٧٦/٢

يوسف بن صمويل : ٧٦/٣

يوليان حاكم سبتة : ٤٣/١ ، ٤٤ ،

يوم الحفرة : ٦٢/١ ، ٦٣ ، ٧٩

يوم الكركريد : ١٩٥/١

يومين : ١١٦/٣

اليونان (الشعب) : ٦٨/١

اليونان (بلاد) : ٢٣٧/١

ولاية تدمير : ١٨٣/١

ولاية رية : ٢٧٤/١

ولاية مورور : ٢٢٥/١

ولبة : ٥٩/٣ ، ٨٩

ولي العهد : ١٦٢/٢ ، ٢٦٧

أبو الوليد (محمد بن جهور) :

• ١٠٢ ، ٥٧/٣

الوليد بن الحكم : ٨١/١

الوليد بن خيزران : ٦٢/٢ - ٦٤

الوندال : ٣٠/١ ، ٣٢ ، ٣٣

يابرة : ١٢/٣ ، ٥٨

الياقوت : ١٤٨/٣

يحيى بن ادريس : ٤١/٣ ، ٤٢

يحيى بن اسحق (الطبيب النصراني) :

• ٧٣/٢

يحيى بن أناتول : ٢٠٨/١

يحيى بن صقاله : ١٥٣/١ ، ١٦٢

يحيى بن على بن حمودي بن ذي

النون : ١٨٢/١ ، ٧٩/٢ ،

١٩٥ ، ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢٧٥ ،

• ١٢/٣ - ١٧

يحيى بن محمد النجيبى : ٦٥/٢

يحيى بن يحيى الليثي : ٥٨/١ -

٦٠ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٧ ،

• ٢٤٦

يدير (ابن عم باديس) : ٣٤/٣

يزفتو : (وقد يقال له بزنت ،

أو برنت ، أو بزنت) : ٢٤٦/١

اليعاقبة : ١٥٩/٢ ، ٢٠٥

يعرب : ١٨٠/٣

اعمال الأستاذ الدكتور حسن حبشي

- ★ نور الدين والصليبيون (حركة الافاقة الاسلامية فى القرن الثانى عشر) • (نشرته دار الفكر العربى) •
- ★ الحرب الصليبية الأولى (دار الفكر العربى) •
- ★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجستا) مترجم عن اللاتينية (دار الفكر العربى) •
- ★ الشرق العربى بين شقى الرحى (دراسة تاريخية عن حملة لويس التاسع على مصر والشام) • دار الفكر العربى •
- ★ أهل الذمة فى الاسلام (لثرتون) نشر دار المعارف ودار الفكر وهيئة الكتاب •
- ★ زنجبار (من ١٨٩٠ - ١٩١٣) • دار المعارف •
- ★ رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر (دار المعارف) •
- ★ مذكرات جوانفيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية مطولة بقلم المترجم (دار المعارف) •
- ★ تاريخ مسلمى أسبانيا لدوزى • العصبيات القبلية (دار المعارف •
- ★ الجزائر عبر التاريخ (مع أساتذة بعض الجامعات) نشره معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة •
- ★ فتح القسطنطينية لكلاوى (مترجم عن الفرنسية القديمة) ، نشره مركز كتب الشرق الأوسط •
- ★ حوليات دمشق لمؤرخ شامى مجهول • نشرته مكتبة الانجلو المصرية •
- ★ الاحتكار فى العصر المملوكى (حوليات جامعة عين شمس) •
- ★ أنباء الهصر بآباء العصر للجوهري الصيرفى • دار الفكر العربى •
- ★ مضمائر الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه • نشره عالم الكتب •

- ★ نزهة النفوس والأبدان (أربع مجلدات) نشره مركز تحقيق التراث
بدار الكتب المصرية .
- ★ الحروب الصليبية لوليم الصورى (أربع مجلدات) نشرته هيئة
الكتاب .
- ★ مذكرات فلهاردوان عن الحرب الصليبية الرابعة . نشرها المجلس
العلمى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .
- ★ أنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى . أربع مجلدات .
نشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر .
- ★ جمال الدين الشيال : كلمة تأبين فى ذكره .
- ★ المسلمون فى الأندلس لدوزى (ثلاثة مجلدات) نشرته هيئة
الكتاب .
- ★ A Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959) (B.A.S. UN.)
- ★ The Egyptian Expeditions Against Rhodes and Castellrosso
(B.A.S. Un.)

تحت الطبع : للدكتور حسن حبشى :

- ★ الكسياد (عن الامبراطور الكسسيوس كومنين) لابنته الأميرة
أنا كومنينا ، مجلدان .
- ★ فاسطين فى ظل الحكم الإسلامى للى سترانج (مجلدان) .
- ★ البقاعى (إبراهيم بن حمدن) : عيوان الزمان فى تراجم الشيوخ
والأقران (ست مجلدات) أعد مركز التراث بدار الكتب المصرية
الجزء الأول منه .
- ★ البقاعى : المعجم الصغير (فى مجلدين) .
- ★ البقاعى : اظهار النصر لأسرار أهل العصر (ذيل على انباء الغمر)
فى أربعة مجلدات (من المسودة بخط المؤلف) .
- ★ ابن الحنبلى : در الحب فى تاريخ حلب (سبعة مجلدات والنسخة
الأصلية بخط المؤلف مع مراجعتها على سبع نسخ أخرى .
- ★ ابن حجر وتلاميذه (دراسة تاريخية له ولأربعة من تلاميذه) .
- ★ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى فى الشرق
والغرب كان كل منها نقطة تحول فى التاريخ المحلى والعالمى) .

- ★ العصر المملوكى : (دراسة اجتماعية) .
- ★ التاريخ بين المؤرخين المساجين والصلبيين .
- A Transition Period in Antioch Between 1090 & 1118 A. D.
- ★ تطور الجريمة والعقاب فى التاريخ .
- ★ الدبلوماسية البابوية .

★★★

الكتبة الإسلامية للدكتور حسن حبشى :

- ★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية العاطرة) : مجلدان .
- ★ سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرض وتحليل قائمان على
الوثائق والمصادر الأولية والسيرة الطاهرة .
- ★ قرون الهجرة : دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة الشريفة .
- ★ سير الصحابة (أو قصة اسلام صحابى) فى أربعة مجلدات .
- ★ صحابييات عرفن الرسول عليه الصلاة والسلام وحدثن عنه
(جزءان) .
- ★ وكلها تذايع من اذاعات الرياض وجدة ومكة المكرمة .
- ★ الفتح المبين (تمثيلة عن تاريخ مكة المكرمة حتى انعم الله عليها
بالاسلام) .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	الفصل الأول : الصراعات المحلية وظهور هشام الثاني
١٩	الفصل الثاني : الصراع بين صمويل اليهودي وابن عباس
٣١	الفصل الثالث : مؤامرة الجرجاني ونهايته
٣٩	الفصل الرابع : اضطراب الأحوال بين الأمراء مرة أخرى
٤٧	الفصل الخامس : ارتقاء المعتضد معارج القوة
٥٥	الفصل السادس : استفحال أمر المعتضد حريباً
٦٥	الفصل السابع : انتقام ياديس
٧٧	الفصل الثامن : فرديناند ملك ليون وأمراء الطوائف
٨٧	الفصل التاسع : ابن عمار والمعتد والرميكية
٩٧	الفصل العاشر : صور من حياة المعتد
١٠٩	الفصل الحادي عشر : مطامع ابن عمار ونهايته
١٢٣	الفصل الثاني عشر : اذلال الفونس للوك الطوائف
١٣٥	الفصل الثالث عشر : ابن تاشفين وأمراء الأندلس
١٥١	الفصل الرابع عشر : اليهود والنصارى زمن المرابطين
١٧١	الفصل الخامس عشر : سيرة المعتد ونهايته
٢٠٩ - ١٨٣	الحواشي
٢٢٤ - ٢١١	الملاحق
	ملحق بالرسمين العربي واللاتيني للمسند والأعلام
٢٢٥	الواردة في هذا الكتاب
	المصادر والمراجع المستعملة في الأصل والترجمة
٢٣٩	للأجزاء الثلاثة
٢٤٨	كتشاف عام للأجزاء الثلاثة من الترجمة العربية

هذا هو ختام ترجمة ما كتبه المستشرق الهولندي
دورى من أساليب الإسلامية حتى دخول المرابطين
إليها، وقد تناولها المؤلف من شتى النواحي، كما
يسطر ما كان هناك من خصومات عنيفة بين ملوك
الطوائف، وعدم وجود الشخصية البارزة التى
تستطيع أن تسيطر على الأمور، وتأخذ بزمامها فى
يدها، فتلقذ الإسلام والمسلمين والحكام على السواء
بدلاً من هذه النهاية المأسوية التى انتهت إليها من
تفتت القوى الإسلامية، واستعانتها أخيراً بقوى
خارجية.

ولقد كان من أمانى الباحثين فى تاريخ الأندلس
أن يروا ترجمة عربية أمينة لهذا الكتاب حتى تحقق
ذلك على يدى مؤرخ وأستاذ قدير هو الدكتور حسن
حبشى الذى لم يقف جهده عند حد الفل فل تعداه
إلى التعليق والتصحيح.

ويسعد هيئة الكتاب أن تقدم هذه الترجمة
بتعليقاتها وملاحقها وكشافها إلى القارئ العربى.

تصميم الغلاف

علماء أبوشادى